آكام المرجان في أحكام الجان

تأليف
الشيخ الإمام العلّامة بدر الدين أبي عبد الله
محمد بن عبد الله الشبلي المتوفى سنة ٧٦٩م

اعتمدنا في تحقيق هذه الطبعة على مخطوطتين محفوظتين
بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٨٥ و ٢٤٩٥ (تصوف)

ضبطه وصححه
أحمد عبد السلام

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان





تأليف

الشيخ الإمام العلّامة بدر الدّين أبي عبد الله
محمّد بن عبد الله الشِبلي المتوفى سنة ٧٦٩هـ

اعتمدنا في تحقيق هذه الطّبعة على مخطوطتين محفوظتين
بدار الكتب المصريّة تحت رقم ٢١٨٥ و ٢٤٩٥ (تصوّف)

ضبطه وصحّحه
أحمد عبد السّلام

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت.لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق الإنس والجنة . وأشهد أن لا إلٓه إلّا الله وحده لا شريك له ، شهادة تكون لمن تدرع بها أوقى جنَّة ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى الجنة صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي البأس والنجدة صلاة يعظم بها عليهم المنة وسلم تسليماً كثيراً يقوم بالفرض والسنة كما علم الصلاة والسلام عليه وأسنه .

وبعد : فهذا كتاب جامع لذكر الجن وأخبارهم وما يتعلق بأحكامهم وآثارهم . وكان السبب في تصنيفه ونسخه على هذا المنوال الغريب وترصيفه مذاكرة وقعت في مسألة نكاح الجن وإمكانه ووقوعه وضاق المجلس عن تقريرها ، وتحقيق المباحث فيها وتحريرها ، ثم رأيت أن هذه المسألة تقتضي مقدمات :

الأولىٰ : تقرير وجود الجن خلافاً لكثير من الفلاسفة وجماهير القدرية وكافة الزنادقة وغيرهم وفساد قول من أنكر وجودهم .

الثانية : تقرير أن لهم أجساماً مشخصة رقيقة أو كثيفة تتطور وتتشكل في صور شتى ، ليمكن الوقاع ويتأتى . لأنه إنما يتصور بين جسمين مماسين ويتفرع على هذا ذكر تحيزهم وأكلهم وشربهم وتناكحهم فيما بينهم لأن جسم الحي لا بد له من تحيز وتناول ما هو سبب لنموه وبقائه وبقاء جنسه بالتوالد .

الثالثة : بيان تكليفهم خلافاً للحشوية وذلك لأن من جوز النكاح بين الإنس والجن إما أن يشترط في نسائهم الإيمان أو أن يكنَّ من أهل الكتاب لأن ما اشترط في حل النساء الآدميات أولى أن يشترط في الجنيات لأن القائل بجواز نكاحهم لا يفرق . . ويتفرع على ذلك ذكر بعثة النبي ﷺ إليهم وقبل بعثته إليهم بماذا كانوا مكلفين هل بعث إليهم نبي منهم كما يقوله الضحاك وغيره وقطع به أبو محمد بن حزم أو كان فيهم نذر منهم ليسوا رسلاً عن الله تعالى ولكن بثهم الله تعالى في

الأرض فسمعوا كلام رسل الله عزَّ وجلَّ الذين هم من بني آدم وعادوا إلى قومهم من الجن فأنذروهم وهذا قول جماهير العلماء من السلف والخلف وهذا كما سمع النفر من الجن القرآن من النبي ﷺ وعادوا إلى قومهم فقالوا : إنَّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى وكان هذا قبل دعوة النبي ﷺ إياهم واجتماعهم به . ويتفرع على تكليفهم ثوابهم على الطاعة وعقابهم على المعصية ودخول كافرهم النار ومؤمنهم الجنة عند بعض العلماء ، ويتفرع على كل مقدمة مسائل تتأتى ، وتتفتح لها أبواب شتى ، يتشبث بعضها بأذيال بعض ، وينخرط في عقد سلكها درر لا يكاد نظمها ينفض ، ويستطرد في غضون ذلك نكت وأخبار وعيون ، وأحاديث مروية عنهم لا تنتهي ولحديث الجن شجون . فاستخرت الله في إبراز هذا التصنيف وإحراز كثير مما ورد عنهم في هذا التأليف ، وجعلته جامعاً لمهم أحكامهم ، حاوياً لأحوالهم في رحلتهم ومقامهم ، رافعاً لستورهم ، دافعاً لما يتطورون عليه من الكيد في صدورهم ، كاشفاً لضمائرهم كاشفاً لمناورهم . ورتبت على كل مقطع بواباً ، وفتحت لكل مطلع باباً ، وضمنته مائة وأربعين باباً، وقد يزيد على ذلك ، بما ينخرط في هذه المسالك من التوابع التي يتعين إيرادها ، والفصول التي لا يحسن إفرادها وسميته (آكام المرجان في أحكام الجان) وبالله أستعيذ من الشياطين ونزغاتهم وبه أستعين على مردة الجن وطغاتهم ، وبقدرته أدفع سطوة شرورهم ، وبعزته أدرأ في نحورهم ، وبذكره أتحصن من كيدهم ، وبقوته أوهن ما قوي من أَيْدِهِم . هو حسبي ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العليّ العظيم .

الباب الأول

في بيان إثبات الجن والخلاف فيه

قال إمام الحرمين في كتابه الشامل : اعلموا رحمكم الله أن كثيراً من الفلاسفة وجماهير القدرية وكافة الزنادقة أنكروا الشياطين والجن رأساً ولا يبعد لو أنكر ذلك من لا يتدبر ولا يتشبث بالشريعة وإنما العجب من إنكار القدرية مع نصوص القرآن وتواتر الأخبار ، واستفاضة الآثار . ثم ساق جملة من نصوص الكتاب والسنة .

وقال أبو قاسم الأنصاري في شرح الإرشاد : وقد أنكرهم معظم المعتزلة ودل إنكارهم إياهم على قلة مبالاتهم وركاكة دياناتهم . فليس في إثباتهم مستحيل عقلي

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على إثباتهم وحق على اللبيب المعتصم بحبل الدين أن يثبت ما قضى العقل بجوازه ونص الشرع على ثبوته .

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني : وكثير من القدرية يثبتون وجود الجن قديماً وينفون وجودهم الآن ومنهم من يقر بوجودهم ويزعم أنهم لا يرون لرقة أجسامهم ونفوذ الشعاع فيها . ومنهم من قال : إنما لا يرون لأنهم لا ألوان لهم . ثم قال إمام الحرمين : والتمسك بالظواهر والآحاد تكلف منا مع إجماع كافة العلماء في عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين والاستعاذة بالله تعالى من شرورهم ، ولا يراغم مثل هذا الاتفاق متدين متشبث بمسكة من الدين . ثم ساق عدة أحاديث ثم قال : فمن لم يرتدع بهذا وأمثاله فينبغي أن يتهم في الدين ويعترف بالانسلال منه .على أنه ليس في إثبات الشياطين ومردة الجن ما يقدح في أصل من أصول العقل وقضية من قضاياه وأكبر ما يستروحون إليه خطور الجن بنا ونحن لا نراهم ولو شاءت أبدلت لنا أنفسها وإنما يستبعد ذلك من لم يحط علماً بعجائب المقدورات وقولهم في الجن يجرهم إلى إنكار الحفظة من الملائكة عليهم السلام ومن انتهى بهم المذهب إلى هذا وضح افتضاحه .

قلت : وإنما طويت ذكر ما أورده إمام الحرمين من الآيات والأخبار لأن ذلك يأتي إن شاء الله تعالى مبسوطاً في كل باب بحسبه .

وقال القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني : اعلم أن الدليل على إثبات وجود الجن السمع دون العقل وذلك أنه لا طريق للعقل إلى إثبات أجسام غائبة لأن الشيء لا يدل على غيره من غير أن يكون بينهما تعلق كتعلق الفعل بالفاعل وتعلق الأعراض بالمحال ألا ترى أن الدلالة لما دلت على حاجة الفعل في حدوثه إلى الفاعل وحاجته في كونه محكماً إلى كون فاعله قادراً عالماً ، وكونه قادراً عالماً يقتضي كونه حياً ، وكونه حياً لا آفة به يقتضي كونه سميعاً بصيراً ، فدل الفعل على أن له فاعلاً وأنه على أحوال مخصوصة على ما ذكرنا بينهما من التعلق . قال : ولا يعلم إثبات الجن باضطرار ، ألا ترى أن العقلاء المكلفين قد اختلفوا ، فمنهم من يصدق بوجود الجن ومنهم من كذب ذلك من الفلاسفة والباطنية وإن كانوا عقلاء بالغين مأمورين منهيين ولو علم ذلك باضطرار لما جاز أن يختلفوا في ذلك بل لم يجز أن يشكوا فيه لو شككهم فيه مشكك ، ألا ترى أنه لا يجوز أن يختلف العقلاء في أن الأرض تحتهم ولا أن السماء فوقهم ولا

يجوز أن يشكوا في ذلـك لو شككهم فبـه مشكك. وفي اختـلافهم في إثبات الجن ، والأمر على ما هـو عليه دلالـة على أنه لا يجـوز أن يعلم إثبات الجن ضـرورة . ثم قال : والذي يدل على إثباتهم آي كثير من القرآن تغني شهـرتها عن ذكـرها وأجمـع أهـل التأويـل على ما يـذهب إليه من إثبـاتهم بظاهـرها ويـدل أيضاً على إثبـاتهم ما علمنـاه باضـطرار من أن النبي ﷺ كان يتـدين بإثبـاتهم وما روي عنـه في ذلـك من الأخبار والسنن الدالة على إثباتهم أشهر من أن يشتغل بذكرها .

فصـل : قـال الشيـخ أبـو العبـاس بن تيميـة : لم يخـالـف أحـد من طـوائف المسلمين في وجـود الجن وجمهـور طـوائف الكفـار على إثبـات الجن . أمـا أهـل الكتاب من اليهود والنصـارى فهم مقرون بهم كـإقرار المسلمين وإن وجـد فيهم من ينكر ذلك فكما يوجد في بعض طوائف المسلمين ـ كالجهمية والمعتـزلة ـ من ينكـر ذلك وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرون بذلك وهذا لأن وجود الجن تواتـرت به أخبار الأنبياء عليهم السلام تواتراً معلوماً بـالاضطرار ومعلوم بـالاضطرار أنهم أحيـاء عقلاء فاعلون بالإرادة مأمورون منهيون ليسـوا صفات وأعـراضاً قـائمة بـالإنسان أو غيـره كمـا يـزعمـه بعض الملاحـدة ، فلمـا كـان أمـر الجن متـواتـراً عن الأنبيـاء عليهم السـلام تواتـراً ظاهـراً يعرفـه العامـة والخاصـة لم يمكن طـائفـة من طـوائف المؤمنين بـالرسـل أن ينكرهم ، فـالمقصود هنـا أن جميع طـوائف المسلمين يقرون بوجود الجن وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب وكذلك عامة مشـركي العرب وغيـرهم من أولاد سام والهنـد وغيرهم من أولاد حـام وكـذلـك جمهـور الكنعـانيين واليونانيين وغيرهم من أولاد يافث . فجماهير الطوائف تقر بـوجود الجن بـل يقرون بما يستجلبون به معاونة الجن من العزائم والطلاسم سواء كان ذلك سائغاً عنـد أهل الأيمان أو كان شركاً فإن المشركين يقرأون من العزائم والطلاسم والرقى ما فيه عبادة للجن وتعظيم لهم ، وعامـة ما بـأيدي النـاس من العزائم والـطلاسـم والرقى التي لا تفقه بالعربية فيها ما هو شرك بـالجن ، ولهذا نهى علمـاء المسلمين عن الرقى التي لا يفقه بالعـربية معنـاها لأنهـا مظنـة الشرك وإن لم يعـرف الراقي أنهـا شرك . وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه رخص في الرقى ما لم تكن شـركاً وقـال : « من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل » . وقد كان للعرب ولسائر الأمم من ذلـك أمور يـطول وصفها وأمور وأخبار العرب في ذلك متـواترة عنـد من يعرف أخبـارهم من علماء المسلمين

وكذلك عند غيرهم ولكن المسلمين أخبر بجاهلية العرب منهم بجاهلية سائر الأمم .

* * *

فصل : ولم ينكر الجن إلاَّ شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة والأطباء ونحوهم ، أما أكابر القوم فالمأثور عنهم إمَّا الإقرار بهم وإما أن يحكى عنهم قول في ذلك وأما المعروف عن أبقراط أنه قال في بعض المياه : إنه ينفع من الصرع لست أعني الصرع الذي يعالجه أصحاب الهياكل وإنما أعني الصرع الذي تعالجه الأطباء ، وأنه قال : طبنا مع طب أهل الهياكل كطب العجائز مع طبنا وليس لمن أنكر ذلك حجة يعتمد عليها تدل على النفي وإنما معه عدم العلم إذا كانت صناعته ليس فيها ما يدل على ذلك كالطبيب الذي ينظر في البدن من جهة صحته ومرضه الذي يتعلق بمزاجه وليس في هذا تعرض لما يحصل من جهة النفس ولا من جهة الجن وإن كان قد علم من طبه أن للنفس تأثيراً عظيماً في البدن أعظم من تأثير الأسباب الطبية وكذلك للجن تأثير في ذلك . قال ﷺ في الحديث : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » أ هـ ، وهو البخار الذي تسميه الأطباء الروح الحيواني المنبعث من القلب الساري في البدن الذي به حياة البدن .

فصل : قال ابن دريد : الجن خلاف الإنس ويقال : جنه الليل وأجنه وجن عليه وغطاه في معنى واحد إذا ستره وكل شيء استتر عنك فقد جن عنك وبه سميت الجن وكان أهل الجاهلية يسمون الملائكة جناً لاستتارهم عن العيون والجن والجنة واحد والجنة ما واراك من السلاح قال : والحن بالحاء زعموا أنهم ضرب من الجن قال الراجز :

يلعبن أحوالي من حن وحن

قال أبو عمر الزاهد : الحن ـ (كلاب الجن وسفلتهم) . وقال الجوهري : الجان أبو الجن والجمع جينان مثل : حائط وحيطان ، والجان إيضاحية بيضاء .

قلت : وقد وقع في كلام السهيلي في النتائج أن الجن تشتمل على الملائكة وغيرهم مما اجتن عن الأبصار فإنه قال : ومما قدم للفضل والشرف تقديم الجن على الإنس في أكثر المواضع لأن الجن تشتمل على الملائكة وغيرهم مما اجتن عن الأبصار قال الله تعالى : ﴿ **وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً** ﴾ . وقال الأعشى :

وسخر من جن الملائك سبعة　　قياماً لديه يعملون بلا أجر

فأما قوله تعالى : ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ [الرحمن : ٥٦] وقوله تعالى : ﴿ **لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان** ﴾ [الرحمن : ٣٩] وقوله تعالى : ﴿ **وأنّا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً** ﴾ [الجن : ٥] ، فإن لفظ الجن ههنا لا يتناول الملائكة بحال لنزاهتهم عن العيوب وأنه لا يتوهم عليهم الكذب ولا سائر الذنوب فلما لم يتناولهم عموم اللفظ لهذه القرينة بدأ بلفظ **الإنس** لفضلهم وكمالهم .

وقال ابن عقيل : إنما سمي الجن جناً لاستجنانهم واستتارهم عن العيون منه سمي الجنين جنيناً والجنة للحرب جنة لسترها والمجن مجناً لستره للمقاتل في الحرب ، وليس يلزم بأن ينتقض هذا بالملائكة لأن الأسماء المشتقة لا تناقض ، ألا ترى أن الخابئة سميت بذلك لاشتقاقها من الخبيء وأنه يخبأ فيها ولا يقال يبطل بالصندوق فإنه يخبأ فيه ولا يسمى صندوقاً ، والشياطين العصاة من الجن وهم ولد إبليس والمردة أعتاهم وأغواهم وهم أعوان إبليس ينفذون بين يديه في الإغواء كأعوان الشياطين .

قال الجوهري : كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان قال جرير :

أيام يدعونني الشيطان من غزل　　وهن يهوينني إذ كنت شيطانا

والعرب تسمي الحية شيطاناً قال يصف ناقته :

تلاعب مثنى حضرمي كأنه　　تعمج شيطان بذي خروع قفر

وقوله تعالى : ﴿ **طلعها كأنه رؤوس الشياطين** ﴾ [الصافات : ٦٥] . قال الفراء : فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أن يشبه طلعها في قبحه برؤوس الشياطين لأنها موصوفة بالقبح . والثاني : أن العرب تسمي به بعض الحيات ، والشيطان نونه أصلية قال أمية :

أيما شاطن عصاه عكاه　　ثم يلقى في السجن والأغلال

وقال أيضاً : إنها زائدة فإن جعلته فيعالاً من قولهم : شيطن الرجل صرفته وإن جعلته من تشيطن لم تصرفه لأنه فعلان .

وقال أبو البقاء : الشيطان فيعال من شطن يشطن إذا بعد ويقال فيه شاطن وتشيطن وسمي بذلك كل متمرد لبعد غوره في الشر .

وقيل : هو فعلان من شاط يشيط إذا هلك ، فالمتمرد هالك بتمرده ويجوز أن يكون سمي بفعلان لمبالغته في إهلاك غيره .

وقال القاضي أبو يعلى : الشياطين مردة الجن وأشرارهم وكذلك يقال في الشرير : مارد ، وشيطان من الشياطين ، وقد قال تعالى : ﴿ **شيطان مارد** ﴾ .

وقال الجوهري : شطن عنه بعد وأشطنه أبعده .

وقال ابن السكيت : شطنه يشطنه شطناً إذا خالف عن نية وجهه ، وبئر شطون بعيدة القعر ، ونوى شطون بعيد .

وقال ابن دريد : زعم قوم من أهل اللغة ، أن اشتقاق إبليس من الإبلاس كأنه أبلس أي يئس من رحمة الله ، وأبلس الرجل إبلاساً فهو مبلس إذا يئس .

قلت : وهذا يدل على أن إبليس إنما سمي بهذا الاسم بعد لعن الله تعالى إياه ، وقد روى ابن أبي الدنيا وغيره عن ابن عباس قال : كان اسم إبليس حيث كان مع الملائكة عزازيل وكان من الملائكة ذوي الأجنحة الأربعة ، ثم أبلس بعد . وعن أبي المثنى قال : كان اسم إبليس نائل فلما أسخط الله تعالى سمي شيطاناً . وعن ابن عباس رضي الله عنه : « لما عصى إبليس لعن وصار شيطاناً » وعن سفيان قال : كنية إبليس أبو كدوس .

وقال أبو البقاء : وإبليس اسم أعجمي لا ينصرف للعجمة والتعريف وقيل : هو عربي واشتقاقه من الإبلاس ولم ينصرف للتعريف ولأنه لا نظير له في الأسماء ، وهذا بعيد على أن في الأسماء مثله نحو إخريط وإحفيل وإصليت .

قال أبو عمر بن عبد البر : الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان منزلون على مراتب فإذا ذكروا الجن خالصاً قالوا : جني فإن أرادوا أنه ممكن يسكن مع الناس قالوا : عامر والجمع عمار فإن كان ممن يعرض للصبيان قالوا : أرواح فإن خبث وتعزم فهو شيطان فإن زاد على ذلك فهو مارد فإن زاد على ذلك وقوي أمره قالوا : عفريت والجمع عفاريت والله تعالى أعلم بالصواب .

* * *

الباب الثاني
في ابتداء خلق الجن

قال أبو حذيفة إسحاق بن بشر القرشي في المبتدأ : حدثنا عثمان ، حدثنا الأعمش عن بكير بن الأخنس عن عبد الرحمن بن سابط القرشي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : (خلق الله تعالى بني الجان قبل آدم بألفي سنة) أ هـ . أخبرنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (وكان الجن سكان الأرض والملائكة سكان السماء وهم عمارها لكل سماء ملائكة ولكل أهل سماء صلاة وتسبيح ودعاء فكل سماء فوق سمائهم أشد عبادة وأكثر دعاء وصلاة وتسبيحاً من الذين تحتهم فكانت الملائكة عمار السماء والجن عمار الأرض) أ هـ . وقال بعضهم : (عمروا الأرض ألفي سنة) . وقال بعضهم : أربعين سنة ، وقال إسحاق : قال أبو روق عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خلق الله سوميا أبو الجن وهو الذي خلق من مارج من نار قال تبارك وتعالى : تَمَن قال : أتمنى أن نرى ولا نُرى وأن نغيب في الثرى وأن يصير كهلنا شاباً فاعطي ذلك فهم يرون ولا يرون وإذا ماتوا غيبوا في الثرى ولا يموت كهلهم حتى يعود شاباً يعني مثل الصبي يرد إلى أرذل العمر . قال : وخلق الله تعالى آدم ، فقيل له : تَمَنَّ قال : فتمنّى الجبل فأعطي الجبل . وقال إسحاق : حدثني جويبر وعثمان بإسنادهما أن الله تعالى خلق الجن وأمرهم بعمارة الأرض فكانوا يعبدون الله جل ثناؤه حتى طال بهم الأمد فعصوا الله عزَّ وجلَّ وسفكوا الدماء وكان فيهم ملك يقال له : يوسف فقتلوه فأرسل الله تعالى عليهم جنداً من الملائكة كانوا في السماء الدنيا كان يقال لذلك الجند الجن فيهم إبليس وهو على أربعة آلاف فهبطوا فأفنوا بني الجان من الأرض وأجلوهم عنها وألحقوهم بجزائر البحر وسكن إبليس والجند الذين كانوا معه الأرض فهان عليهم العمل وأحبوا المكث فيها .

حدثنا محمد بن إسحاق عن حبيب بن أبي ثابت أو غيره أن إبليس وجنوده أقاموا في الأرض قبل خلق آدم أربعين سنة . حدثنا إدريس الأودي عن مجاهد قال : إبليس كان على سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض وكان مكتوباً في الرفيع عند الله تعالى أنه قد سبق في علمه أنه سيجعل خليفة في الأرض ، فوجد ذلك إبليس فقرأه وأبصر دون المَلائكة ، فلما ذكر الله عزَّ وجلَّ للملائكة أمر آدم عليه

السلام أخبر إبليس الملائكة أن هذا الخليفة الذي يكون تسجد له الملائكة وأسر إبليس في نفسه أنه لن يسجد له أبداً وأخبر الملائكة أن الله تعالى يخلف خليفة يسفك دماء ، وأنه سيأمر الملائكة فيسجدون لذلك الخليفة ، قال : فلما قال الله عزَّ وجل : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ حفظوا ما كان قال لهم إبليس قبل ذلك فقالوا : ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها** ﴾ الآية . وأخبرني مقاتل وجويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أراد الله عزَّ وجلَّ أن يخلق آدم قال للملائكة : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ . قالت الملائكة : ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها** ﴾ [البقرة: ٣٠] ، وذلك أنهم أحبوا المكث في الأرض واستخفوا للعبادة فيها ، قال ابن عباس : لم يعلموا الغيب لكنهم اعتبروا أعمال ولد آدم بأعمال الجن فقالوا : ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها** ﴾ أ هـ . كما أفسدت الجن ويسفك الدماء كما سفكت الجن وذلك أنهم قتلوا نبياً لهم يقال له يوسف . وأخبرنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان الله تعالى بعث إليهم رسولاً فأمرهم بطاعته وأن لا يشركوا به شيئاً ، وأن لا يقتل بعضهم بعضاً ، فلما تركوا طاعة الله وقتلوا قالت الملائكة : ﴿ **أتجعل فيها** ﴾ الآية فرد عليهم قولهم وأخبرهم أنهم لم يبلغوا عنصر علم الله تعالى في آدم عليه السلام فخافت الملائكة أن يكونوا قد عصوا الله تعالى فيما ردوا عليه فلاذوا بالعرش يطوفون به ويستغفرون من ذلك وبقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **إنِّي أعلم ما لا تعلمون** ﴾ ، واعلم أن آدم هو خليفة الأرض وولده عمارها وسكانها وأنتم عمّار السماء . وخبرنا ابن جريج قال الله تعالى : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ ، فتكلموا يعني بما هو كائن من خلق آدم عليه السلام وقال الله تعالى لهم : ﴿ **إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ ﴿ **وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** ﴾ ، فأما الذين كتموا فلما قال الله تعالى : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ [البقرة: ٣٠] ، فرجعوا بما قد سمعت ليخلق الله تعالى ربنا ما شاء فوالله لا يخلق ربنا خلقاً إلاَّ كنَّا أكرم عليه وأعلم منه ، فلما أسجدهم لآدم قالوا : هو أكرم على الله تعالى منا غير أنا أعلم منه فلما أنبأهم بأسمائهم علموا أن آدم عليه السلام أعلم منهم .

قال الزمخشري في ربيع الأبرار أبو هريرة يرفعه : (إنَّ الله تعالى خلق الخلق أربعة أصناف : الملائكة ، والشياطين ، والجن ، والإنس ، ثم جعل هؤلاء عشرة أجزاء فتسعة منهم الملائكة وجزء واحد الشياطين والإنس والجن ، ثم جعل هؤلاء

الثلاثة عشرة أجزاء فتسعة منهم الشياطين وواحد الجن والإنس ، ثم جعل الجن والإنس عشرة أجزاء فتسعة منهم الجن وواحد منهم الإنس) .

قلت : فعلى هذا يكون نسبة الإنس من الخلق كنسبة الواحد من الألف ونسبة الجن من الخلق كنسبة التسعة من الألف ونسبة الشياطين من الخلق كنسبة التسعين من الألف ونسبة الملائكة من الخلق كنسبة التسعمائة من الألف والله أعلم .

* * *

الباب الثالث

في أن أصل الجن النار كما أن أصل الإنس الطين

قال الله تعالى : ﴿ **والجان خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ [الحجر : ٢٧] وقال تعالى : ﴿ **وخلق الجان من مارج من نار** ﴾ [الرحمن : ١٥] وقال تعالى حكاية عن إبليس : ﴿ **خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ [الأعراف : ١٢] .

وقال القاضي عبد الجبار : (الدليل على هذا السمع دون العقل وذلك لأن الجواهر كلها قد دل الدليل على أنها متماثلة لأن كل واحد منها يسد مسد الآخر ويقوم مقامه في الصفة التي تخصه إذا كان على مثل صفته ، وهذا هو أحد المثلين وإنما تختلف صفاتهما وهيئتهما لأغراض تخص بعضها دون بعض وإذا صح هذا فالله قادر على أن يفعل ما شاء من التأليف ويوجد من الألوان وسائر الأعراض ويركب ما شاء من ذلك تركيباً يحتمل الأعراض المحتاجة إلى تركيب مخصوص ، كالحياة التي يحتاج في وجودها إلى تركيب مخصوص والعلم إلى بنية القلب وكذلك الإرادة وما جرى هذا المجرى وإذا كان هذا هكذا دل على أن لا طريق لنا إلى أن نعلم أن الله عزَّ وجلَّ خلق أصل الجن من قبيل جوهر مخصوص دون قبيل آخر من جهة العقل ، ولا نعلم ذلك أيضاً باضطرار لأن ذلك لو علم باضطرار لم يقع اختلاف في إثباتهم لأن العلم بما خلقوا منه فرع على العلم بأنهم مخلوقون ولا يجوز أن يعلم الفرع باضطرار ويعلم الأصل باكتساب لأن ما يعلم باكتساب يجوز أن يجهل وما يعلم باضطرار لا يجوز أن يجهل مع كمال العقل وبطلان هذا يدل على أنه لا يجوز أن يعلم أصل الجن ما هو باضطرار للاختلاف في إثباتهم ، فقد بان أن ذلك لا يعلم باضطرار كما لا يعلم باكتساب من جهة العقل (فإن قيل) : كيف تجعلون في قول إبليس : ﴿ **خلقتني من نار** ﴾ دلالة مع أنه يجوز أن يكذب في

ذلك أو يظنه ولا يكون له به علم (قيل له) : موضع الدلالة من ذلك قول الله تعالى ، ولو لم يكن الأمر على ما قال لما ترك الله تكذيبه لأن ترك تكذيب الكاذب ممن لا يجوز عليه الخوف والجهل قبيح أهـ .

قال : وبهذا بعينه احتج شيوخنا على المخبر بالاستطاعة بقول الجن لسليمان عليه السلام : ﴿ **أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنّي عليه لقوي أمين** ﴾ [النمل : ٣٩] فزعم أنه قوي على الإتيان بعرشها قبل أن يفعل الإتيان فلم يجعل قول الجني دليلاً على ذلك وإنما جعلوا سكوت سليمان على تكذيبه والإنكار عليه حجة لأنه لو لم يكن قادراً على الإتيان به لم يدع الإنكار عليه ، وإذا كان هذا هكذا بطل الاعتراض المذكور بأن صحة ما تقدم ذكره على أنا لا نعلم خلافاً بين المسلمين في ذلك ولا يشك أن هذا كان من دين الرسول ﷺ (فإن قيل) في النار من اليبس ما لا يصح وجود الحياة فيها والحياة في وجودها تحتاج إلى رطوبة كما تحتاج إلى بنية مخصوصة وإلى الروح التي هي النفس المتردد عند شيخكم أبي هاشم إن كان شيخكم أبو علي يجوز وجود الحياة مع عدم النفس ويقول : إن أهل النار لا يتنفسون وإذا صح هذا فالرطوبة لا بد منها في وجود الحياة ، وكذلك البنية فكيف يصح لكم ما قلتم فهلا لديكم هذا على أن الله تعالى أراد بقوله : ﴿ **خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ [الحجر : ٢٧] ، غير ما ذهبتم إليه ، وأن الآية ليست على ظاهرها .

قيل له : إن الأمر وإن كان على ما ذكرت فإن الله تعالى قادر على أن يفعل رطوبة في تلك النار بمقدار ما يصح وجود الحياة فيها لأن مجاورة الماء والنار لا تستحيل يدلك على هذا الماء المسخن فإنه إنما يسخن من أجزاء من النار تتخلل في خلل الماء فلهذا متى قام في الهواء رقت أجزاء النار ، وفارقت الماء وعاد إلى ما كان عليه من البرودة ، ألا ترى أن البخار الذي يرتفع منه صعداً إنَّما يكون ذلك لارتفاع أجزاء النار لأن أجزاءها خفيفة والخفيف هو ما فيه اعتماد صعداً والماء ثقيل لأن فيه اعتماداً سفلاً ، فالبخار وإن كان فيه أجزاء من الرطوبة فإن أكثر ما فيه أجزاء النار فلغلبتها على الأجزاء الرطبة ترتفع معها وتصير حكم الأجزاء المائية في لطافتها حتى ترفعها أجزاء النار كالقطن وما يجري مجراه مما ترفعه النار بصعودها ، فدل على صحة ما ذهبنا إليه من مجاورة الماء والنار على هذا السبيل الذي بيناه وإذا صحت هذه الجملة لم يمتنع إحداث الله تعالى أجزاء من الرطوبة في خلل النار

حتى يصح وجود الحياة وليس في البنية ولا في الروح لهم تعلق لأن النار تحتمل البنية وكذلك تحتمل مجاورتها الريح والروح هو الهواء للنار .

قال فإن قيل : إذا لم يجوزوا لغة استثناء الشيء من غير جنسه ألا نرى أنك لا تقول : عندي عشرة دراهم إلاَّ ثوباً ، وما شاكله فكيف يجوز استثناء إبليس من جملة الملائكة إذا لم يكن من جنسهم ومن أصلهم مع أن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب فهلا دلكم هذا على أنه من جنس الملائكة وأن أصل الجن ليس هو النار .

قلنا : إنما جاز ذلك لما جمعهم وإياه الحكم المقصود ، وهو الأمر بالسجود وإذا كان هذا سائغاً في اللغة وكان مشهوراً عند أهلها سقط السؤال وصح ما ذكرناه في هذا الفصل .

وقال أبو الوفاء بن عقيل في الفنون : سأل سائل عن الجن فقال الله تعالى : أخبر عنهم أنهم من نار بقوله تعالى : ﴿ **والجان خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ ، وأخبر أن الشهب تضرهم وتحرقهم فكيف تحرق النار النار (فقال الجواب) وبالله التوفيق :

اعلم أن الله تعالى أضاف الشياطين والجن إلى النار حسب ما أضاف الإنسان إلى التراب والطين والفخار ، والمراد به في حق الإنسان أن أصله الطين وليس الآدمي طيناً حقيقة لكنه كان طيناً كذلك الجان كان ناراً في الأصل والدليل على ذلك قول النبي ﷺ : « عرض لي الشيطان في صلاتي فخنقته فوجدت برد ريقه على يدي ولولا دعوة أخي سليمان عليه السلام لقتلته » أ هـ . ومن يكون ناراً محرقة كيف يكون ريقه بارداً ولا له ريق رأساً لكن كان يقول : له لسان وذؤابة من نار محرقة فعلم صحة ما قلنا والنبي ﷺ شبههم بالنبط ولولا أنهم على أشكال ليست ناراً لما ذكر الصور وترك الالتهاب والشرر . انتهى .

قلت : هكذا لفظه ولولا دعوة أخي سليمان عليه السلام لقتلته ، وهذا اللفظ غير معروف بل المعروف في الصحيح والسنن : لولا دعوة أخي سليمان عليه السلام لأصبح موثقاً حتى تراه الناس ، وفي الصحيحين : (ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه) . ومما يدل على أن الجن ليسوا باقين على عنصرهم الناري قول النبي ﷺ : « إن عدو الله تعالى إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي » أ هـ . وقوله ﷺ : « رأيت ليلة أسريَ بي عفريتاً من الجن

يطلبني بشعلة من نار كلما التفت رأيته » أ هـ . وبيان الدلالة منه أنهم لو كانوا باقين على عنصرهم الناري وأنهم نار محرقة لما احتاجوا إلى أن يأتي الشيطان أو العفريت منهم بشعلة من نار ولكانت يد الشياطين أو العفريت أو شيء من أعضائه إذا مس ابن آدم أحرقه كما تحرق الآدمي النار الحقيقية بمجرد المس ، فدل على أن تلك النار انغمرت في سائر العناصر حتى صار البرد ربما كان هو الغالب في بعض الأحيان إما للأعضاء نفسها أو لما تحلل من البدن كاللعاب كما قال النبي ﷺ : « حتى برد لسانه على يدي » ، وفي رواية : « حتى برد لعابه » ، ولا شك أن الله تعالى جعل الأقوات منمية للأجسام ويكون النمو استأصل عن الغذاء على حسبه في الحرارة والبرودة على اختلافهما في الرطوبة واليبوسة ولا شك أنهم يأكلون ويشربون مما نأكل منه ونشرب ويخصل لأجسامهم بذلك نمو وبقاء على حسب المأكول في مأكولهم الحار والبارد الرطبان واليابسان ، فهذا مع التوالد قد نقلهم عن العنصر الناري وصار فيهم الطبائع الأربع .

قال القاضي أبو بكر : ولسنا ننكر مع ذلك يعني أن الأصل الذي خلقه منه النار أن يكثفهم الله تعالى ويغلظ أجسامهم ويخلق لهم أعراضاً تزيد على ما في النار فيخرجون عن كونهم ناراً ويخلق لهم صوراً وأشكالاً مختلفة . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

* * *

الباب الرابع

في بيان أجسام الجن

قال القاضي ـ أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي ـ : (الجن أجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة) ويجوز أن تكون كثيفة خلافاً للمعتزلة في قولهم : إنهم أجسام رقيقة ولرقتهم لا نراهم والدلالة على ذلك علمنا بأن الأجسام يجوز أن تكون رقيقة ، ويجوز أن تكون كثيفة ، ولا يمكن معرفة أجسام الجن أنها رقيقة أو كثيفة إلاّ بالمشاهدة أو الخبر الوارد عن الله تعالى أو عن رسول الله ﷺ وكلا الأمرين مفقود فوجب أن لا يصح أنهم أجسام رقيقة أصلاً ، فأما قولهم : إن الجن إنما كانت أجساماً رقيقة لأننا لا نراها وإنما لا نراها لرقتها فلا يصح لأننا قد دللنا على أن الرقة ليست بمانعة عن الرؤية في باب الرؤية ويجوز أن تكون الأجسام الكثيفة موجودة ولا نراها إذا لم يخلق الله تعالى فينا الإدراك .

وقال أبو القاسم الأنصاري في شرح (الإرشاد) حكاية عن القاضي أبي بكر : ونحن نقول إنما برأهم من رآهم لأن الله تعالى خلق له رؤية وأن من لم يخلق له الرؤية لا يراهم لأنهم أجسام مؤلفة وجثث ، وقال كثير من المعتزلة : إنهم أجسام رقيقة بسيطة .

قال القاضي : وهذا عندنا جائز غير ممتنع إن ثبت به سمع ولا سمع نعلمه في ذلك فإن قال قائل : كيف يمكن أن يكون الجن مخلوقين من نار مع ما علم أن أجزاء النار وتلهبها يقتضي افتراق أجزائها وعدم ثبوت بنية لها . قيل : قد ثبت أن الحياة لا تتعلق بجملة الجسم وأن الحي بها محلها وأنه لو استحال خلقها في الحي دون اتصاله ببنية لم يحتج محلها إلى كونه من بنية مخصوصة على أننا لو قلنا : إن الحياة تحتاج إلى بنية لم يمتنع أن يبني الله تعالى من جسم النار وهي على ما هي عليه من التلهب والحركة أجزاء مؤتلفة غير متباينة فإن قيل : كيف يجوز كونهم وكون الملائكة رقاق الأجسام مع عظم قدره وحملهم العرش وقلبهم لمدن وسد جبريل ما بين الخافقين بجناحه ؟ قيل : لا يمتنع أن يخلق الله تعالى في أجسام الملائكة والجن وإن كانوا من نار وريح ما يصير بها إلى حد يحتمل زيادة القدر .

وقال القاضي عبد الجبار الهمداني : فصل في كون أجسامهم رقيقة ولضعف أبصارنا لا نراهم لا لعلة أخرى ولو قوى الله تعالى أبصارنا أو كثف أجسامهم لرأيناهم .

اعلم أن الذي يدل على رقة أجسامهم قوله تعالى : ﴿ **إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** ﴾ [الأعراف: ٢٧] فلو كانوا لنا مرئيين وإن كانوا بقربنا ولا حائل بيننا وبينهم بحيث يوسوسون إلينا وكانوا كثافاً لرأيناهم كما يرونا كما يرى بعضهم بعضاً ، وفي علمنا بخلاف ذلك من حالنا وحالهم دليل على صحة ما قلناه .

قال : وقد ذكر شيوخنا أن الرقة أحد الموانع من رؤية المرئيات بشرط ضعف البصر ، كالبعد واللطافة ، ولهذا قالوا : إنه يجوز أن نراهم إذا قوى الله تعالى شعاع أبصارنا كما يجوز أن نراهم لو كثف الله تعالى أجسامهم وعلى هذا الوجه يرى المعاين الملائكة دون من يحضره ويرونهم الأنبياء جميعاً ويرون الجن أيضاً دون غيرهم على أنهم لو كانوا كثافاً لحجز الجني عن رؤية من بحضرتنا إذا تخلل

فيما بيننا ويكون حكمه حكم الحائط وسائر الأجسام الكثيفة، أنه متى كان ذلك بيننا وبين من يراه لو حجزها حجزت ومنعت عن رؤيته وفي وجداننا الأمر بخلاف ذلك في سائر الأوقات التي نجد الوسواس في قلوبنا على طريقة واحدة في أنه نرى ما بحضرتنا من يحجز بيننا وبينه حائط وحاجز من سائر الأجسام دلالة على صحة ما ذكرناه من رقة الأجسام .

قال : وقد استدل غير شيوخنا على أن المانع من رؤية الجن هو أن الله تعالى لا يحدث فيهم من الألوان ما لو فعله لرأيناهم وليس المانع من الرؤية الرقة .

قال القاضي عبد الجبار : وهذا لا يصح لوجوه :

منها : أن الله تعالى يراهم ويرى بعضهم بعضاً ولو كان الأمر كما قالوا لما جاز أن يروا لأنه جعل العلة في جواز كونهم مرئيين هو إحداث لون مخصوص ، فإذا لم يحدث لم يكونوا مرئيين وأن يكون الله تعالى أحدث هذا اللون ، فلهذا رآهم ورأى بعضهم بعضاً فيجب أن نراهم نحن وفي عالمنا بأن الأمر بخلاف ذلك دليل على بطلان ما ذكر من الاستدلال .

ومنها : أنه لا يجوز خلو الأجسام من اللون أو ضده عند شيخنا أبي علي ، فلا بد من أن يكون فيهم لون من الألوان وكل ما يتضاد على الجسم ويدرك بحاسة فلا بد من أن يدرك تلك الحاسة ما ينافيه وبضده ، وقد جعل الله تعالى في الجن اللون الذي ذكره هذا القائل ورأيناهم ثم نفى هذا اللون بلون آخر لوجب أيضاً على ما قلنا أن نراهم فإذا كان حكم كل لون هذا الذي ادعاه في أنه يدرك بالحاسة التي يدرك بها هذا اللون ، ويدرك الجن لأجله ثم لم تخل الأجسام من الألوان كلها على مذهب شيخنا أبي علي ووجب أن نراهم وفي علمنا باضطرار أن الأمر بخلاف هذا دليل على سقوط هذا الاعتراض ، وأما على قول أبي هاشم فإنه يجيز خلو الأجسام من الأعراض كثيفة كانت أو رقيقة سوى الألوان ولو كانت كثيفة لم يكن بد من أن يراها الرائي مع عدم السواتر ، وكيف يصح له هذا الاستدلال مع هذا القول على أن الجسم يرى وإن كان يرى معه اللون ألا ترى أن الرائي يرى حدود الجسم وطوله وعرضه وهذه صفات الأجسام لا صفات الألوان ، فدل على أن وجود اللون في الجسم ليس من شرطه كونه مرئياً فقد بان بهذه الوجوه بطلان هذا الاستدلال وأن الدليل في كوننا غير رائين لهم إنما هو رقة أجسامهم على ما بيّنا .

قال : وإنما يدرك بعضهم بعضاً للطافة حواسهم وللطافة تأثير في هذا الإدراك ألا ترى أن الإنسان يدرك بحدقته من الحر والبرد ما لا يدركه بأسفل قدميه وذلك للطافة الحدقة ونحن أسفل القدم وصلابته . فإن قيل في الحاجة في رؤية اللطيف إلى قوة شعاع البصر في رؤيته . قيل له : الذي يدل على الحاجة إلى قوة شعاع في رؤية اللطيف لا يحتاج إلى مثل ذلك في الكثيف ألا ترى أنا لا نرى الريح ما دامت رقيقة لطيفة فإذا كثفت باختلاط الغبار رأيناها وهذا ظاهر فلذلك قلنا : لو كثف الله تعالى أجسام الجن وقوى شعاع أبصارنا على ما هو عليه من غير أن يقوى لرأيناهم والله تعالى أعلم بالصواب .

* * *

الباب الخامس

في بيان أصناف الجن

قال أبو القاسم السهيلي : الجن ثلاثة أصناف كما جاء في حديث صنف على صور الحيات وصنف على صور كلاب سود وصنف ريح طيارة أو قال : هفافة ذو أجنحة وزاد بعض الرواة صنف يحلون ويظعنون وهم السعالي .

قال : ولعل هذا الصنف هو الذي لا يأكل ولا يشرب إن صح أن الجن لا تأكل ولا تشرب ، يعني الريح الطيارة .

قلت : روى ابن أبي الدنيا في كتاب : (مكايد الشيطان) فقال : حدثنا الحسين بن علي بن الأسود العجلي ، حدثنا أبو شامة ، حدثنا يزيد بن سفيان أبو فروة الرهاوي ، حدثنا أبو منيب الحمصي عن يحيى بن كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « خلق الله تعالى الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح في الهوى وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أصناف صنف كالبهائم » أ هـ . قال الله تعالى : ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها** ﴾ [الأعراف : ١٧٩] الآية . وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله ، وأورده في كتاب : « الهواتف » مقتصراً على ذكر الجن فقط .

وقال أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل العامري الخرائطي في كتاب : « هواتف الجنان » وحدثنا إبراهيم بن هانىء النيسابوري حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جويبر بن نفير عن أبي ثعلبة قال : قال رسول الله ﷺ : « الجن على ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون » .

قال الزمخشري : رأيت للأعاريب من الأعاجيب في باب الجن ما لا يوصف ويقولون : من الجن جنس صورته على نصف صورة الإنسان واسمه شق وأنه يعرض للمسافر إذا كان وحده وربما أهلكه .

* * *

الباب السادس

في بيان تطور الجن وتشكلهم

ولا شك أن الجن يتطورون ويتشكلون في صور الإنس والبهائم فيتصورون في صور الحيات والعقارب ، وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير ، وفي صور الطير ، وفي صور بني آدم كما أتى الشيطان قريشاً في صورة سراقة بن مالك بن جعشم لما أرادوا الخروج إلى بدر قال الله تعالى : ﴿ **وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب** ﴾ [الأنفال:٤٨] . وكما روي أنه تصور في صورة شيخ نجدي لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في أمر الرسول ﷺ هل يقتلوه أو يحبسوه أو يخرجوه كما قال الله تعالى : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ [الأنفال: ٣٠] . وروى الترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث صيفي مولى أبي السائب عن أبي سعيد الخدري يرفعه أن بالمدينة نفراً من الجن قد أسلموا فإذا رأيتم من هذه العوام شيئاً فأذنوه ثلاثاً فإن بدا لكم فاقتلوه .

* * *

فصل : قال القاضي أبو يعلى . **ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم** والانتقال في الصور ، وإنما يجوز أن يعلمهم **الله تعالى كلمات** وضرباً من ضروب

الأفعال إذا فعله وتكلم به نقله الله تعالى من صورة إلى صورة فيقال : إنه قادر على التصوير والتخييل على معنى أنه قادر على قول إذا قاله وفعله نقله الله تعالى عن صورته إلى صورة أخرى بجري العادة ، وأما أنه يصور نفسه فذلك محال لأن انتقالها من صورة إلى صورة إنما يكون بنقض البنية وتفريق الأجزاء ، وإذا انتقضت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة وكيف تنقل نفسها القول في تشكيل الملائكة مثل ذلك .

قال : والذي روي أن إبليس تصور في صورة سراقة بن مالك ، وأن جبريل تمثل في صورة دحية . وقوله تعالى : ﴿ **فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً** ﴾ . محمول على ما ذكرنا وهو أنه أقدره الله تعالى على قول قاله فنقله الله تعالى من صورته إلى صورة أخرى .

قلت : روى أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب : « مكايد الشيطان » فقال : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا هشيم عن الشيباني عن يسير بن عمرو قال : ذكرنا الغيلان عند عمر فقال : إن أحداً لا يستطيع أن يتغير عن صورته التي خلقه الله تعالى عليها، ولكن لهم سحرة كسحرتكم فإذا رأيتم ذلك فأذنوا .

حدثنا محمد بن يزيد الآدمي ، حدثنا معن بن عيسى عن جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : سئل رسول الله ﷺ عن الغيلان ؟ قال : هم سحرة الجن ، ورواه إبراهيم بن هراثة عن جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد عن جابر ووصله .

حدثنا محمد بن إدريس ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا أبو شهاب عن يونس عن الحسن عن سعد بن أبي وقاص قال : أمرنا إذا رأينا الغول أن ننادي بالصلاة .

وقال أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان الباغندي : حدثنا أحمد بن بكار بن أبي ميمونة ، حدثنا غياث عن خصيف عن مجاهد قال : كان الشيطان لا يزال يتزين لي إذا قمت إلى الصلاة في صورة ابن عباس قال : فذكرت قول ابن عباس فجعلت عندي سكيناً فتزين لي فحملت عليه فطعنته فوقع ، وله وجبة فلم أره بعد ذلك .
وذكر العتبي أن ابن الزبير رأى رجلاً طوله شبران على بردعة رحله فقال : ما أنت ؟ قال : إزب . قال : وما إزب ؟ قال : رجل من الجن فضربه على رأسه بعود السوط

حتى نـاص أي هرب . (إزب بكسـر الهمزة وإسكـان الزاي) . وقـد قال كثيـر من الناس إن الملائكة والجن إنما تـوصف بأنهـا قادرة على التمثـل والتصور على معنى أنها تقدر على تخييل وفعل ما يتوهم عنده انتقالها عن صورهـا فيدرك الـراؤون ذلك تخييلاً ويظنون أن المـرئي ملك أو شيطان ، وإنما ذلـك خيالات واعتقـادات يفعلها الله تعالى عند فعل البشر للناظرين فأما أن ينتقل أحد من صـورته على الحقيقـة إلى غيرها فذلك محال .

* * *

فصل : قد قدمنا أن مذهب المعتزلـة أن الجن أجسام رقـاق ولرقتهـا لا نراهـا وعندهم يجوز أن يكثف الله أجسام الجن في زمان الأنبيـاء دون غيره من الأزمنـة وأن يقويهم بخلاف ما هم عليه في غير أزمانهم .

قـال القاضي عبـد الجبار : ويـدل على ذلك مـا في القرآن الكـريم من قولـه تعالى في قصة سليمـان بن داود عليهما السـلام : « **إنه كثفهم لـه حتى كان النـاس يـرونهم وقواهم حتى كـانوا يعملون لـه الأعمال الشـاقة من المحـاريب والتمـاثيـل والجفان والقدور الراسيات والمقـرن في الأصفاد لا يكـون إلّا جسماً كثيفـاً** » . ثم قال بعد ذلك : « وأما أقداره إياهم وتكثيف أجسـامهم » في غير أزمـان الأنبياء فـإنه غير جائز لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون نقضاً للعادة .

قال أبو القاسم بن عساكر في كتاب : « سبب الـزهادة في الشهـادة » : وممن ترد شهادته ولا تسلم له عـدالته من يـزعم أنه يـرى الجن عيانـاً ويدعي أن لـه منهم إخواناً .

كتب إلي أبـو علي الحسن بن أحمد الحـداد من أصبهان ، أخبـرني أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن التستري ، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف سمعت بعض أصحابنا قـال التستري : أظنـه حرملة سمعت الشـافعي يقول : من زعم أنه يرى الجن أبطلنـا شهادتـه لقول الله تعـالى في كتابـه الكريم : ﴿ **إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** ﴾ [الأعراف: ٢٧] . وأنبأني محمـد بن الفضـل الفقيه عن أحمـد بن الحسن الحافظ ، أنـا أبو عبـد الرحمن السلمي أنبـأنـا الحسن بن رشيق إجازة قال : أنا عبد الرحمن بن أحمد الهـروي سمعت الربيـع بن سليمان يقول : سمعت الشـافعي يقول : من زعم من أهـل العدالـة أنه يـرى الجن

أبطلت شهادتـه لأن الله تعالى يقول : ﴿ **إنه يـراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** ﴾ إلَّا أن يكون نبياً .

* * *

فصل : قال أبو القاسم الأنصاري في المقنع في شرح الإرشاد : واعلم أن الله تعالى باين بين الملائكة والجن والإنس في الصور والأشكال كما باين بينهما في الصفات فمن حصل على بنية الإنسان ظاهراً أو باطناً فهو إنسان ، والإنسان اسم لهذه الجملة ألتي نشاهدها كما قال سبحانه : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة** ﴾ [المؤمنون: ١٢] الآية . قال أهل التفسير : خلقنا فيه الروح والحياة وقال تعالى : ﴿ **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه** ﴾ [الإنسان: ٢] الآية . وقال تعالى : ﴿ **قتل الإنسان ما أكفره . من أي شيء خلقه . من نطفة خلقه فقدره . ثم السبيل يسره . ثم أماته فأقبره . ثم إذا شاء أنشره** ﴾ [عبس: ١٧ ـ ٢٢] . وهذه الآيات وأمثالها تدل على بطلان قول من قال : الإنسان هو الروح ، بأن الروح لم تخلق من الطين ولا بد من النطفة وأنها لا تموت على زعم قائله ، ولا تقبر ولا تنشر فإن قلب الله تعالى الملك إلى بنية الإنسان ظاهراً وباطناً خرج عن كونه ملكاً وكذلك لو قلب الشيطان إلى بنية الإنسان لخرج بذلك عن كونه شيطاناً ، ومن الناس من قال : لو قلب الشيطان أو الملك إلى صورة الإنسان ظاهراً صار إنساناً ، ومن مسخ من بني إسرائيل قردة هل خرجوا عن كونهم ناساً بالمسخ وقلب الصورة الظاهر أنه يخرج على القولين ، ومما يدل على أن صورة الملك مخالفة لصورة الإنسان قوله تعالى : ﴿ **ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً** ﴾ [الأنعام: ٩] ، أي جعلناه على صورة البشر ظاهراً والله تعالى أعلم .

* * *

الباب السابع

في بيان أن بعض الكلاب من الجن

قال أبو عثمان سعيد بن العباس الرازي : أنا إبراهيم بن موسى ، أنا أبو الأحوص ، حدثنا سماك عن بشر سمعت ابن عباس يقول وهو على منبر البصرة : إن الكلاب من الجن وهي ضعفة الجن ، فمن غشيه كلب على طعام فليطعمه أو ليؤخره . أخبرنا إبراهيم أنا جرير عن الحسن بن عبيد الله عن سعيد بن عبيدة عن

أبي عبد الرحمن قال : قال علي : أما الجن فما قد عرفتم هي الجن ، أما الجن فهي الكلاب المعيبة . أخبرنا إبراهيم أنا وكيع عن إسرائيل وسفيان عن سماك بن حرب عن بشر عن ابن عباس قال : الكلاب من الجن فإذا غشيتكم عند طعامكم فالقوا لهن فإن لها نفساً . أخبرنا إبراهيم أنا القاسم بن مالك المدني الكوفي ، حدثنا خالد عن أبي قلابة عن النبي ﷺ قال : « لولا أن الكلاب أمة لأمرت بقتلها ولكن خفت أن أبيد أمة فاقتلوا منها كل أسود بهيم فإنه جنها » وقد أخبر ﷺ : « أن مرور الكلب الأسود يقطع الصلاة فقيل له : ما بال الأحمر من الأبيض من الأسود ؟ فقال : الكلب الأسود شيطان » ؛ فعلل بأنه شيطان وهو كما قال ﷺ : فإن الكلب الأسود شيطان الكلاب والجن تتصور بصورته كثيراً وكذلك بصورة القط الأسود لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره وفيه قوة الحرارة .

وقال القاضي أبو يعلى : فإن قيل : ما معنى قول النبي ﷺ في الكلب الأسود : إنه شيطان ومعلوم أنه مولود من كلب ، وكذلك قوله في الإبل : إنها جن وهي مولودة من الإبل ؟ وأجاب إنما قال ذلك على طريق التشبيه لها بالجن لأن الكلب الأسود أشر الكلاب وأقلها نفعاً ، والإبل تشبه الجن في صعوبتها وصولتها ، وهذا كما يقال : فلان شيطان إذا كان صعباً شريراً والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الثامن
في بيان مساكن الجن

قال أبو محمد ـ عبد الله بن محمد بن جعفر بن جعفر بن جبان الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ في الجزء الثاني عشر من كتاب العظمة وذكر باباً في الجن وخلقهم ـ : حدثنا محمد بن أحمد بن معدان ، حدثنا إبراهيم الجوهري ، حدثنا عبد الله بن كثير ، حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده عن بلال بن الحارث قال : نزلنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فخرج لحاجته وكان إذا خرج لحاجته يبعد فأتيته بأداوة من ماء فانطلق فسمعت عنده خصومة رجال ولغطاً ما سمعت أحد من ألسنتهم قال : اختصم الجن المسلمون والجن المشركون فسألوني أن أسكنهم فأسكنت المسلمين الجلس وأسكنت الجن المشركين الغور . قال الراوي عبد الله بن كثير : قلت لكثير : ما الجلس وما الغور ؟ قال : الجلس

القرى والجبال ، والغور ما بين الجبال والبحار ، وهي يقال لها : الجنوب . قال كثير : وما رأيت أحداً أصيب بالجلس إلاَّ سلم ولا أصيب بالغور إلاَّ لم يكد يسلم . ورواه الحافظ أبو نعيم عن أبي محمد بن حبان عن محمد بن أحمد بن معدان وعن سليمان بن أحمد ، حدثنا خالد بن النضر عن إبراهيم بن سعد الجوهري عن عبد الله بن كثير فذكره . وقال الزمخشري في ربيع الأبرار : تقول الأعراب : ربما نزلنا بجمع كثير ورأينا خياماً وأناساً ثم فقدناهم من ساعتنا يعتقدون أنهم الجن وأن تلك خيامهم وقبابهم . وروى مالك في الموطأ أنه بلغه أن عمر بن الخطاب أراد الخروج إلى العراق فقال له كعب الأحبار : لا تخرج يا أمير المؤمنين فإن بها تسعة أعشار السحر والشر وفيها فسقة الجن وبها الداء العضال .

وقال أبو بكر بن عبيد في « مكايد الشيطان » : حدثنا القاسم بن هشام ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا عبد العزيز بن الوليد بن أبي الثائب القرشي عن أبيه عن يزيد بن جابر قال : ما من أهل بيت من المسلمين إلاَّ وفي سقف بيتهم من الجن من المسلمين إذا وضع غذاؤهم نزلوا فتغدوا معهم وإذا وضع عشاؤهم نزلوا فتعشوا معهم يدفع الله بهم عنهم .

وقال ابن أبي داود : حدثنا أبو عبد الرحمن الأزرمي ، حدثنا هشام عن المغيرة عن إبراهيم قال : لا تبل في فم البالوعة لأنه إن عرض منه شيء كان أشد لعلاجه . حدثنا أحمد بن يحيى بن مالك حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن أبي الحسن قال : لا أرى بأساً أن يبول عند مثعبة وعن زيد بن أرقم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن هذه الحشوش محضرة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل : اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث » . رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة ورواه ابن حبان في صحيحه ولفظه : أن هذه الحشوش محضرة فإذا أراد أحدكم أن يدخل فليقل : أعوذ بالله من الخبث والخبائث . وروى ابن السني من حديث أنس عن رسول الله ﷺ قال : هذه محضرة فإذا دخل أحدكم الخلاء فليقل : بسم الله . وروى عبد الرزاق في جامعه من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال : إن هذه الحشوش محضرة فإذا دخلها أحدكم فليقل : اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث .

وقوله : محضرة يعني يحضرها الجن فإذا قال المخلي هذا الدعاء احتجب عن أبصارهم فلا يرون عورته .

فصل : يدل على اطلاع الجن على عورات الناس عند إتيان الخلاء ما رواه الترمذي من حديث علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال : « ستر ما بين أعين الجن وعورات أمتي إذا دخل أحدكم الخلاء أن يقول : بسم الله » أهـ . قال الترمذي : هذا غريب لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه وإسناده ليس بالقوي . وفي الصحيحين من حديث أنس كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء قال : « اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث » أهـ . ورواه سعيد بن منصور في سننه فقال : كان يقول : « بسم الله إني أعوذ بك من الخبث والخبائث »أهـ .

* * *

فصل : وغالب ما يوجد الجن في مواضع النجاسات كالحمامات والحشوش والمزابل والقمامين ، والشيوخ الذين تقرن بهم الشياطين وتكون أحوالهم شيطانية لا رحمانية يأوون كثيراً إلى هذه الأماكن التي هي مأوى الشياطين . وقد جاءت الآثار بالنهي عن الصلاة فيها لأنها مأوى الشياطين والفقهاء منهم من علل النهي بكونها مظنة النجاسة ومنهم من قال : إنه تعبد ولا يعقل معناه والصحيح أن العلة في الحمام وأعطان الإبل ونحو ذلك أنها مأوى الشياطين . وفي المقبرة أن ذلك ذريعة إلى الشرك مع أن المقابر تكون أيضاً مأوى الشياطين ، والمقصود أن أهل الضلال والبدع الذين فيهم زهد وعبادة على غير الوجه الشرعي ولهم أحياناً مكاشفات ولهم تأثيرات يأوون كثيراً إلى مواضع الشياطين التي نهي عن الصلاة فيها لأن الشياطين تتنزل عليهم فيها وتخاطبهم ببعض الأمور كما تخاطب الكهان وكما كانت تدخل في الأصنام وتكلم عابدي الأصنام وتفتنهم في بعض المطالب كما تفتن السحرة وكما يفتن عباد الأصنام الشمس والقمر والكواكب إذا عبدوها بالعبادات التي يظنون أنها تناسبها من تسبيح لها ولباس وبخور وغير ذلك فإنه قد تنزل عليهم شياطين يسمونها روحانية الكواكب ، وقد تقضي بعض حوائجهم إما قتل بعضهم أو إمراضه ، وأما جلب بعض من يهوونه أو إحضار بعض المال ، ولكن الضرر الذي يحصل لهم بذلك أعظم من النفع بل قد يكون أضعاف أضعاف النفع والله تعالى أعلم بالصواب .

* * *

الباب التاسع

فيما يمنع الشياطين من المبيت بمنازل الإنس

روى مسلم وأبو داود عن جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا ذكر اسم الله عند دخوله ولم يذكره عند طعامه يقول : أدركتم العشاء ولا مبيت لكم ، وإذا لم يذكر اسم الله عند دخوله قال : أدركتم المبيت والعشاء » .

* * *

الباب العاشر

في بيان القرين من الجن

روى مسلم وأحمد وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت : فغرت عليه قال فجاء فرأى ما أصنع فقال : ما لك يا عائشة أغرت ؟ فقلت : وما لي لا يغار مثلي على مثلك . فقال رسول الله ﷺ : أفأخذك شيطانك ؟ فقلت : يا رسول الله أومعي شيطان ؟ قال : نعم ، ومع كل إنسان . قلت : ومعك يا رسول الله ؟ قال : نعم ، ولكن ربي عزَّ وجلَّ أعانني عليه حتى أسلم . وفي لفظ آخر أعانني عليه فأسلم . (قال أبو سليمان الخطابي) : عامة الرواة يقولون : فأسلم على مذهب الفعل الماضي يريدون : إن الشيطان قد أسلم إلاَّ سفيان بن عيينة فإنه يقول : فأسلم من شره وكان يقول : الشيطان لا يسلم .

قال أبو الفرج بن الجوزي : وقول ابن عيينة حسن وهو يظهر أثر المجاهدة لمخالفة الشيطان إلاَّ أن حديث ابن مسعود كأنه يرد قول ابن عيينة وهو ما رواه أحمد بن حنبل قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أحد منكم إلاَّ وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة .. قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياي ولكن الله تعالى أعانني عليه فلا يأمرني إلاَّ بحق » . وفي رواية ما من أحد إلاَّ وقد وكل به قرينه من الجن قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا إلاَّ أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم فليس يأمرني إلاَّ بخير . انفرد بإخراجه مسلم . قال ابن الجوزي : وظاهره إسلام الشيطان ويحتمل القول الآخر .

وقال محمد بن يوسف الفريابي : حدثنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلَّا ومعه قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياي ولكن الله تعالى أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلَّا بخير » . وقد روي أيضاً من حديث شريك بن طارق يرفعه : « ليس أحد منكم إلَّا وله شيطان قالوا : ولك ؟ قال : ولي إلَّا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم » . رواه الجراح أبو وكيع والوليد بن أبي ثور وأبو عوانة في الآخرين عن زياد بن علاقة عن شريك .

قلت : وقد ورد إسلام القرين النبوي صريحاً لا يحتمل التأويل . فروى الحافظ أبو نعيم في كتاب : « الدلائل » فقال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري وإبراهيم بن عبد الله قالا : حدثنا محمد بن حمويه بن عباد (ح) . وحدثنا محمد بن إبراهيم ، حدثنا عبد الله بن محمد بن الفرج قالا : حدثنا محمد بن الوليد بن أبان أبو جعفر بمكة ، حدثنا إبراهيم بن صرمة ، حدثنا يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « فضلت على آدم بخصلتين كان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه حتى أسلم وكن أزواجي عوناً لي وكان شيطان آدم كافراً وزوجته عوناً على خطيئته » أهـ . فهذا صريح في إسلام قرين النبي ﷺ وأن هذا خاص بقرين النبي ﷺ فيكون ﷺ مختصاً بإسلام قرينه لقوله : « فضلت على آدم بخصلتين » وعد منهما إسلام قرينه .

قال أبو جعفر الطحاوي في مشكل الآثار في أثناء كلام ساقه في القرين وكان فيما رويناه عن رسول الله ﷺ في هذين الحديثين ما قد يحتمل أن يكون رسول الله ﷺ قد كان في ذلك كمن سواه من الناس ، ويحتمل أن يكون كان فيه بخلافهم فتأملنا ما روي في هذا الباب من سوى هذين الحديثين هل فيه ما يدل على شيء من ذلك فوجدنا فهذا قد حدثنا قال : حدثنا عبد الله بن رجاء ثم ساق بسنده عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : « ما منكم من أحد إلَّا وقد وكل به قرينه من الجن فقيل : وإياك ؟ قال : وإياي ولكن الله تعالى أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلَّا بخير » . ثم ساق بسنده عن جابر قال لنا النبي ﷺ : « لا تدخلوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم قيل : ومنك يا رسول الله ؟ قال : ومني ولكن الله تعالى أعانني عليه فأسلم » أهـ . ثم ساق بسنده عن عائشة

رضي الله عنها قالت : فقدت رسول الله ﷺ ليلة وكان معي على رأسي فوجدت رسول الله ﷺ ساجداً راصاً عقبيه مستقبلاً بأطراف أصابعه القبلة فسمعته يقول : « أعوذ بالله من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا أبلغ كل ما فيك فلما انصرف قال : يا عائشة أخذك شيطانك ؟ فقالت : أما لك شيطان ؟ قال : ما من آدمي إلَّا له شيطان . فقلت : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا ولكنني دعوت الله تعالى فأعانني عليه فأسلم » .

قال (أبو جعفر) فعرفنا أن رسول الله ﷺ قد كان في هذا المعنى كسائر الناس سواء وأن الله تعالى أعانه عليه بإسلامه الذي هداه له حتى صار ﷺ في السلامة منه بخلاف غيره من الناس فيمن هو معه من جنسه ، (فإن قال قائل) : فقد روي عن رسول الله ﷺ في هذا الباب شيء مما يجب أن يوقف على ارتفاع التضارب عنه وعما رويت مما قد كان رسول الله ﷺ خص به من إسلام شيطانه لكي يسلم منه ، وذكر في ذلك حديث أبي الأزهر الأنصاري أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال : « بسم الله وضعت جنبي اللهم إني أعوذ من واجس شيطاني وفك رهاني وثقل ميزاني واجعلني في الندي الأعلى » .

قيل له : هذا عندنا والله أعلم كان من رسول الله ﷺ قبل إسلامه شيطانه فلما أسلم استحال أن يكون عليه الصلاة والسلام يدعو الله تعالى فيه بذلك مع إسلامه الذي هو عليه والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الحادي عشر

في أن الجن يأكلون ويشربون

قال القاضي أبو يعلى : والجن يأكلون ويشربون ويتناكحون كما نفعل .

قلت : للناس في أكل الجن وشربهم ثلاثة أقوال وتتفرع إلى أربعة :

أحدها : أن جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون وهذا قول ساقط .

الثاني : أن صنفاً منهم يأكلون ويشربون ، وصنفاً لا يأكلون ولا يشربون ، ويشهد لهذا القول الأثر الآتي عن وهب عن كثب .

الثالث : أن جميع الجن يأكلون ويشربون واختلف أصحاب هذا القول في أكلهم وشربهم فقال بعضهم : أكلهم وشربهم تشمم واسترواح لا مضغ وبلع هذا

قول لا ينهض له دليل وقال الآخرون : أكلهم وشربهم مضغ وبلع وهذا القول هو الذي تشهد له الأحاديث الصحيحة والعمومات الصريحة ، ويدل على مضغهم وبلعهم حديث أمية بن مخشي من رواية أبي داود وفيه ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر الله تعالى استقاء ما في بطنه وسيأتي الحديث بكماله إن شاء الله تعالى في الباب الآتي بعده . قال أبو عمر بن عبد البر : حدثنا عبد الوارث بن سفيان ، حدثنا قاسم بن الأصبغ ، حدثنا محمد بن عبد السلام الخشني ، حدثنا المنيب بن واضح السلمي ، حدثنا الحكم بن محمد الطغري عن عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول وسئل عن الجن ما هم وهل يأكلون ويشربون ويتناكحون فقال : هم أجناس ، فأما خالص الجن فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون ، ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتوالدون ويتناكحون منهم السعالي والغول والقطرب وأشباه ذلك . وفي الصحيحين : أن الجن سألوا رسول الله ﷺ الزاد ؟ فقال : « كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد أحدهم أوفر ما يكون لحماً وكل بعر علف لدوابهم ، وزاد ابن سلام في تفسيره أن البعر يعود خضراً لدوابهم » أهـ . وقد نهى رسول الله ﷺ أن يستنجى بالعظم والروث في أحاديث متعددة ففي صحيح مسلم وغيره عن سلمان الفارسي قال : نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجي باليمين أو يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار وأن نستنجي برجيع أو عظم . وفي صحيح مسلم وغيره عن جابر قال : (نهى رسول الله ﷺ أن نتمسح بعظم أو ببعرة) أهـ . وكذلك ورد النهي عن ذلك في حديث خزيمة بن ثابت وغيره . وقد بيّن علة ذلك في حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : « أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد ؟ فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة علف لدوابكم فقال النبي ﷺ : فلا تستنجوا بهما لأنهما طعام إخوانكم » أهـ . وفي صحيح البخاري وغيره عن أبي هريرة : (أنه كان يحمل مع النبي ﷺ أداوة لوضوئه وحاجته فبينما هو يتبعه بها قال : من هذا ؟ قال : أنا أبو هريرة . فقال : ابغني أحجاراً أستفضل بها ولا تأتني بعظم ولا بروثة فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي حتى وضعت إلى جنبه ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيت فقلت : ما بال الروث والعظم ؟ قال : هما طعام الجن وأنه حين أتاني جن نصيبين ونعم الجن فسألوني الزاد فدعوت الله تعالى لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلّا وجدوا عليها طعاماً) أهـ .

* * *

فصل : لفظ الحديث في كتاب مسلم كل عظم ذكر اسم الله عليه ولفظه في كتاب أبي داود كل عظم لم يذكر اسم الله عليه وأكثر الأحاديث تدل على معنى رواية أبي داود .

وقال بعض العلماء : رواية مسلم في الجن المؤمنين ، والرواية الأخرى في حق الشياطين .

قال أبو القاسم السهيلي : وهذا قول صحيح تعضده الأحاديث ، وهذا فيه رد على من زعم أن الجن لا تأكل ولا تشرب ، وتأولوا قوله ﷺ إن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله على غير ظاهره ، وروى ابن العربي بسنده إلى جابر بن عبد الله قال : (بينا أنا مع رسول الله ﷺ يمشي إذ جاءت حية فقامت إلى جنبه فأدنت فاها من أذنه وكأنها تناجيه أو نحو هذا فقال النبي ﷺ : نعم فانصرفت ، قال جابر : فسألته فأخبرني أنه رجل من الجن وأنه قال : مر أمتك لا يستنجوا بالروث ولا بالرمة فإن الله جعل لنا في ذلك رزقاً) أ هـ . وقد تقدم حديث زيد بن جابر قال : ما من أهل بيت من المسلمين إلاّ وفي سقف بيتهم من الجن من المسلمين إذا وضع غداؤهم نزلوا فتغدوا معهم وإذا وضع عشاؤهم نزلوا فتعشوا معهم يدفع الله بهم عنهم ، فالقائلون : إن الجن لا تأكل ولا تشرب إن أرادوا أن جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون فهذا قول ساقط لمصادمته الأحاديث الصحيحة ، وإن أرادوا أن صنفاً منهم لا يأكلون ولا يشربون فهو محتمل غير أن العمومات تقتضي أن الكل يأكلون ويشربون وسيأتي في الأبواب أحاديث في أكلهم وشربهم .

قال القاضي عبد الجبار : وكون الرقيق لا يمتنع أن يكون ممن يأكل ويشرب كما لا يمنع كون اللطيف لطيفاً عن ذلك ، ثم احترز عن إشكال فقال : وإنما قلنا : إن الملائكة عليهم السلام لا يأكلون ولا يشربون لإجماع أهل الصلاة على ذلك وللأخبار المروية في ذلك ولكنا نقول علتهم في أنهم لا يأكلون أنهم أجسام رقاق والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الثاني عشر
في أن الشيطان يأكل ويشرب بشماله

روى مسلم ومالك وأبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمر : (أن

رسول الله ﷺ قال : لا يأكلن أحد منكم بشماله ، ولا يشربن بها فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها قال : وكان نافع يزيد ولا يأخذن بها ولا يعطي . وروى ابن عبد البر بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويعطي بشماله ويأخذ بشماله) أ هـ .

قال أبو عمر : في هذا الحديث دليل على أن الشياطين يأكلون ويشربون ، وقد حمل قوم هذا الحديث وما كان مثله على المجاز فقالوا في قوله : إن الشيطان يأكل بشماله أي أن الأكل بالشمال أكل يحبه الشيطان كما قيل في الحمرة : زينة الشيطان . وفي الاتعاظ بالعمامة عمة الشيطان أي أن الحمرة ومثل تلك العمامة يزينها الشيطان ويدعو إليها ، وكذلك يدعو إلى الأكل بالشمال والشرب بالشمال ويزينه .

قال أبو عمر : وهذا عندي ليس بشيء ولا معنى لحمل شيء من الكلام على المجاز إذا أمكنت فيه الحقيقة بوجه ما .

وقال آخرون : أكل الشيطان صحيح ولكنه تشمم واسترواح لا مضغ ولا بلع وإنما المضغ والبلع لذوي الجثث ويكون استرواحه وتشممه من جهة شماله ويكون بذلك مشاركاً في المال .

قال أبو عمر : أكثر أهل العلم بالتأويل يقول في قول الله تعالى : ﴿ **وشاركهم في الأموال والأولاد** ﴾ [الإسراء: ٦٤]. قالوا : الأموال الإنفاق في الحرام ، والأولاد في الزنا والله تعالى أعلم .

الباب الثالث عشر

فيما يمنع الجن من تناول طعام الإنس وشرابهم

روى مسلم وأبو داود عن حذيفة قال : (كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده ، وإنا حضرنا مرة معه طعاماً فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها ، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع فذهب ليضع يده فأخذ بيده فقال رسول الله ﷺ : إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت

بيدها فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به ، والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يدها) أ هـ . وروى أبو داود عن أمية بن مخشي رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ جالساً ، ورجل يأكل ولم يسم حتى إذا لم يبق من طعامه إلاَّ لقمة فلما رفعها إلى فيه قال : بسم الله أوله وآخره فضحك رسول الله ﷺ ثم قال : ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب : « مكايد الشيطان » : حدثنا محمد بن إدريس ، حدثنا عيسى بن أبي فاطمة الرازي ، حدثنا معاوية بن نفيل العجلي قال : كنت عند عنبسة بن سعيد قاضي الري فدخل عليه ثعلبة بن سهيل فقال له عنبسة : ما أعجب ما رأيت قال : كنت أضع شراباً لي أشربه في السحر فإذا جاء السحر جئت فلم أجد منه شيئاً فوضعت شراباً وقرأت عليه ﴿ يس ﴾ فلما كان السحر جئته فرأيته على حاله وإذا الشيطان أعمى يدور حول البيت . ورواه أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروي في كتاب العجائب فقال : حدثنا أبو زرعة الرازي ، حدثنا عيسى بن أبي فاطمة فذكره . وروى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة : (أن رسول الله ﷺ قال : إن الشيطان جساس لحاس فاحذروه على أنفسكم من بات وفي يده ريح غمر فأصابه شيء فلا يلومن إلاَّ نفسه) أ هـ . والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الرابع عشر

في أن الجنّ يتناكحون ويتناسلون

قال الله تعالى : ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ [الرحمن : ٥٦] ، وهذا يدل على أنه يتأتى منهم الطمث وهو الافتضاض يقال : طمثها طمثاً إذا افتضها .

قال ابن جرير في تهذيب الآثار : واختلفوا في الطمث فقال بعضهم : الطمث هو الجماع الذي يكون معه تدمية من فرج الأنثى عن الجماع ، ونقول ذلك الدم من فرج الأنثى عن الجماع هو الطمث .

وقال آخرون : الطمث هو المس بالمباشرة ، وحكى ذلك قائل عن العرب سماعاً أنها تقول : ما طمث هذا البعير حبل قط بمعنى ما مسه حبل قط .

وقال آخرون : الطمث هو الحيض نفسه قال والآية محتملة إلاَّ وجه الثلاثة .

قلت : الحيض بعيد واحتماله في المس ظاهر والله أعلم . وقال تعالى : ﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو** ﴾ [الكهف : ٥٠] . وهذا يدل على أنهم يتناكحون لأجل الذرية . قال القاضي عبد الجبار : الذرية هم الولد والأهل ورقتهم لا تمنع من كان ما يلده لطيفاً ، ألا ترى أنا قد نرى الحيوان ما لا يتبين للطافته إلاَّ بالتأمل ولا يمنع ذلك من أن يتوالدوا إذا كان ما يتوالدونه لطيفاً .

قال الزمخشري في الكشاف : ربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يحدها البصر الحاد إلاَّ إذا تحركت فإذا سكنت فالسكون يواريها ثم إذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ، ولعل في خلقه ما هو أصغر منها وأصغر : ﴿ **سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** ﴾ [يٓس : ٣٦] .

قلت : فهذه الدويبة لا تمنعها اللطافة المفرطة فسبحان القادر على كل شيء من التوالد : ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ [يٓس : ٨٢] .

* * *

الباب الخامس عشر
في أن الجن مكلفون بإجماع أهل النظر

قال أبو عمر بن عبد البر : الجن عند الجماعة مكلفون مخاطبون لقوله تعالى : ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ [الرحمن : ٥٧] . وقال الرازي في تفسيره : أطبق الكل على أن الجن كلهم مكلفون .

فصل : قال القاضي عبد الجبار : **لا نعلم خلافاً بين أهل النظر في أن الجن** مكلفون ، وقد حكى زرقان وغسان فيما ذكراه من المقالات عن الحشوية أنهم مضطرون إلى أفعالهم وأنهم ليسوا مكلفين .

قال : والدليل على أنهم مكلفون ما في القرآن من ذم الشياطين ولعنهم والتحرز من غوائلهم وشرهم وذكر ما أعد الله لهم من العذاب ، وهذه الخصال لا يفعلها الله تعالى إلاَّ لمن خالف الأمر والنهي وارتكب الكبائر وهتك المحارم مع

تمكنه من أن لا يفعل ذلك وقدرته على فعل خلافه ، ويدل على ذلك أيضاً بأنه كان من دين النبي ﷺ لعن الشياطين والبيان عن حالهم وأنهم يدعون إلى الشر والمعاصي ويوسوسون بذلك ، وهذا كله يدل على أنهم مكلفون وقوله تعالى : ﴿ **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن** ﴾ [الجن:١] ، إلى قوله : ﴿ **فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً** ﴾ [الجن:٢] ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على تكليفهم وأنهم مأمورون منهيون انتهى .

* * *

الباب السادس عشر

في أنه هل كان في الجن أنبياء قبل بعثة النبي ﷺ

جمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أنه لم يكن من الجن قط رسول ولم تكن الرسل إلاَّ من الإنس ، ونقل معنى هذا عن ابن عباس وابن جريج ومجاهد والكلبي وأبي عبيد والواحدي . وقد قدمنا في أواخر الباب الثاني ما ذكره إسحاق بن بشر في المبتدأ عن ابن عباس : أن الجن قتلوا نبياً لهم قبل آدم اسمه يوسف وأن الله تعالى بعث إليهم رسولاً وأمرهم بطاعته .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا عبيد بن سليمان قال : سئل الضحاك عن الجن هل كان فيهم من نبي قبل أن يبعث النبي ﷺ ؟ فقال : ألم تسمع إلى قوله تعالى : ﴿ **يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم** ﴾ [الأنعام:١٣٠] . يأتي يعني بذلك أن رسلاً من الإنس ورسلاً من الجن قالوا : بل ثم قال ابن جرين : أما الذين قالوا بقول الضحاك فإنهم قالوا : إن الله أخبر أن من الجن رسلاً أرسلوا إليهم قالوا : ولو جاز أن يكون خبره عن رسل الجن بمعنى أنهم رسل الإنس جاز أن يكون خبره عن رسل الإنس بمعنى أنهم رسل الجن . قالوا : وفي فساد هذا المعنى ما يدل على أن الخبرين جميعاً بمعنى الخبر عنهم أنهم رسل الله تعالى لأن ذلك هو المعروف في الخطاب دون غيره . وقال ابن حزم : لم يبعث إلى الجن نبي من الإنس البتة قبل محمد ﷺ لأنه ليس الجن من قوم الإنس وقد قال النبي ﷺ : وقد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة . قال ابن حزم : وباليقين ندري أنهم قد أنذروا وأفصح أنهم جاءهم أنبياء منهم . قال الله تعالى : ﴿ **يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل**

منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ [الأنعام : ١٣٠] . قلت : ويدل على ما قاله الضحاك ما رواه الحاكم فقال : حدثنا أحمد بن يعقوب الثقفي ، حدثنا عبيد بن عنام ، حدثنا علي بن حكيم ، حدثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس قال : ومن الأرض مثلهن . قال : (سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوح وإبراهيم كإبراهيم وعيسىٰ كعيسىٰ) . قال شيخنا الذهبي إسناده حسن .

قلت : وله شاهد . قال الحاكم : حدثنا عبد الله بن الحسن ، حدثنا إبراهيم بن الحسين ، حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ﴾ [الطلاق : ١٢] ، قال : في كل أرض نحو إبراهيم ﷺ . قال شيخنا الذهبي : هذا حديث على شرط البخاري ومسلم رجاله أئمة . وتأول الجمهور الآية على ما نقل عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج وأبي عبيد بما معناه رسل الإنس رسل من الله تعالى إليهم ورسل إلى قوم من الجن ليسوا رسلاً عن الله تعالى ، بعثهم الله تعالى في الأرض فسمعوا كلام رسل الله تعالى الذين هم من آدم وعادوا إلى قومهم من الجن فأنذروهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

الباب السابع عشر

في بيان أن الجن داخلون في عموم بعثة النبي ﷺ

لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في أن الله تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الجن والإنس . وثبت في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي إلى أن قال : وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة . قال ابن عقيل : الجن داخلون في مسمى الناس لغة . وقال الراغب : الناس جماعة حيوان ذي فكر وروية ، والجن لهم فكر وروية والناس من ناس ينوس إذا تحرك . وقال الجوهري : الناس قد يكون من الإنس ومن الجن وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : بعثت إلى الأحمر والأسود . واختلفت العلماء في المعنى المراد من الأحمر والأسود هنا فقيل : هم العرب والعجم لأن الغالب على العجم الحمرة والبياض وعلى العرب الأدمة والسواد . وقيل : أراد الإنس والجن ،

وقيل : أراد الأحمر والأبيض مطلقاً فإن العرب تقول : امرأة حمراء أي بيضاء ويؤيد **قول من قال إنهم الجن أن إطلاق السواد على الجن صحيح باعتبار مشابهتهم للأرواح والأرواح يقال لها** : اسودة كما في حديث الإسراء : (أنه رأى آدم وعن يمينه اسودة وعن شماله اسودة وأنها نسم بنيه) . وفي حديث ابن مسعود : (ليلة الجن فغشيته اسودة حالت بيني وبينه) . وروى رشمة بن موسى من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : (أرسلت إلى الجن والإنس وإلى كل أحمر وأسود) . قال ابن عبد البر : ولا يختلفون أن محمداً رسول الله ﷺ إلى الإنس والجن بشيراً ونذيراً وهذا مما فضل به على الأنبياء أنه بعث إلى الخلق كافة الجن والإنس وغيره لم يرسل إلَّا لمكان قومه ﷺ وعلى سائر الأنبياء . وكذلك نقل ابن حزم وكثيراً ما تذكر العلماء في تصانيفهم كونه ﷺ مبعوثاً إلى الثقلين . وقال إمام الحرمين في الإرشاد في الرد على العيسوية : وقد علمنا ضرورة أنه ﷺ ادعى كونه مبعوثاً إلى الثقلين .

وقال الشيخ أبو العباس بن تيمية : أرسل الله محمداً إلى جميع الثقلين الإنس والجن ، وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته ، وأن يحللون ما حلل الله ورسوله ﷺ ، ويحرمون ما حرم الله ورسوله ﷺ ، وأن يوجبوا ما أوجب الله ورسوله ﷺ ، ويحبوا ما أحب الله ورسوله ﷺ ، ويكرهوا ما كره الله ورسوله ﷺ ، وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن ، فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى كما يستحق أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسل وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وسائر الطوائف المسلمين أهل السنة والجماعات وغيرهم . قلت : وقد أخبر الله تعالى في القرآن أن الجن استمعوا القرآن وأنهم آمنوا به كما قال الله تعالى : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن** ﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿ **أولئك في ضلال مبين** ﴾ [الأحقاف: ٣٢]، ثم أمره أن يخبر الناس بذلك فقال : ﴿ **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن** ﴾ ، السورة بكمالها فأمره بقول ذلك ليعلم الإنس بأحوال الجن وأنه مبعوث إلى الإنس والجن ولما في ذلك من هدي الإنس والجن إلى ما يجب عليهم من الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ واليوم الآخر وما يجب من طاعة الله ورسوله ﷺ ومن تحريم الشرك بالجن وغيرهم كما قال في السورة : ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً** ﴾ [الجن: ٦] ؛ فإنه كان الرجل من الإنس ينزل

بالوادي والأودية مظان الجن فإنهم يكونون بالأودية أكثر مما يكونون بأعالي الأرض فكان الإنسي يقول : أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه . روي أن حجاج بن علاط السلمي والد نصر بن حجاج الذي قيل فيه :

أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

قدم مكة في ركب فأجنهم الليل بواد مخوف موحش فقال له الركب : قم فخذ لنفسك أماناً ولأصحابك فجعل يطوف بالركب ويقول :

أعيذ نفسي وأعيذ صحبي من كل جني بهذا النقب
حتى أؤوب سالماً وركبي

فسمع قارئاً يقرأ : ﴿ **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا** ﴾ [الرحمن: ٣٣] ، الآية ، فلما قدم مكة خبر كفار قريش بما سمع فقالوا : صبأت يا أبا كلاب إن هذا يزعم أن محمداً ﷺ أنزل عليه . قال : والله لقد سمعته وسمعه هؤلاء معي . ثم أسلم وحسن إسلامه وهاجر إلى المدينة وبنى بها مسجداً يعرف به ولما رأت الجن أن الإنس تستعيذ بهم زاد طغيانهم وعتوهم ، وبهذا يجيبون المعزم والراقي بأسمائهم وأسماء ملوكهم فإنه يقسم عليهم بأسماء من يعظمونه فيحصل لهم ذلك من الرئاسة والشرف على الإنس ما يحملهم على أن يعطوهم بعض سؤلهم وهم يعلمون أن الإنس أشرف منهم وأعظم قدراً فإذا خضعت الإنس لهم واستعاذتهم كان بمنزلة أكابر الناس إذا خضع لأصاغرهم ليقضي له حاجته . قلت قول النفر الذين استمعوا القرآن لقومهم : ﴿ **يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم** ﴾ [الأحقاف: ٣١] ، صريح ظاهر في بعثته إليهم وانقيادهم للإيمان به وقول النفر : ﴿ **ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين** ﴾ [الأحقاف: ٣٢] . صريح في أن من لم يؤمن بالنبي ﷺ من الجن فهو كافر وبالله العصمة والتوفيق .

الباب الثامن عشر

في بيان انصراف الجن إلى النبي ﷺ واستماعهم القرآن

قال ابن إسحاق : لما أيس رسول الله ﷺ من خبر ثقيف انصرف عن الطائف راجعاً إلى مكة حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به النفر من الجن الذين ذكر **الله** تعالى وهم فيما ذكر لي سبعة نفر من أهل جن نصيبين فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا فقص الله تعالى خبرهم عليه فقال تعالى : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أليم** ﴾ [الأحقاف:٢٩ - ٣١] .ثم قال تعالى :﴿ **قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن** ﴾ [الجن : ١] ، إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة . وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال : ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم . انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا : ما ذاك إلاَّ من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها . فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا : يا قومنا الآية ، فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ : ﴿ **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن** ﴾ [الجن : ١] .

قلت : وهذا النفي من عبد **الله** بن عباس إنما هو حيث استمعوا التلاوة في صلاة الفجر ولم يرد به نفي الرؤية والتلاوة مطلقاً ويدل عليه أن ابن عباس قال في قوله تعالى : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن** ﴾ [الأحقاف: ٢٩] . الآية ، قال : كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول **الله** ﷺ رسلاً إلى قومهم فعلم أن ابن عباس لم ينف كلامه ﷺ إلاَّ حيث استمعوه في صلاة الفجر ولم يرد نفي الكلام بعد ذلك . وقوله : فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم دل على أنه كلمهم بعد ذلك ولهذا قالوا : ﴿ **يا قومنا أجيبوا داعي الله** ﴾ ، فدل على أنه دعاهم لما اجتمعوا به قبل عودهم إلى قومهم ولم يرد بالنفي أيضاً اجتماع النبي ﷺ في الليلة التي خط على عبد الله بن مسعود خطاً وقال له : لا تبرح حتى آتيك . وقال البيهقي : هذا

الـذي حكاه عبـد الله بن عباس إنمـا هـو في أول مـا سمعت الجن قـراءة النبي ﷺ وعلمت حـاله ، وفي ذلـك الوقت لم يقـرأ عليهم ولم يرهم كمـا حكاه ، ثم أتـاهم داعي الجن مرة أخرى فذهب معه وقرأ عليهم القرآن كما حكاه عبد الله بن مسعود .

وقـال : وأراني آثارهم وآثـار نيـرانهم والله أعلم . وعبـد الله بن مسعـود حفظ القصتين جميعاً فرواهما ثم ساق البيهقي بسنده إلى أبي بكر بن أبي شيبـة ، حدثنـا أحمد الزبيري ، حدثنا سفيان بن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود قال : هبطوا على النبي ﷺ وهُو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوا قالوا : أنصتوا . قالـوا : صه وكانوا تسعة أحدهم زوبعـة فأنـزل الله : ﴿ وإذ صرفنـا إليك نفـراً من الجن ﴾ إلى قوله : ﴿ مبين ﴾ [الأحقاف : ٢٩ ـ ٣٢] . وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه ﷺ آذنته شجـرة ثم ساق القصـة الأخرى عن علقمـة . قلت لابن مسعود : هـل صحب رسول الله ﷺ ليلة الجن منكم أحد . الحديث وسيأتي .

وقال القرطبي : حديث ابن عباس هذا معناه لم يقصدهم بالقـراءة وعلى هذا فلم يعلم رسول الله ﷺ باستماعهم ولا كلمهم وإنما أعلمه الله تعالى بقوله : ﴿ قـل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن ﴾ .

وقال الشيخ أبو العباس بن تيمية : ابن عباس كان قد علم ما دل عليه القـرآن من ذلـك ولم يعلم ما علمـه ابن مسعود وأبـو هريـرة وغيرهمـا من إتيـان الجن إليـه ومخاطبته إياهم وأنه ﷺ أخبره ربه بذلك وأمره أن يخبر به وكان ذلـك في أول الأمر لما حرست السماء وحيل بينهم وبين خبر السماء وملئت حـرساً شـديداً ، وكـان في ذلك من دلائل النبوة ما فيه عبرة . وبعد هذا أتوه وقرأ عليهم ، وروي أنه قرأ عليهم سورة الرحمن وصار كلما قال : ﴿ فبأي آلاء ربما تكذبان ﴾ ، قالوا : ولا بشيء من آلاء ربنا نكذب فلك الحمد .

قال : عبد الله بن مسعود أعلم بقصة الجن من عبد الله بن عباس فإنه حضرها وحفظها وابن عباس كان إذ ذاك طفلاً رضيعاً ، فقد قيل : إن قصة الجن كانت قبـل الهجرة بثلاث سنين . وقال الواقدي : كانت سنة إحدى عشرة من النبوة وابن عباس في حجة الوداع كان ناهز الاحتلام والله أعلم .

قـال السهيلي : وفي التفسير أنهم كـانوا يهـوداً ولـذلـك قـالـوا : ﴿ من بعـد موسى ﴾ ، ولم يقولـوا : من بعد عيسى . ذكـره ابن سلام وكـان صرف الله تعـالى

الجن قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين وقبل الإسراء ، وذكر الواقدي أن رسول الله ﷺ خرج إلى الطائف لثلاث بقين من شوال وأقام خمساً وعشرين ليلة وقدم مكة لثلاث وعشرين خلت من ذي القعدة يوم الثلاثاء وأقام بمكة ثلاثة أشهر وقدم عليه جن الحجون في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من النبوة .

* * *

فصل : واختلف في عددهم (فقال ابن إسحاق) : كانوا سبعة . وحكى ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد قال : كانوا سبعة ثلاثة من أهل حران وأربعة من أهل نصيبين . وحكى الثوري عن عاصم عن زر : كانوا تسعة ، وعن عكرمة قال : كانوا اثني عشر ألفاً .

قال السهيلي : وقد ذكروا بأسمائهم في التفاسير والمسندات وهم شاصر وماصر ، ومنشي وماشي ، والأحقب . وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد قال : ووجدت في خبر حدثني به أبو بكر بن طاهر الأشبيلي القيسي عن أبي علي الغساني في فضائل عمر بن عبد العزيز قال : بينما عمر بن عبد العزيز يمشي بأرض فلاة فإذا حية ميتة فكفنها بفضلة من ردائه ودفنها فإذا قائل يقول : يا سرق أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول لك : ستموت بأرض فلاة فيكفنك ويدفنك رجل صالح . فقال : من أنت يرحمك الله ؟ فقال : رجل من النفر الذين سمعوا القرآن من رسول الله ﷺ لم يبقَ منهم إلاَّ أنا وسرق وهذا سرق قد مات . وروى أبو بكر بن أبي الدنيا فقال : حدثنا محمد بن الحسين ، حدثنا يوسف بن الحكم الرقي ، حدثني فياض بن محمد الرقي : أن عمر بن عبد العزيز بينا هو يسير على بغلة ومعه ناس من أصحابه إذا هو بجان ميت على قارعة الطريق فنزل عن بغلته فأمر به فعدل به عن الطريق ثم حفر له فدفنه وواراه ثم مضى فإذا بصوت عال يسمعونه ولا يرونه ليهنك البشارة من الله يا أمير المؤمنين أنا وصاحبي هذا الذي دفنته آنفاً من النفر من الجن الذي قال الله تعالى : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن** ﴾ ، فلما أسلمنا وآمنا بالله وبرسوله قال رسول الله ﷺ لصاحبي المدفون : ستموت في أرض غربة يدفنك فيها يومئذٍ خير أهل الأرض . وذكر ابن سلام من طريق أبي إسحاق السبيعي عن أشياخه عن ابن مسعود أنه كان في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يمشون فرفع لهم إعصار ثم جاء إعصار أعظم منه ثم انقشع فإذا حية قتيل فعمد رجل منا إلى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل إذ

امرأتان تسألان : أيكم دفن عمرو بن جابر ؟ فقلنا : ما ندري من عمرو بن جابر. فقالت : إن كنتم ابتغيتم الأجر فقد وجدتموه إن فسقة الجن اقتتلوا مع المؤمنين فقتل عمرو وهو الحية التي رأيتم وهو من الذين استمعوا القرآن من محمد ﷺ ثم ولوا إلى قومهم منذرين .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن عباد بن موسى العكلي ، حدثنا مطلب بن زياد الثقفي ، حدثنا أبو إسحاق : أنا ناساً من أصحاب النبي ﷺ كانوا في سفر لهم وأن حيتين اقتتلتا فقتلت إحداهما الأخرى فعجبوا من طيب ريحها وحسنها ، فقام بعضهم فلفها في خرقة ثم دفنها فإذا قوم يقولون : السلام عليكم ، السلام عليكم لا يرونهم إنكم دفنتم عمراً . إن مسلمينا وكفارنا اقتتلوا فقتل المسلم الذي دفنتم وهو من الرهط الذين أسلموا مع النبي ﷺ . حدثنا محمد بن عياد ، حدثني محمد بن زياد ، حدثني أبو مصبح الأسدي ، حدثني يحيى بن صالح عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم عن حذيفة بن غانم العدوي قال : خرج حاطب بن أبي بلتعة من حائط يقال له : قران يريد النبي ﷺ حتى إذا كان بالمسحاء التفت عليه عجاجتان ، ثم انجلتا عن حية لين الحوران يعني الجلد فنزل ففحص له نسبة قوسه ثم واراه فلما كان الليل إذا هاتف يهتف به :

يا أيها الراكب المزجي مطيته ... أربع عليك سلام الواحد الصمد
واريت عمراً وقد ألقى كلاكله ... دون العشيرة كالضرغامة الأسد
وأشجع حاذر في الركب منزله ... وفي الحياء من العذراء في الخلد

* * *

فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال : ذاك عمرو بن الجومانة وافد نصيبين الشامية لقيه محصن بن جوشن النصراني فقتله . أما أني قد رأيتها يعني نصيبين ، فرفعها إلى جبريل عليه السلام فسألت الله تعالى أن يعذب نهرها ويطيب ثمرها ويكثر مطرها .
وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا الحسن بن جهور ، حدثني ابن أبي إلياس عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عمه عن معاذ بن عبد الله بن معمر قال : كنت جالساً عند عثمان بن عفان فجاء رجل فقال : ألا أخبرك يا أمير المؤمنين عجباً : بينا أن بفلاة كذا وكذا إذا إعصاران قد أقبلا أحدهما من ههنا والآخر من ههنا فالتقيا فتعاركا ثم تفرقا وإذا أحدهما أكبر من الآخر فجئت معتركهما فإذا من الحيات شيء ما رأت عيناي مثله قط كثرة ، وإذا ريح المسك من بعضها ، وإذا

حية دقيقة صفراء ميتة فقمت فقلبت الحيات كيما أنظر من أيها هو فإذا ذلك من حية صفراء دقيقة فظننت أن ذلك الخير فيها فلففتها في عمامتي ودفنتها . فبينا أنا أمشي فناداني مناد ولا أراه فقال : يا عبد الله ما هذا الذي صنعت ؟ فأخبرته بالذي رأيت ووجدت فقال : إنك قد هديت ذانك حيان من الجن بنو الشيطان ، وبنو قيس التقوا فاقتتلوا فكان بينهم من القتلى ما قد رأيت واستشهد الذي دفنت وكان أحد الذين سمعوا الوحي من النبي ﷺ . ورواه الحافظ أبو القاسم الطبري عن مطلب بن شعيب : حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن معاذ . وساقه الحافظ أبو نعيم عن الليث بن سعد عن عبد العزيز عن عمه عن معاذ . كما رْواه ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن الحسين ، حدثني أبو الوليد الكندي حدثنا كثير بن عبد الله أبو هاشم التاجي قال : دخلنا على أبي رجاء العطاردي فسألناه : هل عندك علم من الجن ممن بايع النبي ﷺ ؟ فتبسم وقال : أخبركم بالذي رأيت وبالذي سمعت : كنا في سفر حتى إذا نزلنا على الماء وضربنا أخبيتنا وذهبت أقيل فإذا أنا بحية دخلت الخباء وهي تضطرب فعمدت إلى إداوتي فنضحت عليها من الماء فسكنت حتى أذن مؤذن بالرحيل فقلت لأصحابي : انتظروني أعلم حال هذه الحية إلى ما تصير فلما صلينا العصر ماتت فعمدت إلى عيبتي فأخرجت منها خرقة بيضاء فلففتها وحفرت لها ودفنتها ، وسرنا بقية يومنا وليلتنا حتى إذا أصبحنا ونزلنا على الماء وضربنا أفنيتنا وذهبت أقيل وإذا أنا بأصوات سلام عليكم مرتين لا واحد ولا عشرة ولا مائة ولا ألف أكثر من ذلك فقلت : من أنتم ؟ قالوا : نحن الجن بارك الله عليك فيما اصطنعت إلينا ما نستطيع أن نجازيك قلت : ما اصطنعت إليكم ؟ قالوا : إن الحية التي ماتت عندك كان ذلك آخر من بقي ممن بايع النبي ﷺ من الجن .

قلت : ورواه الحافظ أبو نعيم فقال : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، أنبأنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار ، حدثنا بشر بن الوليد الكندي وقال فيه : لا واحد ولا عشرة ولا مائة ولا ألفاً أكثر من ذلك .

قلت : وقد تقدم من أسمائهم ما ذكره ابن دريد : شاصر وماصر ، ومنشي ، وماشي ، والأحقب . وساق الحافظ أبو نعيم بسنده عن ابن إسحاق قال : وأسماؤهم فيما ذكر لي حسـ ، ومسا وشاصر وماصر ، وابن الأزب ، وأنين ، والأخصم . وأخبر النبي ﷺ بعمرو بن الجومانة الذي دفنه حاطب بن أبي بلتعة .

ومنهم سرق الذي دفنه عمر بن عبد العزيز ، ومنهم زوبعة ، وعمرو بن جابر المذكورون في حديث ابن مسعود . فهؤلاء تسعة مذكورون بأسمائهم والله أعلم .

* * *

الباب التاسع عشر

في قراءة النبي ﷺ القرآن على الجن واجتماعه بهم بمكة والمدينة

روى مسلم وأبو داود عن علقمة قال : قلت لابن مسعود : هل صحب النبي ﷺ ليلة الجن أحد منكم ؟ قال : ما صحبه منا أحد ، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا : استطير أو اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء فقلنا : يا رسول الله افتقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم قال : أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم فسألوه الزاد فقال : « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله ﷺ : فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم » أ هـ . رواه الإمام أحمد . وسألوه الزاد بمكة وكانوا جن الجزيرة .

قلت : هذه الليلة غير الليلة التي حضر أولها ابن مسعود مع النبي ﷺ فإن تلك أعلمهم النبي ﷺ بذهابه إلى الجن . وذهب ابن مسعود معه وخط النبي ﷺ له خطاً وغاب عنه ثم عاد إليه . فروى البيهقي في دلائل النبوة : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو الحسن عبيد الله بن محمد البلخي ببغداد من أصل كتابه ، حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل السلمي ، حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح ، حدثني الليث بن سعد ، حدثني يونس بن يزيد عن ابن شهاب ، أخبرني أبو عثمان بن سلمة الخزاعي وكان رجلاً من أهل الشام أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول : إن رسول الله ﷺ قال لأصحابه وهو بمكة : « من أحب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فليفعل فلم يحضر أحد منهم غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خط برجله خطاً ثم أمرني أن أجلس فيه ، ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما سمع صوته ، ثم انطلقوا فطفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط . وفرغ رسول الله ﷺ مع الفجر وانطلق

فبرز ثم أتاني فقال : ما فعل الرهط ؟ فقلت : هم أولئك يا رسول الله . فأخذ عظماً وروثاً فأعطاهم زاداً ثم نهى أن يستطيب أحد بعظم أو روث » . ووقع في بعض الروايات : قال ابن مسعود : (سمعت الجن تقول للنبي ﷺ : من يشهد أنك رسول الله ؟ وكان قريباً من ذلك شجرة فقال لهم النبي ﷺ : أرأيتم إن شهدت هذه الشجرة أتؤمنون ؟ قالوا : نعم . فدعا النبي ﷺ فأقبلت قال ابن مسعود : فلقد رأيتها تجر أغصانها فقال لها النبي ﷺ : تشهدين أني رسول الله ؟ قالت : أشهد أنك رسول الله) أ هـ . قال البيهقي : يحتمل قوله في الحديث الصحيح ما صحبه منا أحد أراد به في حال ذهابه لقراءة القرآن عليهم ، إلاَّ أن ما روي في هذا الحديث من إعلام أصحابه بخروجه إليهم يخالف ما روي في الحديث الصحيح من فقدهم إياه حتى قيل : اغتيل أو استطير إلاَّ أن يكون المراد بمن فقد غير الذي علم بخروجه والله أعلم .

قلت : ظاهر كلام ابن مسعود ففقدناه فالتمسناه وبتنا بشر ليلة يدل على أنه فقده والتمسه وبات بشر ليلة . وفي هذا الحديث قد علم بخروجه وخرج معه ورأى الجن ولم يفارق الخط الذي خطه له النبي ﷺ حتى عاد إليه بعد الفجر فكيف يستقيم قول البيهقي أن يكون المراد بمن فقده غير الذي علم بخروجه . وإذا قلنا : إن ليلة الجن كانت متعددة صح معنى الحديثين وظاهر كلام السهيلي أن ليلة الجن واحدة وفيه نظر كما ترى والله أعلم .

* * *

ولا شك أن الجن تعددت وفادتهم على النبي ﷺ بمكة والمدينة بعد الهجرة ، وحضر ابن مسعود ذلك معه بالمدينة أيضاً ، كما ساقه الحافظ أبو نعيم في دلائل النبوة فقال : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن عبدة المصيصي ، حدثنا أبو ثوبة الربيع بن نافع ، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن أسلم أنه سمع أبا سلام يقول : حدثني من حدثه عمرو بن غيلان الثقفي قال : أتيت عبد الله بن مسعود فقلت له : حدثت أنك كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن فقال : أجل . فقلت : حدثني كيف كان شأنه ؟ فقال : إن أهل الصفة أخذ كل رجل منهم رجلاً يعشيه وتركت فلم يأخذني أحد فمر بي رسول الله ﷺ فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا ابن مسعود . فقال : ما أخذك أحد يعشيك ؟ فقلت : لا . قال : فانطلق لعلي أجد لك شيئاً . قال : فانطلقنا حتى أتى حجرة أم سلمة فتركني رسول الله ﷺ قائماً

ودخل إلى أهله ثم خرجت الجارية فقالت : يا ابن مسعود إن رسول الله ﷺ لم يجد لك عشاء فارجع مضجعك فرجعت إلى المسجد فجمعت حصا المسجد فتوسدته والتفت بثوبي فلم ألبث قليلاً حتى جاءت الجارية فقالت : عبد الله بن مسعود أجب رسول الله ﷺ فاتبعتها وأنا أرجو العشاء حتى إذا بلغت مقامي خرج رسول الله ﷺ وفي يده عسيب من نخل فرض به على صدري فقال : انطلق معي حيث انطلقت قلت : ما شاء الله فأعادها عليّ ثلاث مرات كل ذلك أقول : ما شاء الله . فانطلق وانطلقت معه حتى أتينا بقيع الفرقد فخط بعصاه خطة ثم قال : اجلس فيها ولا تبرح حتى آتيك فانطلق يمشي وأنا أنظر إليه خلال النخل حتى إذا كان من حيث أراه ثارت مثل العجاجة السوداء ففرقت فقلت : ألحق برسول الله ﷺ فإني أظن هؤلاء هوازن مكروا برسول الله ﷺ ليقتلوه فأسعى إلى البيوت فأستغيث الناس فذكرت أن رسول الله ﷺ أمرني أن لا أبرح مكاني الذي أنا فيه فسمعت رسول الله ﷺ يفزعهم بعصاه ويقول : اجلسوا فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح . ثم ثاروا وذهبوا فأتاني رسول الله ﷺ فقال : أنمت بعدي ؟ قلت : لا والله ولقد فزعت الفزعة الأولى حتى رأيت أن آتي البيوت فأستغيث حتى سمعتك تقرعهم بعصاك وكنت أظن هوازن مكروا برسول الله ﷺ ليقتلوه قال : لو أنك خرجت من هذه الحلقة ما أمنت عليك أن يخطفك بعضهم ، فهل رأيت من شيء ؟ قلت : رأيت رجالاً سوداً مستدفرين عليهم ثياب بيض فقال رسول الله ﷺ : أولئك وفد جن نصيبين فسألوني المتاع والزاد فمتعتهم بكل عظم حائل أو روثة أو بعرة قلت : وما يغني عنهم ذلك ؟ قال : إنهم لا يجدون عظماً إلاّ وجدوا عليه لحمه الذي كان عليه يوم أكل ولا روثة إلاّ وجدوا عليها حبها الذي كان فيها يوم أكلت ، فلا يستنجي أحد منكم بعظم ولا روثة . فهذه الليلة مع الجن كانت بالمدينة وحضرها ابن مسعود وجلس في الخطة ببقيع الفرقد .

وروى الإمام أحمد عن عبد الرزاق عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال : كنت مع النبي ﷺ ليلة وفد الجن فتنفس فقلت : مالك يا رسول الله ؟ قال : نعيت إليّ نفسي يا ابن مسعود . قلت : استخلف ؟ قال : من ؟ قلت : أبو بكر قال : فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس فقلت : ما شأنك بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؟ قال : نعيت إليّ نفسي يا ابن مسعود قلت : استخلف ؟ قال : من ؟ قلت : عمر فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس فقلت : ما شأنك ؟ قال : نعيت إليّ نفسي يا ابن

مسعود قلت : فاستخلف ؟ قال : من ؟ قلت : علي ، قال : « أما والذي نفسي بيده لئن أطاعوه لتدخلن الجنة أكتعين » أ هـ . وهذا الحديث لم يذكر فيه أنه كان بالمدينة والظاهر أنه كان بالمدينة لأن ليلة الجن بمكة لم يكن علي إذ ذاك في رتبة الاستخلاف لأنه كان شاباً حينئذٍ لأنه توفي في شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة عن ثمان وخمسين سنة ، وقيل عن خمس ، وقيل عن ثلاث وستين وقد قدمنا أن ليلة الجن كانت بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين فيكون عمره إذ ذاك خمس عشرة سنة أو أقل منها أو عشرين سنة .

ونقل الحافظ أبو القاسم بن عساكر أن مولده سنة ثلاث وثلاثين من الفيل أو قبل ذلك ، فيكون عمره ليلة الجن دون العشرين سنة ، فكان حينئذٍ شاباً بالنسبة إلى أبي بكر وعمر وأن يعد في جملة من يشار على النبي ﷺ باستخلافه مع أبي بكر وعمر ، فلا . قلنا : الظاهر أن ذلك كان ليلة الجن بالمدينة والله أعلم . فهذه ليلة بالمدينة ويؤكد ذلك قول النبي ﷺ : نعيت إليّ نفسي وذلك لا يكون إلاَّ عند قرب الوفاة . ثم وجدت حديثاً رواه أبو نعيم ذكر فيه الاستخلاف وأن القصة كانت بأعلى مكة وسيأتي ذكره وهو يشكل على ما قلناه . وقد وفدوا عليه مرة أخرى بالمدينة أيضاً حضرها الزبير بن العوام وخط له النبي ﷺ بإبهام رجله خطاً وقال : اقعد في وسطه . قال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة ، حدثنا أبي ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثنا ابن العوام قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح في مسجد النبي ﷺ فلما انصرف قال : أيكم يتبعني إلى وفد الجن الليلة فأسكت القوم فلم يتكلم منهم أحد قال ذلك ثلاثاً ، فمر بي يمشي فأخذ بيدي فجعلت أمشي معه حتى حبست عنا جبال المدينة كلها ، وأفضينا إلى أرض براز فإذا رجال طوال كأنهم الرماح مستدفرو ثيابهم من بين أرجلهم فلما رأيتهم غشيتني رعدة شديدة حتى ما تمسكني رجلاي من الفرق فلما دنونا خط لي رسول الله ﷺ بإبهام رجله في الأرض خطاً وقال لي : اقعد في وسطه فلما جلست ذهب عني كل شيء كنت أجده من ريبة . ومضى النبي ﷺ بيني وبينهم فتلا قرآناً وبقوا حتى طلع الفجر . ثم أقبل حتى مر بي فقال لي : إلحق فجعلت أمشي معه فمضينا غير بعيد فقال لي : التفت وانظر هل ترى حيث كان أولئك من أحد ؟ فقلت : يا رسول الله أرى سواداً كثيراً فخفض رسول الله ﷺ رأسه إلى الأرض فنظم عظماً بروثة ثم رمى بها إليهم وقال : رشد أولئك من وفد قوم هم وفد نصيبين سألوني الزاد فجعلت لهم

كـل عظم وروثـة قال الـزبير : فـلا يحـل لأجـد أن يستنجي بعـظم وروثـة . ورواه يزيد بن عبد ربه وأحمد بن منصور بن يسار عن محمد بن وهب بن عـطية الـدمشقي عن بقية عن نمير عن قحـافة عن أبيـه عن الزبيـر . فهذه الليلة غيـر ليلة ابن مسعود تلك كانت ببقيع الفرقد ، وهذه كانت نائية عن جبال المدينـة . فقد دلت الأحـاديث على تعدد وفود الجن على النبي ﷺ بمكة والمدينة والله أعلم .

قال الحافظ أبو نعيم نقول والله الموفق : إن النبي ﷺ لما اشتد عليه الأمر بما فقد من حياطة أبي طالب ابتغى النصر والحياطة من رؤساء قـريش فلم يجد عنـدهم نصراً وخرج إلى أخواله بالطائف فكان ما لقي منهم أعظم وأوحش مما كان يلقى من أهـل مكة ، فـانصـرف كئيبـاً محـزونـاً فـأرسـل الله إليـه ملك الجبـال مـع جبـريـل عليه السلام ليقوي متنه ، فكان منه ﷺ ما خص به من الرأفة والرحمة ، واستظهرهم واستبقاهم رجاء استنقاذهم وأن يخرج الله تعـالى من أصلابهم من يـوحّد الله تعـالى فصرف الله تعالى إليه النفر من الجن لاستماع القرآن وآذنت بمجيئهم شجرة تسخيراً له ﷺ ، وتعريفاً لصرف الجن إليـه فآنسـه الله تعالى بهـذه الآيات من صـرف الجن وإيذان الشجرة : أن عاقبته مختومة بالنصر ، وإجـابة النـاس لدعـوته ودخـول الجن والإنس في ملته ، وأن امتناع من أبى عليه ولم يجبه إلى الإيمان به مرده امتحان من الله تعـالى له وتـرفيعاً لـدرجته لاصـطباره على مـا يتأذى بـه من قومـه وتكذيبهم لـه وهو ﷺ ومن كان عالماً بما سبق من موعود الله تعالى له بالنصر وأن العاقبة له فطباع البشر غير خالية من الخواطر ففعل الله تعالى به ما فعل تثبيتاً له وتأسيساً كما قال الله تعـالى لنبيـه ﷺ : ﴿ **وكـلاً نقص عليـك من أنبـاء الـرســل مـا نثبت بــه فؤادك** ﴾ [هود: ١٢٠] ، فانصـرف الجن من نخلة راجعين إلى قومهم منـذرين كالـرسل إلى من وراءهم من قبيلتهم من الجن وقيل : إنهم كانوا ثلاثمائة نفر فأنذروا ودعوا قومهم إلى الإسلام ، فانصرفوا بعد مدة ثلاثة أشهر فجاءوه بمكة مسلمين فواعدهم بالالتقاء معهم الليـل وقرأ عليهم القـرآن طول ليلتهم ، وقـطع خصومـات ونزاعـاً كـان بينهم بقضائه فيهم بـالحق ائتلافـاً لكلمتهم ، وقطعـاً لخصومتهم . وسـألوه الـزاد فزودهم العظم والروثة على أن يجعل الله لهم كل عظم حائل عرقاً كـاسياً ، وكـل روثة حبـاً قائماً . فكان ذلك آية له ﷺ أفادت الجن استبصاراً في إسـلامهم ويخبرون بهـا من وراءهـم من الجن ليكـون برهـاناً لـه على صدق نبـوته ودعـوته ﷺ . وكـذلك الخط الذي خطه لعبـد الله بن مسعود وللزبيـر آية ودلالـة له ﷺ فـآمنا بـه من الروعـة التي

غشيتهما واحترزا به ليلتهما من اختطاف الجن لهما ووجه ما ذكره علقمة أن عبد الله بن مسعود لم يكن مع النبي ﷺ ليلة الجن ، يعني أنه لم يكن معه وقت قراءته عليهم القرآن وقضائه فيما بينهم لقطع التنازع والخصومات لا أنه لم يحضر تلك الليلة قائماً في الخطة وأن ما رواه الزبير من قدومهم ووفودهم المدينة ، فجائز أن نفراً غيرهم حضروه بعد الهجرة بالمدينة فحصل لهم ما حصل لمن وفد عليه بمكة بالحجون ، وما رواه عمرو بن غيلان عن عبد الله بن مسعود : أن النبي ﷺ التقى مع الجن بالمدينة فمخرج على أن يكون ذلك في طائفة أخرى لأن إسلام الجن ووفادتهم على النبي ﷺ كوفادة الإنس فوجاً بعد فوج ، وقبيلة بعد قبيلة حسبما جرت العادة في مثله . فكان ﷺ يعامل كل طائفة وفدت عليه من تقدمهم من قراءة القرآن عليهم وتزويدهم العظم والروث . وقد بقي من الجن من ثبت على كفره ، فكانوا يعترضون للنبي ﷺ وللمسلمين كاعتراض بقايا الكفار من الإنس . ثم ساق عدة أحاديث منها حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن عفريتاً من الجن نَفَلَتَ إليّ البارحة ليقطع عليّ الصلاة فأمكنني الله تعالى منه فذعته وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا فتنظروا إليه كلكم أجمعون قال فذكرت دعوة أخي سليمان : ﴿ **رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي** ﴾ ، قال فرددته خاسئاً » . هذه رواية أبي بكر بن أبي شيبة عن شبابة بن سوار . وفي رواية الإمام أحمد عن محمد بن جعفر فرده الله تعالى خاسئاً . وفي رواية النضر بن شميل : أن عفريتاً من الجن جعل يخيل علي البارحة ليقطع علي الصلاة فرده الله خاسئاً . وكلهم رواه عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة .

قلت : وستأتي الأحاديث في تعرض الجن والشياطين للنبي ﷺ في بابه إن شاء الله تعالى . وقد وفد الجن مرة أخرى على النبي ﷺ بغير مكة والمدينة ، وذلك ما رواه الحافظ أبو نعيم فقال : حدثنا سليمان ، حدثنا خالد بن النضر ، حدثنا إبراهيم بن سعد الجوهري ، حدثنا عبد الله بن كثير بن جعفر بن كثير الأنصاري ثم الزرقي ، حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده عن بلال بن الحارث قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فخرج لحاجته وكان إذا خرج لحاجته يبعد فأتيته بأداوة من ماء فانطلق فسمعت عنده خصومة رجال ولغطاً لم أسمع مثلها فجاء فقال : بلال ؟ فقلت : بلال قال : أمعك ماء ؟ قلت : نعم . قال : أصبت وأخذه مني فتوضأ فقلت : يا رسول الله سمعت عندك خصومة رجال

ولغطاً ما سمعت أَحَدٌ من ألسنتهم قال : اختصم عندي الجن المسلمون ، والجن المشركون سألوني أن أسكنهم فأسكنت المسلمين الجلس ، وأسكنت المشركين الغور .

قلت : قد تقدم هذا الحديث في الباب الثامن في بيان مساكن الجن وذكرنا طرقه هناك . وقد ورد ما يدل على أن ابن مسعود حضر ليلة أخرى بمكة غير ليلة الحجون فقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ، حدثنا علي بن الحسين بن أبي بردة البجلي ، حدثنا يحيى بن يعلى الأسلمي عن حرب بن صبيح ، حدثنا سعيد بن مسلم عن أبي مرة الصنعاني عن أبي عبد الله الجدلي عن عبد الله بن مسعود قال : استتبعني رسول الله ﷺ ليلة الجن فانطلقت معه حتى بلغنا أعلى مكة فخط علي خطة وقال : لا تبرح ثم انصاع في الجبال فرأيت الرجال يتحدرون عليه من رؤوس الجبال حتى حالوا بيني وبينه فاخترطت السيف وقلت : لأضربن حتى أستنقذ رسول الله ﷺ ثم ذكرت قوله : لا تبرح حتى آتيك . قال : فلم أزل كذلك حتى أضاء الفجر ، فجاء النبي ﷺ وأنا قائم فقال : ما زلت على حالك . قال : لو مكثت شهراً ما برحت حتى تأتيني . ثم أخبرته بما أردت أن أصنع فقال : لو خرجت ما التقيت أنا وأنت إلى يوم القيامة . ثم شبك أصابعه في أصابعي وقال : إني وعدت أن تؤمن بي الجن والإنس ، فأما الإنس فقد آمنت بي وأما الجن فقد رأيت ، وما أظن أجلي إلاّ قد اقترب قلت : يا رسول الله ألا تستخلف أبا بكر ؟ فأعرض عني فرأيت أنه لم يوافقه قلت : يا رسول الله ألا تستخلف عمر ؟ فأعرض عني فرأيت أنه لم يوافقه قلت : يا رسول الله ألا تستخلف علياً ؟ قال ذاك : والذي لا إله غيره لو بايعتموه وأطعتموه أدخلكم الجنة أكتعين .

وقال البيهقي : حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو نصر بن قتادة قالا : أنا محمد بن يحيى بن منصور القاضي ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي ، حدثنا روح بن صلاح ، حدثنا موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال : استتبعني رسول الله ﷺ فقال : إن نفراً من الجن خمسة عشر : بني إخوة، وبني عم يأتونني الليلة فأقرأ عليهم القرآن فانطلقت معه إلى المكان الذي أراد فخط لي خطاً وأجلسني فقال : لا تخرج من هذا فبت فيه حتى أتاني رسول الله ﷺ مع السحر في يده عظم حائل وروثة وحممة فقال : إذا ذهبت

إلى الخلاء فلا تستنج بشيء من هؤلاء قال : فلما أصبحت قلت : **لأعلمن علم** حيث كان رسول الله ﷺ قال فذهبت فرأيت موضع مبرك ستين بعيراً أ هـ .

* * *

وروى البيهقي عن ابن مسعود أنه أبصر زطاً في بعض الطريق فقال : ما رأيت شبههم إلاَّ الجن ليلة الجن ، وكانوا مستنفرين يتبع بعضهم بعضاً . وقال عباس الدوري : حدثنا عثمان بن عمر عن مستمر بن الريان عن أبي الجوزاء عن عبد الله بن مسعود قال : انطلقت مع النبي ﷺ ليلة الجن حتى أتى الحجون فخط علي خطاً ثم تقدم إليهم فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وردان : إني أنا أرحلهم عنك . فقال : إني لن يجيرني من الله أحد . وروى البيهقي بسنده عن أبي المليح الهذلي : أنه كتب إلى أبي عبيدة أن عبد الله بن مسعود يسأله : أين قرأ رسول الله ﷺ على الجن ؟ فكتب إليه : أنه قرأ عليهم بشعب يقال له : الحجون . فظاهر هذه الأحاديث التي ذكرناها يدل على أن وفادة الجن كانت ست مرات .

الأولى : قيل فيها : اغتيل أو استطير والتمس .

الثانية : كانت بالحجون .

الثالثة : كانت بأعلى مكة وانصاع في الجبال .

الرابعة : كانت ببقيع الفرقد . وفي هؤلاء الليالي الثلاث حضر ابن مسعود وخط عليه .

الخامسة : كانت خارج المدينة حضرها ابن الزبير بن العوام .

السادسة : كانت في بعض أسفاره حضرها بلال بن الحارث والله أعلم .

وقال هشام بن عمار الدمشقي : حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد العنبري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها . ثم قال : مالي أراكم سكوتاً ؟ الجن كانوا أحسن منكم رداً ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة : ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ . إلاَّ قالوا : ولا بشيء من آلاء ربنا نكذب ، فلك الحمد . ورواه البيهقي من وجه آخر عن جابر والله أعلم .

* * *

الباب العشرون

في فرق الجن ونحلهم

وقد أخبرنا الله تعالى عن الجن أنهم قالوا : ﴿ **وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً** ﴾ [الجن : ١١] ، أي مذاهب شتى مسلمون ، وكفار . وأهل سنة ، وأهل بدعة وقالوا : ﴿ **وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً** ﴾ . والقاسط الجائر يقال : قسط إذا جار وأقسط إذا عدل . وقد استعمل قسط بمعنى عدل ، وهو قليل . وقد قدمنا أن جن نصيبين كانوا يهوداً ولذلك قال : أنزل من بعد موسى . وقدمنا أيضاً قول النبي ﷺ في حديث حاطب بن أبي بلتعة : ذاك عمرو بن الجومانة قتله محصن بن جوشن النصراني وقال الإمام أحمد في كتاب الناسخ والمنسوخ : حدثنا مطلب بن زياد عن السدي قال : في الجن قدرية ومرجئة وشيعة وقال : حدثنا يونس في تفسير شيبان عن قتادة قوله : ﴿ **كنا طرائق قدداً** ﴾ ، قال : كان القوم على أهواء شتى ، حدثنا عبد الوهاب في تفسير سعيد عن قتادة : ﴿ **وأنا منّا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً** ﴾ ، قال : كان القوم على أهواء شتى والله أعلم .

* * *

الباب الحادي والعشرون

في تعبد الجن مع الإنس جماعة وفرادى

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن الحسين ، حدثنا عبد الرحمن بن عمر والباهلي سمعت السري بن إسماعيل يذكر عن يزيد الرقاشي : أن صفوان بن محرز المازني كان إذا قام إلى تهجده من الليل قام معه سكان داره من الجن فصلوا بصلاته واستمعوا لقراءته .

قال السري : فقلت ليزيد وأنّىٰ علم قال : كان إذا قام سمع لهم ضجة فاستوحش لذلك فنودي لا تفزع يا عبد الله فإنا نحن إخوانك نقوم بقيامك للتهجد فنصلي بصلاتك قال فكأنه أنس بعد ذلك إلى حركتهم .

حدثني الحسين بن علي العجلي ، حدثنا أبو أسامة عن الأجلح عن أبي الزبير قال : بينا عبد الله بن صفوان قريباً من البيت إذ أقبلت حية من باب العراق

حتى طافت بالبيت سبعاً ، ثم أتت الحجر فاستلمته فنظر إليها عبد الله بن صفوان فقال : أيها الجان قد قضيت عمرتك وإنا نخاف عليك بعض صبياننا فانصرفي فخرجت راجعة من حيث جاءت .

وروى سفيان الثوري عن عكرمة عن ابن عباس قال : خرج رجل من خيبر فتبعه رجلان ، وآخر يتلوهما يقول : ارجعا حتى أدركهما فردهما ثم لحق الرجل فقال : إن هذين شيطانان وإني لم أزل بهما حتى رددتهما عنك فإذا أتيت رسول الله ﷺ فأقرئه السلام وأخبره أنا في جمع صدقاتنا ولو كانت تصلح له لبعثنا بها إليه . فلما قدم الرجل المدينة أتى رسول الله ﷺ فأخبره قال : فنهى رسول الله ﷺ عند ذلك عن الخلوة والله أعلم .

* * *

الباب الثاني والعشرون
في ثواب الجن على أعمالهم

اختلف العلماء في الجن هل لهم ثواب على قولين : فقيل : لا ثواب لهم إلَّا النجاة من النار . ثم يقول لهم : كونوا تراباً مثل البهائم ، وهو قول أبي حنيفة . حكاه ابن حزم وغيره عنه . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا داود بن عمر والضبي ، حدثنا عفيف بن سالم عن سفيان الثوري عن ليث بن أبي سليم قال : ثواب الجن أن يجاروا من النار ، ثم يقال لهم : كونوا تراباً .

قال أبو حفص بن شاهين في كتاب العجائب والغرائب : حدثنا أبو القاسم البغوي ، حدثنا أبو الربيع الزهراني عن يعقوب العمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن أبي الزناد قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال الله تعالى لمؤمني الجن وسائر الأمم : كونوا تراباً فحينئذٍ يقول الكافر : ﴿ **يا ليتني كنت تراباً** ﴾ [النبأ: ٤٠] . والقول الثاني : إنهم يثابون على الطاعة ويعاقبون على المعصية وهو قول ابن أبي ليلى ومالك . وذكر ذلك مذهباً للأوزاعي وأبي يوسف ومحمد . ونقل عن الشافعي وأحمد بن حنبل فقال : نعم لهم ثواب وعليهم عقاب وهو قول أصحابهما وأصحاب مالك . وسئل ابن عباس : هل لهم ثواب وعليهم عقاب ؟ فقال : نعم لهم ثواب وعليهم عقاب .

وقال ابن شاهين في غرائب السنن : حدثنا عبد الله بن سليمان ، حدثنا

محمد بن صدقة الجيلاني ، حدثنا أبي ، حدثنا أبو حياة وهو شريح بن يزيد بن أرطأة بن المنذر قال : سألت ضمرة بن حبيب بن صهيب الزبيدي هل للجن ثواب ؟ فقال : نعم . قال أرطأة ثم نزع ضمرة بهذه الآية : ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ [الرحمن : ٥٦] . وقال ابن أبي حاتم في تفسيره : حدثنا أبي ، حدثنا عيسى بن زياد أن يحيى بن الضريس قال : سمعت يعقوب قال : قال ابن أبي ليلى : لهم ثواب يعني للجن فوجدنا تصديق قوله في كتاب الله تعالى : ﴿ **ولكل درجات مما عملوا** ﴾ [الأنعام : ١٣٢] . وقال ابن الصلاح في بعض تعاليقه : حكى عن ابن عبد الحكم صاحبه محمد بن رمضان الزيّات المالكي أنه سئل عن الجن : هل لهم جزاء في الآخرة على أعمالهم ؟ فقال : نعم ، والقرآن يدل على ذلك قال الله تعالى : ﴿ **ولكل درجات مما عملوا** ﴾ [الأنعام : ١٣٢] . وقال أبو الشيخ : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا هيثم عن حرملة قال : سئل ابن وهب وأنا أسمع : هل للجن ثواب وعقاب ؟ قال ابن وهب : قال الله تعالى : ﴿ **وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس** ﴾ [فصلت : ٢٥] . إلى قوله : ﴿ **مما عملوا** ﴾ . قال محمد بن رشد أبو الوليد القاضي في كتاب : « الجامعة للبيان والتحصيل » قال أصبغ : وسمعت ابن القاسم يقول للجن الثواب والعقاب وتلا قول الله تعالى : ﴿ **وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً** ﴾ [الجن : ١٤ - ١٥] .

قال ابن رشد : استدلال ابن القاسم على ما ذكر من أن للجن الثواب والعقاب بما تلاه من قول الله تعالى استدلال صحيح بيِّن لا إشكال فيه بل هو نص على ذلك والقاسطون في هذه الآية الحائدون عن الهدى المشركون بدليل قوله تعالى : ﴿ **وأنا منا المسلمون** ﴾ . ففي الجن مسلمون ويهود ونصارى ومجوس وعبدة أوثان .

قال بعض أهل التفسير في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وأنا منا الصالحون** ﴾ [الجن : ١١] . قال يريد المؤمنين ومنا دون ذلك قال : يريد غير المؤمنين ، وقوله تعالى : ﴿ **كنا طرائق قدداً** ﴾ [الجن : ١١] : أي مختلفون في الكفر يهود ، ونصارى ، ومجوس ، وعبدة أوثان .

وقال أبو الشيخ : حدثنا جعفر بن أحمد بن فارس ، حدثنا حميد ، حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن مغيث بن سمي قال : ما خلق الله تعالى من

شيء إلاَّ وهو يسمع زفير جهنم غدوة وعشية إلاَّ الثقلين الذين عليهم الحساب والعقاب والله أعلم .

* * *

الباب الثالث والعشرون

في دخول كفار الجن النار

اتفق العلماء على أن كافر الجن معذب في الآخرة كما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز كقوله تعالى : ﴿ **فالنار مثوىً لهم** ﴾ [فصلت : ٢٤] . وقوله تعالى : ﴿ **وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً** ﴾ [الجن : ١٥] . والله أعلم .

* * *

الباب الرابع والعشرون

في دخول مؤمنيهم الجنة

اختلف العلماء في مؤمني الجن هل يدخلون الجنة على أربعة أقوال :

أحدها : أنهم يدخلون الجنة وعليه جمهور العلماء وحكاه ابن حزم في الملل عن ابن أبي ليلى وأبي يوسف وجمهور الناس قال وبه نقول . ثم اختلف القائلون بهذا القول إذا دخلوا الجنة : هل يأكلون فيها ويشربون وساقه منذر بن سعد في تفسيره فقال : حدثنا علي بن الحسن ، حدثنا عبد الله بن الوليد العدني عن جويبر عن الضحاك فذكره .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أحمد بن بجير ، حدثنا عبد الله بن ضرار بن عمر ، وحدثنا أبي عن مجاهد أنه سئل عن الجن المؤمنين أيدخلون الجنة ؟ قال : يدخلونها ولكن لا يأكلون ولا يشربون ، يلهمون من التسبيح والتقديس ما يجده أهل الجنة من لذة الطعام والشراب . وذهب الحارث المحاسبي إلى أن الجن الذين يدخلون الجنة يوم القيامة نراهم فيها ولا يروننا عكس ما كانوا عليه في الدنيا .

القول الثاني : أنهم لا يدخلونها بل يكونون في ربضها يراهم الإنس من حيث لا يرونهم . وهذا القول مأثور عن مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد . حكاه ابن تيمية في جواب ابن مري وهو خلاف ما حكاه ابن حزم عن أبي يوسف .

وقال أبو الشيخ : حدثنا الوليد بن الحسن بن أحمد بن الليث ، حدثنا إسماعيل بن مهرام ، حدثنا المطلب بن زياد أظنه قال عن ليث بن أبي سليم قال : مسلمو الجن لا يدخلون الجنة ولا النار ، وذلك أن الله تعالى أخرج أباهم من الجنة فلا يعيده ولا يعيد بنيه .

القول الثالث : أنهم على الأعراف وفيه حديث مسند سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

القول الرابع : الوقف.واحتج أهل القول الأول بوجوه :

أحدها : العمومات كقوله تعالى : ﴿ **وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد** ﴾ [ق : ٣١] وقوله تعالى : ﴿ **وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾ [آل عمران : ١٣٣] وقوله ﷺ : « من شهد أن لا إلَه إلاَّ الله خالصاً دخل الجنة » . فكما أنهم يخاطبون بعمومات الوعيد بالإجماع فكذلك يكونون مخاطبين بعمومات الوعد بطريق الأولى . ومن أظهر حجة في ذلك قوله تعالى : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان . فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ [الرحمن : ٤٦ ـ ٤٧] إلى آخر السورة .

والخطاب للجن والإنس فامتن عليهم سبحانه بجزاء الجنة ووصفها لهم وشوقهم إليها ، فدل ذلك على أنهم ينالون ما امتن عليهم به إذا آمنوا . وقد جاء في حديث أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه لما تلا عليهم هذه السورة : « الجن كانوا أحسن رداً وجواباً منكم ما تلوت عليهم من آية إلاَّ قالوا : ولا بشيء من آلاء ربنا نكذب » . رواه الترمذي .

الوجه الثاني : ما استدل به ابن حزم من قوله : ﴿ **أعدت للمتقين** ﴾ [آل عمران : ١٣٣] وبقوله تعالى حاكياً عنهم ومصدقاً لمن قال ذلك منهم : ﴿ **وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن** ﴾ [الجن : ١] وقوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار** ﴾ [البينة : ٧ ـ ٨]. إلى آخر السورة .

قال : صفة تعم الجن والإنس ، عموماً لا يجوز البتة أن يخص منها أحد النوعين . ومن المحال الممتنع أن يكون الله تعالى يخبرنا بخبر عام وهو لا يريد إلاَّ بعض ما أخبرنا به ، ثم لا يبين ذلك وهو ضد البيان الذي ضمنه الله تعالى لنا ، فكيف وقد نص على أنهم من جملة المؤمنين الذين يدخلون الجنة ولا بد .

الوجه الثالث : روى منذر وابن أبي حاتم في تفسيريهما عن مبشر بن إسماعيل قال : تذاكرنا عند ضمرة بن حبيب أيدخل الجن الجنة ؟ قال : نعم ، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى : ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ ، للجنيات والإنس للإنسيات .

قال الجمهور : فدل على تأتي الطمث من الجن لأن طمث الحور العين إنما يكون في الجنة .

الوجه الرابع : قال أبو الشيخ : حدثنا إسحاق بن أحمد ، حدثنا عبد الله بن عمران ، حدثنا معاوية ، حدثنا عبد الواحد بن عبيد عن الضحاك عن ابن عباس قال : الخلق أربعة : فخلق في الجنة كلهم ، وخلق في النار كلهم ، وخلقان في الجنة والنار . فأما الذي في الجنة كلهم فالملائكة ، وأما الذي في النار كلهم فالشياطين ، وأما الذين في الجنة والنار فالإنس والجن لهم الثواب وعليهم العقاب .

الوجه الخامس : أن العقل يقوي ذلك وإن لم يوجبه ؛ وذلك أن الله تعالى قد أوعد من كفر منهم وعصى النار فكيف لا يدخل مَنْ أطاع منهم الجنة وهو سبحانه وتعالى الحكم العدل الحليم الكريم . فإن قيل : قد أوعد الله تعالى من قال من الملائكة : ﴿ **إنه إله من دونه** ﴾ ، ومع هذا ليسوا في الجنة فالجواب من وجوه :

أحدها : أن المراد بذلك إبليس لعنه الله . قال ابن جريج في قوله تعالى : ﴿ **ومن يقل منهم إني إله من دونه** ﴾ ، فلم يقله إلاَّ إبليس لعنه الله دعا إلى عبادة نفسه فنزلت هذه الآية فيه ، يعني إبليس لعنه الله . وقال قتادة : هي خاصة بعدو الله إبليس لعنه الله لما قال ما قال لعنه الله وحوّله شيطاناً رجيماً قال : ﴿ **فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين** ﴾ [الأنبياء : ٢٩] . حكى ذلك عنهما الطبري .

الوجه الثاني : أن ذلك وإن سلمنا إرادة العموم منه فهذا لا يقع من الملائكة عليهم السلام بل هو شرط والشرط لا يلزم وقوعه وهو نظير قوله تعالى : ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك** ﴾ [الزمر : ٦٥] . والجن يوجد منهم الكافر ويدخل النار .

الوجه الثالث : أن الملائكة وإن كانوا لا يجازون بالجنة إلاَّ أنهم يجازون

بنعيم يناسبهم على أصح قولي العلماء . واحتج أهل القول الثاني بقوله تعالى حكاية عن الجن : أنهم قالوا لقومهم : ﴿ **يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم** ﴾ [الأحقاف : ٣١] ، قالوا : فلم يذكر دخول الجنة ، فدل على أنهم لا يدخلونها لأن المقام مقام تبجح . والجواب عن هذا من وجوه :

أحدها : أنه لا يلزم من سكوتهم أو عدم علمهم بدخول الجنة نفيه .

الوجه الثاني : أن الله أخبر أنهم ولوا إلى قومهم منذرين . فالمقام مقام إنذار لا مقام بشارة .

الوجه الثالث : أن هذه العبارة لا تقتضي نفي دخول الجنة بدليل ما أخبر الله تعالى عن الرسل المتقدمة ؛ أنهم كانوا ينذرون قومهم العذاب ولا يذكرون لهم دخول الجنة كما أخبر عن نوح عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ **إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** ﴾ [الشعراء : ١٣٥]، وهود عليه الصلاة والسلام : ﴿ **عذاب يوم عظيم** ﴾ . وشعيب عليه الصلاة والسلام : ﴿ **عذاب يوم عظيم** ﴾ ، وكذلك غيرهم . وقد أجمع المسلمون على أن مؤمنهم يدخل الجنة .

الوجه الرابع : أن ذلك يستلزم دخول الجنة لأن من غفر ذنبه ، وأجير من عذاب الله تعالى وهو مكلف بشرائع الرسل فإنه يدخل الجنة . وقد ورد في القول الثالث حديث ساقه الحافظ أبو سعيد عن محمد بن عبد الرحمن الكنجروذي في أماليه فقال : حدثنا أبو الفضل نصر بن محمد العطار نا أحمد بن الحسين بن الأزهر بمصر ، حدثنا يوسف بن يزيد القراطيسي ، حدثنا الوليد بن موسى ، حدثنا منبه عن عثمان عن عروة بن رويم عن الحسن عن أنس عن النبي ﷺ قال : « إن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب فسألنا عن ثوابهم وعن مؤمنيهم ؟ فقال : على الأعراف وليسوا في الجنة فقالوا : ما الأعراف ؟ قال : حائط الجنة تجري منه الأنهار وتنبت فيه الأشجار والثمار » . قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي تغمده الله تعالى برحمته : هذا منكر جداً والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الخامس والعشرون
في أن مؤمنيهم إذا دخلوا الجنة
هل يرون الله تعالى أم لا

قد وقع في كلام ابن عبد السلام في القواعد الصغرى ما يدل على أن مؤمني الجن إذا دخلوا الجنة لا يرون الله تعالى ، وأن الرؤية مخصوصة بمؤمني البشر . فإنه صرح بأن الملائكة لا يرون الله تعالى في الجنة ومقتضى هذا أن الجن لايرونه .

قال : وقد أحسن الله تعالى إلى النبيين والمرسلين ، وأفاضل المؤمنين بالمعارف ، والأحوال ، والطاعات ، والإذعان ، ونعيم الجنان ، ورضا الرحمن ، والنظر إلى الديّان مع سماع تسليمه ، وكلامه وتبشيره بتأييد الرضوان ، ولم يثبت للملائكة مثل ذلك ولا شك أن أجساد الملائكة أفضل من أجساد البشر . وأما أرواحهم فإن كانت أعرف بالله تعالى ، وأكمل أحوالاً بأحوال البشر فهم أفضل من البشر . وإن استوت الأرواح في ذلك فقد فضلت الملائكة البشر بالأجساد فإن أجسادهم من نور ، وأجساد البشر من لحم ودم . وفضل البشر الملائكة بما ذكرناه من نعيم الجنان ، وقرب الديّان ، ورضاه ، وتسليمه ، وتقريبه والنظر إلى وجهه الكريم وإن فضلهم البشر في المعارف والأحوال والطاعات كانوا بذلك أفضل منهم وبما ذكرناه مما وعدوا به في الجنان . ولا شك أن للبشر طاعات لم يثبت مثلها للملائكة : كالجهاد والصبر ، ومجاهدة الهوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتبليغ الرسالات ، والصبر على البلايا والمحن والرزايا ومشاق العبادات لأجل الله تعالى . وقد ثبت أنهم يرون ربهم ويسلم عليهم ويبشرهم بإحلال رضوانه عليهم أبداً ، ولم يثبت مثل هذا للملائكة عليهم الصلاة والسلام وإن كان الملائكة يسبّحون الليل والنهار لا يفترون فرب عمل يسير أفضل من تسبيح كثير وكم من نائم أفضل من قائم ، وقد قال تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية** ﴾ [البينة:٧] ؛ أي خير الخليقة والملائكة من الخليقة . لا يقال : الملائكة من الذين آمنوا وعملوا الصالحات لأن هذا اللفظ مخصوص بمن آمن من البشر في عرف الشرع فلا يندرج فيه الملائكة لعرف الاستعمال . فإن قيل : الملائكة يرون ربهم كما تراه الأبرار . قلت : يمنع منه عموم عمومه في الملائكة الأبرار . انتهى ما ذكره . قلت : والبشر اسم لبني آدم وكنية آدم عليه الصلاة

والسلام أبو البشر . كذا جاء مصرحاً به في حديث الشفاعة في الصحيح قال : قال رسول الله ﷺ : « فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر ؟ » فإذا استثني المؤمنون من عموم قوله تعالى : ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ . وبقي على عمومه في الملائكة على ما قرره ابن عبد السلام فحينئذٍ يبقى على عمومه في الجن والله أعلم .

* * *

الباب السادس والعشرون
في حكم الصلاة خلف الجني

نقل ابن أبي الصيرفي الحراني الحنبلي في فوائده عن شيخه أبي البقاء العكبري الحنبلي أنه سئل عن الجن : هل تصح الصلاة خلفه ؟ فقال : نعم لأنهم مكلفون والنبي ﷺ مرسل إليهم والله أعلم .

* * *

الباب السابع والعشرون
في بيان انعقاد الجماعة بهم

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، حدثنا أبي عن ابن إسحاق ، حدثني أبو عميس عتبة بن عبد الله بن عتبة عن أبي فزارة عن أبي زيد مولى عمرو بن حريث المخزومي عن عبد الله بن مسعود قال : بينا نحن مع رسول الله ﷺ بمكة وهو في نفر من أصحابه إذ قال : ليقم منكم معي رجلان ولا يقومن معي رجل في قلبه من الغش مثقال ذرة قال : فقمت معه وأخذت إداوة ولا أحسبها إلّا ماء فخرجت مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بأعلى مكة رأيت أسودة مجتمعة قال : فخط لي رسول الله ﷺ خطاً ثم قال : قم ههنا حتى آتيك قال : فقمت ومضى رسول الله ﷺ إليهم فرأيتهم يثورون إليه قال : فسمر معهم رسول الله ﷺ ليلاً طويلاً حتى جاءني مع الفجر فقال : ما زلت قائماً يا ابن مسعود قال : فقلت : يا رسول الله أوَلم تقل : قم حتى آتيك قال : ثم قال لي : هل معك من وضوء ؟ قال : فقلت : نعم . ففتحت الإداوة فإذا هو نبيذ فقال رسول الله ﷺ : ثمرة طيبة وماء طهور . ثم قال : توضأ منها ، فلما قام يصلي أدركه شخصان منهم فقالا له : يا رسول الله إنا نحب أن تؤمنا في صلاتنا قال : فصفهما رسول الله ﷺ

خلفه ثم صلى بنا ، ثم انصرف . قلت له : من هؤلاء يا رسول الله ؟ قـال : هؤلاء جن نصيبين جاءوني يختصمون إليَّ في أمور كانت بينهم وقد سألوني الزاد فزودتهم قـال : فقلت : وهل هنـاك يا رسـول الله من شيء تـزودهم إيـاه ؟ قـال : فـزودتهم الرجعة ، ومـا وجدوا من روث وجـدوه شعيراً ، ومـا وجدوا من عـظم وجدوه كـاسياً قال : وعند ذلك نهى رسول الله ﷺ أن يستطاب بالروث والعظم .

* * *

وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان عن أبي فزارة ، حدثنا أبـو زيد عن ابن مسعود قال : لمـا كان ليلة الجن تخلف منهم رجـلان وقالا : نشهـد الفجر معـك يا رسـول الله فقال لي النبي ﷺ : أمعـك مـاء ؟ قلت : ليس معي مـاء ولكن معي إداوة فيهـا نبيذ فقـال النبي ﷺ : ثمرة طيبة ، وماء طهـور فتوضـأ . وفي رواية عبـد الرزاق عن قيس بن الـربيع عن أبي فـزارة عن أبي زيد عن ابن مسعـود فسـاق حديث الخط وقال في آخره : ثمرة طيبة ، وماء طهـور فتوضـأ وأقام الصـلاة . فلما قضى الصـلاة قـام إليـه رجـلان من الجن فسـألاه المتـاع ؟ فقـال : ألم آمـر لكمـا ولقـومكما بمـا يصلحكم ؟ قالـوا : بلى ولكن أحببنا أن يشهـد بعضنا معـك الصلاة فقال : ممن أنتما ؟ قـالا : من أهل نصيبين فقـال : أفلح هذان ، وأفلح قـومهما ، وأمر لهما بالروث والعظام طعاماً ولحماً ، ونهى أن يستنجى بعظم أو روثة .

ورواه الثوري وإسرائيل وشريك والجراح بن مليـح وأبو عميس كلهم عن أبي فزارة وقال أبو الفتح اليعمري وغير طريق أبي فزارة عن أبي زيد لهذا الحديث أقوى منها للجهالة الواقعة في أبي زيد ، ولكن أصل الحديث مشهـور عن ابن مسعود من طرق حسان متضافرة يشـدّ بعضها بعضاً ، ويشهد بعضها لبعض ، ولم تنفرد طـريق أبي زيد إلّا فيها من التوضؤ بنبيذ التمر ، وليس ذلك مقصوداً الآن .

* * *

وروى سفيان الثوري في تفسيره عن إسماعيل البجلي عن سعيد بن جبيـر قال تعـالى : ﴿ وأن المسـاجـد لله فـلا تـدعـوا مـع الله أحـداً ﴾ . قـال : قـالت الجن للنبي ﷺ : كيف لنا بمسجدك أن نشهـد الصلاة معـك ونحن ناؤون عنـك فنزلت : ﴿ وأن المساجد لله ﴾ [الجن : ١٨] . وذكر ابن الصيرفي في نوادره انعقاد الجمـاعة بالجن والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الثامن والعشرون

في حكم مرور شيطان الجن بين يدي المصلِّي

اختلفت الرواية عن أحمد بن حنبل فيما إذا مر جني بين يدي المصلي هل يقطع عليه صلاته ويستأنفها . فروي عنه أنه يقطعها لأن النبي ﷺ حكم بقطع الصلاة بمرور الكلب الأسود فقيل له : ما بال الأحمر من الأبيض من الأسود ؟ فقال : الكلب الأسود شيطان الكلاب ، والجن تتصور بصورته كما تقدم . والرواية الثانية لا يقطعها . وهاتان الروايتان حكاهما ابن حامد وغيره . وقول النبي ﷺ : إن عفريتاً من الجن تفلَّت علي البارحة ليقطع علي الصلاة يحتمل أن يكون قطعها بمروره بين يديه ويحتمل أن يكون قطعها بأن يصدر من العفريت أفعال يحتاج إلى دفعها بأفعال تكون منافية للصلاة فتقطعها تلك الأفعال .

* * *

الباب التاسع والعشرون

في بيان الحكم إذا قتل الإنسي جنِّيًّا

قال أبو الشيخ : حدثنا أبو الطيب أحمد بن روح ، حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد مولى قريش ، حدثنا عثمان بن عمر عن عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن أبي مليكة : أن جاناً كان لا يزال يطلع على عائشة رضي الله عنها فأمرت به فقتل ، فأتيت في المنام فقيل : قتلت عبد الله المسلم فقالت : لو كان مسلماً لم يطلع على أزواج النبي ﷺ فقيل لها : ما كان يطلع حتى تجمعي عليك ثيابك ، وما كان يجيء إلَّا ليستمع القرآن ، فلما أصبحت أمرت باثني عشر ألف درهم ففرقت في المساكين . ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه فقال : حدثنا عبد الله بن بكر السهمي عن جابر بن أبي مغيرة عن ابن أبي مليكة عن عائشة بنت صالحة عن عائشة رضي الله عنها نحوه . وقال أبو بكر عبد الله بن محمد : أخبرني أبي ، أنبأنا محمد بن جعفر ، حدثنا مسلم عن سعيد عن حبيب قال : رأت عائشة رضي الله عنها حية في بيتها فأمرت بقتلها فقتلت ، فأتيت في تلك الليلة فقيل لها : إنها من النفر الذين استمعوا الوحي من النبي ﷺ فأرسلت إلى اليمن فابتيع لها أربعون رأساً فأعتقتهم .

* * *

فصل : روى الترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث صيفي مولى أبي السائب عن أبي سعيد رفعه : أن بالمدينة نفراً من الجن قد أسلموا فإذا رأيتم من هذه الهوام شيئاً فآذنوه ثلاثاً فإن بدا لكم فاقتلوه .

وثبت في صحيح مسلم من حديث أبي السائب مولى هشام بن زهرة عن أبي سعيد : كان فتى منا حديث عهد بعرس فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ **بأنصاف** النهار فيرجع إلى أهله ، فاستأذنه يوماً فقال له : خذ عليك سلاحك فإني أخشى عليك قريظة ، فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة فأهوى إليها بالرمح لكي يطعنها فأصابته غيرة فقالت له : اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني فدخل فإذا بحية عظيمة منصوبة على الفراش فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به ثم خرج فركزه في الدار فاضطربت عليه ، فما ندري أيهما كان أسرع موتاً الحية أم الفتى .

قال الشيخ أبو العباس : قتل الجن بغير حق لا يجوز ، كما لا يجوز قتل الإنس بلا حق ، والظلم محرّم في كل حال ، فلا يحل لأحد أن يظلم أحداً ولو كافراً قال تعالى : ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألاَّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوىٰ** ﴾ [المائدة : ٨] . والجن يتصورون في صور شتى فإذا كانت حيات البيوت قد تكون جنيًّا فتؤذن ثلاثاً ، فإن ذهبت فبها وإلاَّ قتلت ، فإنها إن كانت حية أصلية فقد قتلت وإن كانت جنية فقد أصرت على العدوان بظهورها للإنس في صورة حية تفزعهم بذلك ، والعادي هو الصائل الذي يجوز دفعه بما يدفع ضرره ولو كان قتلاً ، فأما قتلهم بدون سبب يبيح ذلك ، فلا يجوز والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الموفي ثلاثين

في مناكحة الجن

قد قدمنا مناكحة الجن فيما بينهم . . وهذا الباب في بيان المناكحة بين الإنس والجن والكلام هنا في مقامين :

أحدهما : في بيان إمكان ذلك ووقوعه .

والثاني : في بيان مشروعيته . أما الأول : فنقول : نكاح الإنسي الجنية وعكسه ممكن . قال الثعالبي : زعموا أن التناكح والتلاقح قد يقعان بين الإنس

والجن . قال الله تعالى : ﴿ **وشاركهم في الأموال والأولاد** ﴾ [الإسراء : ٦٤] . وقال ﷺ : « **إذا جامع الرجل امرأته ولم يسم انطوى الشيطان إلى إحليله فجامع معه** » .

وقال ابن عباس : **إذا أتى الرجل امرأته وهي حائض سبقه الشيطان إليها فحملت فجاءت بالمخنث ، فالمخنثون أولاد الجن** رواه الحافظ ابن جرير .

ونهي النبي ﷺ عن نكاح الجن، وقول الفقهاء : لا تجوز المناكحة بين الإنس والجن وكراهة من كرهه من التابعين دليل على إمكانه لأن غير الممكن لا يحكم عليه بجواز ولا بعدمه في الشرع .

فإن قيل : الجن من عنصر النار ، والإنسان من العناصر الأربعة وعليه فعنصر النار يمنع من أن تكون النطفة الإنسانية في رحم الجنية لما فيها من الرطوبة فتضمحل ثمة لشدة الحرارة النيرانية ولو كان ذلك ممكناً لكان ظهر أثره في حل النكاح بينهم . وهذا السؤال هو الذي أورد على المسألة الباعثة على تأليف هذا الكتاب . والجواب من وجوه :

الأول : أنهم وإن خلقوا من نار فليسوا بباقين على عنصرهم الناري بل استحالوا عنه بالأكل والشرب والتوالد والتناسل كما استحال بنو آدم عن عنصرهم الترابي بذلك على أنّا نقول : إنَّ الذي خلق من نار هو أبو الجن كما خلق آدم أبو الإنس من تراب ، وأما كل واحد من الجن غير أبيهم فليس مخلوقاً من النار ، كما أن كل واحد من بني آدم ليس مخلوقاً من تراب . وقد أخبر النبي ﷺ أنه وجد برد لسان الشيطان الذي عرض له في صلاته على يده لما خنقه . وفي رواية قال النبي ﷺ : فما زلت أخنقه حتى برد لعابه فبرد لسان الشيطان . ولعابه دليل على أنه انتقل عن العنصر الناري إذ لو كان باقياً على حاله فمن أين جاء البرد . وقد بسطنا القول في انتقالهم من العنصر الناري في الباب الثالث الذي عقدناه في بيان ما خلقوا منه ، فلا حاجة بنا إلى إعادته . وهذا المصروع يدخل بدنه الجني ويجري الشيطان من ابن آدم مجرى الدم ، فلو كان باقياً على حاله لأحرق المصروع ، ومن جرى منه مجرى الدم .

وقد سئل مالك بن أنس رضي الله عنه فقيل : إن ههنا رجلاً من الجن يخطب إلينا جارية يزعم أنه يريد الحلال ؟ فقال : ما أرى بذلك بأساً في الدين ولكن أكره

إذا وجدت امرأة حامل قيل لها : من زوجك ؟ قالت : من الجن فيكثر الفساد في الإسلام بذلك .

وهذا الذي ذكرناه عن الإمام مالك رضي الله عنه أورده أبو عثمان سعيد بن العباس الرازي في كتاب الإلهام والوسوسة في باب نكاح الجن فقال : حدثنا مقاتل ، حدثني سعد بن داود الزبيدي قال : كتب قوم إلى مالك بن أنس رضي الله عنه يسألونه عن نكاح الجن وقالوا : إن ههنا رجلاً من الجن إلى آخره .

الوجه الثاني : أنَّا لو سلمنا عدم إمكان العلوق فلا يلزم من عدم إمكان العلوق عدم إمكان الوطء في نفس الأمر ، ولا يلزم من عدم إمكان العلوق أيضاً عدم إمكان النكاح شرعاً . فإن الصغيرة والآيسة والمرأة العقيم لا يتصور منهن علوق ، والرجل العقيم لا يتصور منه إعلاق ، ومع هذا فالنكاح لهن مشروع . فإن حكمة النكاح وإن كانت لتكثير النسل ومباهاة الأمم بكثرة الأمة فقد يتخلف ذلك .

الوجه الثالث : قوله : ولو كان ذلك ممكناً لكان ظهر أثره في حل النكاح . هذا غير لازم فإن الشيء قد يكون ممكناً ويتخلف لمانع فإن المجوسيات والوثنيات العلوق فيهن ممكن ولا يحل نكاحهن ، وكذلك المحارم ومن يحرم من الرضاع والمانع في كل موضع بحسبه . والمانع من جواز النكاح بين الإنس والجن عند من منعه إما اختلاف الجنس عند بعضهم أو عدم حصول المقصود على ما نبينه أو عدم حصول الإذن من الشرع في نكاحهم . أما اختلاف الجنس فظاهر مع قطع النظر عن إمكان الوقاع وإمكان العلوق . وأما عدم حصول المقصود من النكاح فنقول : إن الله امتنَّ علينا بأن خلق لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها وجعل بيننا مودة ورحمة فقال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء** ﴾ [النساء : ١] . وقال تعالى : ﴿ **هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها** ﴾ [الأعراف : ١٨٩] . وقال تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ [الروم : ٢١]. وقال تعالى : ﴿ **فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً** ﴾ [الشورى : ١١]. والجن ليسوا من أنفسنا فلم يجعل منهم أزواج لنا فلا يكونون لنا أزواجاً لفوات المقصود من حل النكاح من بني آدم وهو سكون أحد الزوجين إلى الآخر لأن الله تعالى أخبر أنه جعل لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها . فالمانع

الشرعي حينئذٍ من جواز النكاح بين الإنس والجن عدم سكون أحد الزوجين إلى الآخر إلَّا أن يكون عن عشق وهوى متبع من الإنس والجن ، فيكون إقدام الإنسي على نكاح الجنية للخوف على نفسه ، وكذلك العكس إذ لو لم يقدموا على ذلك لآذوهم وربما أتلفوهم ألبتة ومع هذا فلا يزال الإنسي في قلق وعدم طمأنينة ، وهذا يعود على مقصود النكاح بالنقض وأخبر الله تعالى أنه جعل بين الزوجين مودة ورحمة ، وهذا منتف بين الإنس والجن لأن العداوة بين الإنس والجن لا تزول بدليل قوله تعالى : ﴿ **وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو** ﴾ [البقرة : ٣٦] .

وقوله ﷺ في الطاعون : وخز أعدائكم من الجن ولأن الجن خلقوا من نار السموم فهم تابعون لأصلهم .

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى قال : احترق بيت في المدينة على أهله بالليل فحدث النبي ﷺ بشأنهم فقال : إن هذه النار إنما هي عدو لكم فإذا نمتم فأطفئوها عنكم . فإذا كانت النار عدواً لنا فما خلق منها ، فهو تابع لها في العداوة لنا لأن الشيء يتبع أصله ، فإذا انتفى المقصود من النكاح وهو سكون أحد الزوجين إلى الآخر وحصول المودة والرحمة بينهما انتفى ما هو وسيلة إليه وهو جواز النكاح . وأما عدم حصول الإذن من الشرع في نكاحهم فإن الله تعالى يقول : ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء** ﴾ [النساء : ٣] ، والنساء اسم للإناث من بنات آدم خاصة والرجال إنما أطلق على الجن لأجل مقابلة اللفظ في قوله تعالى : ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إلَّا على أزواجهم** ﴾ . فأزواج بني آدم من الأزواج المخلوقات لهم من أنفسهم المأذون في نكاحهن ، وما عداهن فليسوا لنا بأزواج ولا مأذون لنا في نكاحهن . والله أعلم . هذا ما تيسر لي في الجواب وفتح الله علي به وبالله التوفيق .

فصل : وأما وقوع ذلك فقال أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب : « اتباع السنن والأخبار » : حدثنا محمد بن حميد الرازي ، حدثنا أبو الأزهر ، حدثنا الأعمش ، حدثني شيخ من بجيل قال : علق رجل من الجن جارية لنا ثم خطبها إلينا وقال : إني أكره أن أنال منها محرماً فزوجناها منه قال : فظهر معنا يحدثنا فقلنا : ما أنتم ؟ فقال : أمم أمثالكم وفينا قبائل كقبائلكم قلنا : فهل فيكم هذه الأهواء ؟ قال : نعم فينا من كل الأهواء القدرية والشيعة والمرجئة قلنا : من أيها أنت ؟ قال : من المرجئة .

وقال أحمد بن سليمان النجاد في أماليه : حدثنا علي بن الحسن بن سليمان أبي الشعثاء الحضرمي أحد شيوخ مسلم ، حدثنا أبو معاوية ، سمعت الأعمش يقول : تزوج إلينا جني فقلت له : ما أحب الطعام إليكم ؟ فقال : الأرز . قال : فأتيناه به فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحداً فقلت : فيكم من هذه الأهواء التي فينا ؟ قال : نعم . قلت : فما الرافضة فيكم ؟ قال : شرنا . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي تغمده الله برحمته : هذا إسناد صحيح إلى الأعمش . وقال أبو بكر الخرائطي : حدثنا أبو بكر أحمد بن منصور الرمادي : حدثنا داود الصفدي ، حدثنا أبو معاوية الضرير عن الأعمش قال : شهدت نكاحاً للجن بكوني . قال : وتزوج رجل منهم إلى الجن فقيل لهم : أي الطعام أحب إليكم ؟ قالوا : الأرز . قال الأعمش : فجعلوا يأتون بالجفان فيها الأرز فيذهب ولا نرى الأيدي . ورواه أيضاً أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي شيبة في كتاب القلائد له فقال : حدثنا أمية ، سمعت أبا سليمان الجوزجاني ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش بنحوه . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني عبد الرحمن ، حدثنا عمر ، حدثنا أبو يوسف السروجي قال : جاءت امرأة إلى رجل بالمدينة فقالت : إنا نزلنا قريباً منكم فتزوجني . قال : فتزوجها ثم جاءت إليه فقالت : قد حان رحيلنا فطلقني فكانت تأتيه بالليل في هيئة امرأة . قال : فبينا هو في بعض طرق المدينة إذ رآها تلتقط حباً مما يسقط من أصحاب الحب قال : أفتبتغينه ؟ فوضعت يدها على رأسها ثم رفعت عينها إليه فقالت له : بأي عين رأيتني ؟ قال : بهذه فأومأت بأصبعها فسالت عينه . وحدثنا القاضي جلال الدين أحمد ابن القاضي حسام الدين الرازي الحنفي تغمده الله برحمته قال : سفر والدي لإحضار أهله من الشرق ، فلما جزت البيرة ألجأنا المطر إلى أن نمنا في مغارة ، وكنت في جماعة ، فبينا أنا نائم إذا أنا بشيء يوقظني فانتبهت فإذا بامرأة وسط من النساء لها عين واحدة مشقوقة بالطول فارتعبت فقالت : ما عليك من بأس إنما أتيتك لتتزوج ابنة لي كالقمر . فقلت لخوفي منها : على خيرة الله تعالى . ثم نظرت فإذا برجال قد أقبلوا فنظرتهم فإذا هم كهيئة المرأة التي أتتني عيونهم كلها مشقوقة بالطول في هيئة قاض وشهود فخطب القاضي وعقد فقبلت . ثم نهضوا وعادت المرأة ومعها جارية حسناء إلا أن عينها مثل عين أمها وتركتها عندي وانصرفت فزاد خوفي واستيحاشي وبقيت أرمي من كان عندي بالحجارة حتى يستيقظوا فما انتبه منهم أحد فأقبلت على الدعاء والتضرع . ثم آن الرحيل فرحلنا وتلك الشابة لا تفارقني فدمت على هذا ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم

الرابع أتتني المرأة وقالت : كأن هذه الشابة ما أعجبتك وكأنك تحب فراقها ؟ فقلت : إي والله . قالت : فطلقها فطلقتها فانصرفت ثم لم أرهما بعد .

وهذه الحكاية كانت تذكر عن القاضي جلال الدين فحكيتها للقاضي الإمام العلّامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن فضل الله العمري تغمده الله برحمته فقال : أنت سمعتها من القاضي جلال الدين ؟ فقلت : لا . فقال : أريد أن أسمعها منه . فمضينا إليه وكنت أنا السائل له عنها فحكاها كما ذكرتها إلى آخرها فسألت القاضي شهاب الدين : هل أفضي إليها ؟ فزعم أن لا . وقد ألحق القاضي شهاب الدين هذه الحكاية في ترجمة القاضي جلال الدين في كتاب : « مسالك الأبصار » بخطه على حاشية الكتاب .

هل كان أبوا بلقيس من الجن ؟ وقد قيل : إن أحد أبوي بلقيس كان جنياً . قال الكلبي : كان أبوها من عظماء الملوك وولده ملوك اليمن كلها ، وكان يقول : ليس في ملوك الأطراف من يدانيني فتزوج امرأة من الجن يقال لها : ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس وتسمى بلقمة . ويقال : إن مؤخر قدميها كان مثل حافر الدابة ولذلك اتخذ سليمان عليه السلام الصرح الممرد من قوارير ، وكان بيتاً من زجاج يخيل للرائي أنه يضطرب ، فلما رأته كشفت عن ساقيها فلم ير غير شعر خفيف ولذلك أمر بإحضار عرشها ليختبر عقلها به ، ثم أسلمت وعزم سليمان على تزويجها فأمر الشياطين فاتخذوا الحمام والنورة وهو أول من اتخذ الحمام والنورة ، وطلوا بالنورة ساقيها فصار كالفضة فتزوجها ، وأرادت منه ردها إلى ملكها ففعل ذلك وأمر الشياطين فبنوا لها باليمن الحصون التي لم ير مثلها وهي غمدان ونينوى وغيرهما وأبقاها على ملكها ، وكان يزورها في كل شهر مرة على البساط والريح ، وبقي ملكها إلى أن مات فزال بموته . قال أبو منصور الثعالبي في فقه اللغة : ويقال للمتولد بين الإنسي والجنية : الخس ، وللمتولد بين الآدمي والسعلاة : العملوق .

فصل : وأما المقام الثاني أهو مشروع أم لا . فقد روي عن النبي ﷺ النهي عنه . وروي عن جماعة من التابعين كراهته . قال حرب الكرماني في مسائله عن أحمد وإسحاق : حدثنا محمد بن يحيى القطيعي ، حدثنا بشر بن عمر ، حدثنا ابن لهيعة عن يونس بن يزيد عن الزهري ، قال : نهى رسول الله ﷺ عن نكاح الجن وهو مرسل وفيه ابن لهيعة .

حدثنا معاوية عن الحجاج عن الحكم أنه كره نكاح الجن ، حدثنا إبراهيم بن

عروة ، حدثني سليمان بن قتيبة ، حدثني عقبة الروماني ، قال : سألت قتادة عن تزويج الجن فكرهه ، وسألت الحسن عن تزويج الجن فكرهه وقال أبو بكر بن محمد القرشي : حدثنا بشر بن يسار عن عبد الله ، حدثنا أبو الجنيد الضرير ، حدثنا عقبة بن عبد الله : أن رجلاً أتى الحسن بن الحسن البصري فقال : يا أبا سعيد إن رجلاً من الجن يخطب فتاتنا فقال الحسن : لا تزوجوه ولا تكرموه ، فأتى قتادة فقال : يا أبا الخطاب إن رجلاً من الجن يخطب فتاة لنا فقال : لا تزوجوه ولكن إذا جاء فقولوا : إنَّا نحرج عليك إن كنت مسلماً لما انصرفت عنا ولم تؤذنا . فلما كان من الليل جاء الجني حتى قام على الباب فقال : أتيتم الحسن فسألتموه فقال لكم : لا تزوجوه ولا تكرموه ، ثم أتيتم قتادة فسألتموه فقال : لا تزوجوه ولكن قولوا له : إنَّا نحرج عليك إن كنت رجلاً مسلماً لما انصرفت عنا ولم تؤذنا . فقالوا له ذلك فانصرف عنهم ولم يؤذهم . وقال أبو عثمان سعيد بن العباس الرازي في كتاب : « الإلهام والوسوسة » باب في نكاح الجن فساق ما ذكرناه عن مالك ثم قال : حدثنا أبو بشر بكر بن خلف ، حدثنا أبو عاصم عن سفيان الثوري عن الحجاج بن أرطأة عن الحكم : أنه كان يكره نكاح الجن . ورواه أبو حماد الحنفي عن الحجاج بن أرطأة عن الحكم بن عتيبة : أنه كره نكاح الجن وقال حرب : قلت لإسحاق : رجل ركب البحر فكسر به فتزوج جنية قال : مناكحة الجن مكروهة . وقال ابن أبي الدنيا حدثنا الفضل بن إسحاق ، حدثنا أبو قتيبة عن عقبة الأصم ، وقتادة وسئلا عن تزويج الجن فكرهاه . قال : وقال الحسن : حرجوا عليه نحرج عليك أن تسمعنا صوتك أو ترينا خلقك ففعلوا فذهب .

وقال الشيخ جمال الدين السجستاني من أئمة الحنفية في كتاب : « منية المفتي » عازياً له إلى الفتاوى السراحية : لا تجوز المناكحة بين الإنس والجن وإنسان الماء لاختلاف الجنس . وذكر الشيخ نجم الدين الزاهدي في قنية المنية سئل الحسن البصري عن التزويج بجنية ؟ فقال : يجوز بشهود رجلين حم وعك ، لا يجوز بغيرهما قال : يصفع السائل لحماقته .

قلت : حم رمز أبي حامد وعك رمز عين الأئمة الكرابيسي ، وهذا الذي ذكره الشيخ جمال الدين السجستاني من أنه لا يجوز المناكحة بين الإنس والجن وإنسان الماء دليل على إمكان ذلك .

وقد روى أبو عبد الرحمن الهروي في كتاب : « العجائب » ما يدل على

إمكـان ذلك ووقـوعه فقـال : حدثنـا أبو بشـر عبـد الـرحمن بن كعب بن البـداح بن سهـل بن محمد بن عبـد الرحمن بن كعب بن مـالك الأنصـاري ، حدثني ابن عمي عقبة بن الزبير بن خارجة بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري عن بعض أشياخه ممن يثق به : أنه رأى رجلاً معه ابن له فنهره ذات يوم وذكر والدته فقال له الشيخ : لا تفعل فإني أحـدثك سبب هـذا وسبب والدتـه . فذكـر أنه ركب البحـر فكسر بـه وسلم على لوح فأقام بجزيرة حيناً يأكل من ثمرها ويأوي إلى شجرة من أشجـارها . فبينا هو ذات ليلة إذ خرج من البحر حواز مع كل واحدة درة تـرمي بها ثم تعـدو في إثرها وضوئها حتى تأخذها ولهن غنغنة كـأمثال الخـطاطيف . قال : فتحـرك منه مـا يتحرك من الرجال وهش إليهن فتعرف أمورهن ، وآخرهن ليلة وثانية ، ثم نزل فقعد في أصل شجرة حيث لا يرونه فلما خرجن غدا في إثرهن فتعلق بشعـر واحدة منهن وكان شعرها يجللها ، فجاء بها يقودها حتى شدها بأصل الشجـرة ثم وطئها فحملت منـه بهذا الغـلام ، فلم يزل يعـذبها حتى أرضعتـه سنة . ثم هم بحلهـا فكره ذلـك وقال : حتى يبلغ الفطام ويأكل وهي في خلال ذلك تحمل الغلام فـرحاً بـه إلَّا أنها لا تتكلم فرحاً أنها قد ألفته وأنها لا تبرح فحلها فاستغفلته وخرجت تعدو حتى ألقت نفسها في البحر وبقي الصبي في يديه فلم يكن بأسرع من أن مر به مـركب فلوح له ففـر به وخـرج إلى بـلاده . فهـذه قصـة هـذا الغـلام . قـال الشيـخ جمـال الـدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنـوي الشافعي المصـري في جملة مسائله التي سأل عنها قاضي القضاة شرف الدين أبا القاسم هبة الله بن عبد الـرحيم بن البارزي مسألة : هل يجوز الزواج من الجن عند الإرادة ، أم يمنع بينه وبين ذلـك ؟ إذا أراد أن يتزوج امرأة من الجن عند فرض إمكانه فهل يجوز ذلـك أم يمتنع فـإن الله تعالى قال : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها** ﴾ [الروم : ٢١] . البارزي بأن جعل ذلك من جنس ما يؤلف ، فإن جوزنا ذلك وهو المذكور في شرح الوجيز المعْـزُوّ إلى ابن يونس فتتفرع منه أشياء : منها أنه هل يجبـرها على مـلازمة المسكن أم لا ؟ وهل له منعها من التشكل في غير صورة الآدميين عنـد القدرة عليـه لأنه قد تحصل النفرة أم لا ؟ وهل يعتمد عليها فيما يتعلق بشروط صحة النكـاح من أمر وليها وخلوها عن الموانع أم لا ؟ وهل يجوز قبول ذلك من قاضيهم أم لا ؟ وهل إذا رآها في صورة غير التي يألفها وادعت أنها هي هل يعتمل عليها ويجوز له وطؤها أم لا ؟ وهل يكلف الإتيان بما يألفونه من قـوتهم كالعـظم وغيره إذا أمكن الاقتيـات بغيره أم لا ؟ .

الجواب على السائل : لا يجوز لـه أن يتزوج من الجن امـرأة لعموم الآيتين الكريمتين قوله تعالى في سورة النحل : ﴿ **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً** ﴾ . وفي سورة الروم : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً** ﴾ [الروم : ٢١] . قـال المفسـرون في معنى الآيتين : ﴿ **جعـل لكم من أنفسكم** ﴾ : أي من جنسكم ونوعكم وعلى خلقكم كما قال تعالى : ﴿ **لقـد جاءكم رسـول من أنفسكم** ﴾ : أي من الآدميين ولأن اللائي يحل نكاحهن بنات العمومة ، وبنات الخؤولة ، فدخل في ذلك من هي في نهاية البعد كما هو المفهـوم من آية الأحـزاب في قولـه : ﴿ **وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالـك وبنات خـالاتك** ﴾ ، والمحـرمات غيـرهن وهن الأصـول والفروع وفـروع أول الأصول وأول فـرع من باقي الأصـول ، كمـا في آيـة التحريم في النساء . فهذا كله في النسب ، وليس بين الآدميين والجن نسب . وأما الجن فيجب الإيمان بوجودهم ؛ وقد صح أنهم يأكلون ويشربون ويتناكحون وقيل : إن أم بلقيس كانت من الجن . وقيل : إنهم يشـاركون الـرجل في المجـامعة إذا لم يذكر اسم الله تعالى وينزل في المرأة وهو المراد من قولـه تعالى : ﴿ **وشـاركهم في الأموال والأولاد** ﴾ [الإسراء : ٦٤] ، وهو المفهوم من قـوله تعـالى : ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ [الرحمن : ٥٦] .

وفي الحديث من سنن أبي داود من حديث عبد الله بن مسعود : أنه قدم وفـد الجن على رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد آنْهَ أمتـك أن يستنجوا بعـظم أو روث أو حممة فإن الله تعالى جاعل لنا فيها رزقاً . وفي صحيح مسلم فقال : كل عظم ذكـر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمـاً ، وكل بعـرة علف لدوابكم فقـال رسول الله ﷺ : فلا تستنجوا بهما فإنهما طعـام إخوانكم من الجن . وفي البخـاري من حديث أبي هريرة قال : فقلت : ما بال العظم والروث ؟ قال : هما طعام الجن وأنه أتاني وفد جن نصيبين ونعم الجن فسألوني الزاد فدعوت الله تعـالى أن لا يمروا بعظم ولا روثة إلاَّ وجدوا عليها طعاماً .

قلت : والـظاهر عن الأعمش جـوازه لأنا قـدمنا عنـه أنه حضـر نكاحـاً للجن بكوني . قال : وتزوج رجل منهم إلى الجن وقـوله فيمـا صح عنـه تزوج إلينـا جني فسألته إلى آخره ، دليل على أنه كان جائزاً عنده إذ لو كان حرامـاً لما حضـره . وقد روي عن زيد العمي أنه قال : اللهم ارزقني جنية أتزوجها قيل له : يا أبا الحـواري ومـا تصنع بهـا ؟ قال : تصحبني في أسفـاري حيث كنت كانت معي . رواه حـرب

عن إسحاق . أخبرني محرز شيخ من أهل مرو ثقة قال : سمعت زيد العمي يقول فذكره . وقد قدمنا أن ظاهر قول مالك بن أنس رضي الله عنه : ما أرى بذلك بأساً في الدين يدل على جوازه عنده ، وإنما كرهه لمعنى آخر وهو منتف في العكس والله أعلم .

* * *

الباب الحادي والثلاثون

في بيان تعرض الجن لنساء الإنس

قال عبد الله بن محمد القرشي : حدثنا عبد العزيز بن معاوية القرشي ، حدثنا أبو عامر الضرير ، حدثنا حماد بن سلمة عن داود بن هند عن سماك بن حرب عن جرير بن عبد الله قال : إني لأسير بتستر في طريق من طرقها وقت الذي فتحت إذ قلت : لا حول ولا قوة إلاَّ بالله ، قال : فسمعني هربذ من أولئك الهرابذة فقال : ما سمعت هذا الكلام من أحد منذ سمعته من السماء ؟ قال : قلت : فكيف ذلك ؟ قال : إني كنت رجلاً أفد على الملوك أفد على كسرى وقيصر فوفدت عاماً على كسرى فخلفني في أهلي شيطان يكون على صورتي . فلما قدمت لم يهش إليّ أهلي كما يهش أهل الغائب إلى غائبهم فقلت : ما شأنكم ؟ فقالوا : إنك لم تغب قال : قلت : وكيف ذلك ؟ قال : فظهر لي فقال : اختر أن يكون لك منها يوم ولي يوم قال : فأتاني يوماً فقال : إنه ممن يسترق السمع وإن استراق السمع بيننا نوب وإن نوبتي الليلة فهل لك أن تجيء معنا ؟ قلت : نعم . فلما أمسى أتاني فحملني على ظهره فإذا له معرفة كمعرفة الخنزير فقال لي : استمسك فإنك ترى أموراً وأهوالاً فلا تفارقني فتهلك . قال : ثم عرجوا حتى لحقوا بالسماء قال : فسمعت قائلاً يقول : لا حول ولا قوة إلاَّ بالله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . قال : فلحق بهم فوقعوا من وراء العمران في غياض وشجر قال : فحفظت الكلمات ، فلما أصبحت أتيت أهلي وكان إذا جاء قلتهن فيضطرب حتى يخرج من كوة البيت ، فلم أزل أقولهن حتى انقطع عني . حدثنا الحسن بن جهور ، حدثني ابن أبي إلياس ، حدثني أبو عباد بن إسحاق عن إبراهيم بن محمد بن طلحة عن سعد بن أبي وقاص قال : بينا أنا بفناء داري إذ جاءني رسول زوجتي فقال : أجب فلانة فاستنكرت ذلك فدخلت فقلت : مه فقالت : إن هذه الحية وأشارت إليها كنت أراها بالبادية إذا خلوت ثم مكثت لا أراها حتى رأيتها الآن وهي هي أعرفها بعينها

قال : فخطب سعد خطبة حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنك قد آذيتني وإني أقسم لك بالله إن رأيتك بعد هذا لأقتلنك ، فخرجت الحية فانسابت من البيت ثم من باب الدار وأرسل سعد معها إنساناً فقال : انظر أين تذهب فتبعها حتى جاءت المسجد ثم جاءت منبر رسول الله ﷺ فرقت فيه مصعدة إلى السماء حتى غابت .
وفي الباب عدة أخبار مفرقة في الأبواب الآتية حسبما اقتضاه التبويب كزيادة في كل خبر ـ وبالله التوفيق ـ .

* * *

الباب الثاني والثلاثون
في منع بعض الجن بعضاً من التعرض لنساء الإنس

قال القرشي في مكايد الشيطان : حدثني أبو سعيد المديني ، حدثني إسماعيل بن أبي أويس ، حدثني محمد بن حسن ، حدثني إبراهيم بن هارون بن موسى بن محمد بن إياس بن البكير الليثي ، حدثني أبي عن حسن بن حسن قال : دخلت على الربيع بنت معوذ بن عفراء أسألها عن بعض الشيء فقالت : بينا أنا في مجلسي إذ انشق سقفي فهبط عليّ منه أسود مثل الجمل أو مثل الحمار لم أر مثل سواده ، وخلقه ، وفظاعته قالت : فدنا مني يريدني وتبعته صحيفة صغيرة ففتحها فقرأها فإذا فيها من رب عكب إلى عكب ، أما بعد فلا سبيل لك إلى المرأة الصالحة بنت الصالحين قالت : فرجع من حيث جاء وأنا أنظر إليه . قال حسن بن حسن : فأرتني الكتاب وكان عندهم .

حدثني أبو جعفر الكندي ، حدثنا إبراهيم بن صرمة الأنصاري عن يحيى بن سعيد قال : لما حضرت عمرة بنت عبدالرحمن الوفاة اجتمع عندها أناس من التابعين فيهم عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وأبو سلمة بن عبد الرحمن فبينا هم عندها وقد أغمي عليها إذ سمعوا نفيضاً من السقف إذ ثعبان أسود قد سقط كأنه جذع عظيم فأقبل يهوي نحوها إذ سقط رق أبيض مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم من رب عكب إلى عكب ليس لك على بنات الصالحين سبيل . فلما نظر إلى الكتاب سما حتى خرج من حيث نزل . حدثني محمد بن قدامة ، حدثنا عمر بن يونس اليمامي الحنفي قال : حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثني إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة قال : حدثني أنس بن مالك قال : كانت ابنة عوف بن عفراء مستلقية

على فراشها فما شعرت إلاَّ بزنجي قد وثب على صدرها ووضع يده في حلقهـا فإذا صحيفة صفراء تهوي بين السماء والأرض حتى وقعت على صدري فأخـذها فقـرأها فإذا فيها من رب لكين إلى لكين اجتنب ابنة العبد الصالح فإنه لا سبيل لك عليها ، فقام وأرسل بيـده من حلقي وضرب بيـده على ركبتي فاستـورمت حتى صارت مثـل رأس الشاة قالت : فأتيت عائشة رضي الله عنها فـذكرت ذلـك لها فقـالت : يا ابنـة أخي إذا خفت فاجمعي عليك ثيابك فإنه لن يضرك إن شاء الله قـال : فحفظهـا الله بأبيها فإنه كان قتل يوم بدر شهيداً .

* * *

الباب الثالث والثلاثون

في بيان حكم وطء الجني الأنسيّة هل يوجب عليها الغسل أم لا

ذكر في الفتاوى الظهيرية قال : وفي صـلاة ابن‌عبدك‌امـرأة قالت : معي جني يأتيني في اليوم مراراً وأجد في نفسي مـا أجد إذا جـامعني زوجي لا غسل عليهـا . وذكـر أبو المعـالي بن منجي الحنبلي في كتاب : « شـرح الهدايـة » لابن الخـطاب الحنبلي في امرأة قالت : إن جنياً يأتيني كمـا يأتي الـرجل المـرأة فهل يجب عليهـا غسل ؟ قال بعض الحنفية : لا غسل عليها أو كذا قال أبو المعالي لو قـالت امرأة : معي جني كالرجل لا غسل عليها لانعدام سببه وهو الإيـلاج والاحتلام فهـو كالمنـام بغير إنزال .

قلت : وفيما قاله من التعليل نظر لأنها إذا كانت تعرف أنـه يجامعهـا كالـرجل فكيف تقـول : يجامعني ولا إيـلاج ولا احتـلام . وإذا انعـدم السبب وهـو الإيـلاج والاحتلام فكيف يوجد الجماع والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الرابع والثلاثون

في أن المخنثين أولاد الجن

قـال الـطرطـوسي في كتـاب « تحـريم الفـواحش » بـاب من أي شيء يكـون المخنث : حدثنا أحمد بن محمد ، حـدثنا أحمـد بن محمد القـاضي ، حدثنـا ابن

أخي ابن وهب ، حدثني عمي عن يحيى عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : المخنثون أولاد الجن قيل لابن عباس : كيف ذلك ؟ قال : إن الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ نهيا أن يأتي الرجل امرأته وهي حائض فإذا أتاها سبقه إليها الشيطان فحملت فجاءت بالمخنث والله أعلم .

* * *

الباب الخامس والثلاثون
في حكم المرأة إذا اختطف الجن زوجها

قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني إسماعيل بن إسحاق ، حدثنا خالد بن الحارث ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي نصرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى : أن رجلاً من قومه خرج ليصلي مع قومه صلاة العشاء ففقد ، فانطلقت امرأته إلى عمر بن الخطاب فحدثته بذلك فسأل عن ذلك قومها فصدقوها فأمرها أن تتربص أربع سنين ، فتربصت ثم أتت عمر فأخبرته بذلك فسأل عن ذلك قومها فصدقوها فأمرها أن تتزوج ثم إن زوجها الأول قدم فارتفعوا إلى عمر بن الخطاب فقال عمر : يغيب أحدكم الزمان الطويل لا يعلم أهله حياته . قال : كان لي عذر قال : وما عذرك ؟ قال : خرجت أصلي مع قومي صلاة العشاء فسبتني أو قال : أصابتني الجن فكنت فيهم زمناً طويلاً فغزاهم جن مؤمنون فقاتلوهم فظهروا عليهم فأصابوا لهم سبايا فكنت فيمن أصابوا فقالوا : ما دينك ؟ قلت : مسلم . قالوا : أنت على ديننا ، لا يحل لنا سبيك فخيروني بين المقام وبين القفول فاخترت القفول فأقبلوا معي بالليل بشر يحدثونني وبالنهار إعصار ريح أتبعها فقال : فما كان طعامك ؟ قال : كل ما لم يذكر اسم الله عليه . قال : فما كان شرابك ؟ قال : الجدف . قال قتادة : ـ الجدف ـ ما لم يخمر من الشراب . قال : فخيره عمر رضي الله عنه بين المرأة وبين الصداق . قال أيضاً : وحدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن يوسف ، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال : انتسفت الجن رجلاً على عهد عمر رضي الله عنه فلم يدروا أحياً هو أم ميتاً فأتت امرأته عمر رضي الله عنه فأمرها أن تتربص أربع سنين ، ثم أمر وليه أن يطلق ، ثم أمرها أن تعتد وتتزوج فإن جاء زوجها خير بينها وبين الصداق والله تعالى أعلم .

* * *

الباب السادس والثلاثون

في النهي عن أكل ما ذبح للجن وعلى اسمهم

قال يحيى بن يحيى قال لي وهب : استنبط بعض الخلفاء عيناً وأراد إجراءها وذبح للجن عليها لئلا يغوروا ماءها فأطعم ذلك أناساً ، فبلغ ذلك ابن شهاب فقال : أما إنه قد ذبح ما لم يحل له وأطعم الناس ما لا يحل لهم نهى رسول الله ﷺ عن أكل ما ذبح للجن .

قال الطليطلي : وأخبرني يحيى بن يحيى عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال : نهى رسول الله ﷺ عن أكل ما ذبح للجن وعلى اسمهم . ونقلت عن خط الشيخ العلاّمة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي قال : وقد وقعت هذه الواقعة بعينها في مكة سنة إجراء العين بها ، فأخبرني إمام الحنابلة بمكة وهو الذي كان إجراؤها على يده وتولى مباشرتها بنفسه نجم الدين خليفة بن محمود الكيلاني قال : لما وصل الحفر إلى موضع ذكره خرج أحد الحفارين من تحت الحفر مصروعاً يتكلم فمكث كذلك طويلاً فسمعناه يقول : يا مسلمين لا يحل لكم أن تظلمونا . قلت أنا له : وبأي شيء ظلمناكم ؟ قال : نحن سكان هذه الأرض لا والله ما فيهم مسلم غيري وقد تركتهم ورائي مسلسلين وإلاّ كنتم لقيتم منهم شراً ، وقد أرسلوني إليكم يقولون : لا ندعكم تمرون بهذا الماء في أرضنا حتى تبذلوا لنا حقنا . قلت : وما حقكم ؟ قال : تأخذون ثوراً فتزينونه بأعظم زينة وتلبسونه وتزفونه من داخل مكة حتى تنتهوا به إلى هنا فاذبحوه ، ثم اطرحوا لنا دمه وأطرافه ورأسه في بئر عبد الصمد وشأنكم بباقيه وإلاّ فلا ندع الماء يجري في هذه الأرض أبداً . قلت : نعم أفعل ذلك . قال : وإذا بالرجل قد أفاق يمسح وجهه وعينيه ويقول : لا إله إلاّ الله أين أنا ؟ قال : وقام الرجل ليس به قلبة ، فذهبت إلى بيتي ، فلما أصبحت ونزلت أريد المسجد إذا برجل على الباب لا أعرفه فقال : الحاج خليفة ههنا ؟ قلت : وما تريد به ؟ قال : حاجة أقولها له . قلت له : قل لي الحاجة وأنا أبلغه إياها فإنه مشغول . قال لي : قل له : إني رأيت البارحة في النوم ثوراً عظيماً قد زينوه بأنواع الحلي واللباس وجلوا به يزفونه حتى مروا به على دار خليفة فوقفوه إلى أن خرج وراه وقال : نعم هو هذا . ثم أقبل به يسوقه والناس خلفه يزفونه حتى خرج به من مكة فذبحوه وألقوا رأسه وأطرافه في بئر قال : فعجبت من منامه وحكيت الواقعة والمنام لأهل مكة وكبرائهم ، فاشتروا ثوراً وزينوه وألبسوه وخرجنا به

نزفه حتى انتهينا إلى موضع الحفر فذبحناه وألقينا رأسه وأطـرافه ودمـه في البئر التي سماها . قال : ولما كنا قد وصلنا إلى ذلك الموضع كان الماء يغـور فلا نـدري أين يذهب أصلاً ولا ندري له عيناً ولا أثراً . قال : فما هو إلاَّ أن طرحنا ذلك في البئر . قـال : وكأني بمن أخـذ بيدي وأوقفني على مكـان . وقال : احفـروا ههنا . قـال : فحفرنا وإذا بالماء يموج في ذلك الموضع ، وإذا طريق منقورة في الجبل يمر تحتها الفارس بفرسه فأصلحناها ونظفناها فجرى الماء فيها نسمع هديـره فلم يكن إلاَّ نحو أربعة أيام ، وإذا بالماء بمكة وأخبرنا من حول البئر أنهم لم يكونوا يعرفـون في البئر ماء يردونه فما هو إلاَّ أن امتلأت وصارت مورداً .

قال العلاَّمة شمس الدين : وهذا نظير ما كان عادتهم قبـل الإسلام من تـزيين جارية حسناء وإلباسها أحسن ثيابها وإلقائها في النيل حتى يـطلع ، ثم قطع الله تلك السنـة الجاهليـة على يدي من أخـاف الجـن وقمعها عمـر بن الخـطاب رضي الله عنه . وهكذا هذه العين وأمثالها لو حفـرها رجـل عمري يفـرق منه الشيـطان لجرت على رغمهم ولم يذبح لهم عصفور فما فوقه ولكن لكل زمان رجال .

قال : وهذا الرجل الذي أخبرني بهذه الحكاية كنت نزيله وجاره وخبرته فرأيته من أصـدق الناس وأدينهم وأعـظمهم أمانـة وأهل البلد كلمتهم واحـدة على صدقـه ودينه وشاهدوا هذه الواقعة بعيونهم والله الهادي للحق .

* * *

الباب السابع والثلاثون

في رواية الجن الحديث

قـال أبـو نعيم : حـدثنـا الحسن بن إسحـاق بن إبـراهيم بن زيـد ، حـدثنـا أحمـد بن عمر بن جابـر الـرملي ، حـدثنـا أحمـد بن محمـد بن طـريف ، حـدثنا محمد بن كثير عن الأعمش ، حدثني وهب بن جابـر عن أبي بن كعب قال : خـرج قوم يريدون مكة فأضلوا الطريق فلما عاينوا الموت أو كـادوا يموتـون لبسوا أكفـانهم وأضجعوا للموت ، فخـرج عليهم جني يتخلل الشجر وقـال : أنا بقيـة النفر الـذين استمعوا على النبي ﷺ سمعته يقول : المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله لا يخذله هذا الماء وهذا الطريق ثم دلهم على الماء وأرشدهم إلى الطريق .

وقال أبو بكر بن محمد : حدثني أبي ، حدثنا عبد العزيز القرشي أنا إسرائيل

عن السدي عن مولى عبد الرحمن بن بشر قال : خرج قوم حجاجاً في إمرة عثمان فأصابهم عطش فانتهوا إلى ماء ملح فقال بعضهم : لو تقدمتم فإنا نخاف أن يهلكنا هذا الماء فإن أمامكم الماء فساروا حتى أمسوا فلم يصيبوا ماء فقال بعضهم لبعض : لو رجعتم إلى الماء الملح فأدلجوا حتى انتهوا إلى شجرة سمر ، فخرج عليهم رجل أسود شديد سواد الجسم فقال : يا معشر الركب إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحب للمسلمين ما يحب لنفسه ويكره للمسلمين ما يكره لنفسه » ، فسيروا حتى تنتهوا إلى أكمة فخذوا عن يسارها فإن الماء ثَمَّ . فقال بعضهم : والله إنا لنرى أنه شيطان وقال بعضهم : ما كان الشيطان ليتكلم بمثل ما تكلم به يعني أنه مؤمن من الجن ، فصاروا حتى انتهوا إلى المكان الذي وصف لهم فوجدوا الماء ثَمَّ .

وقد قدمنا في الباب الثامن عشر في خبر الذي دفنه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قول الجني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : ستموت بأرض فلاة فيكفنك ويدفنك رجل صالح . وقول الآخر : قال رسول الله ﷺ لصاحبي المدفون : ستموت في أرض غربة يدفنك فيها خير أهل الأرض والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الثامن والثلاثون

في تحمل الجن العلم عن الإنس وفتواهم للإنس

قال أبو بكر القرشي : حدثني عيسى بن عبيد الله التميمي ، حدثنا أبو إدريس ، حدثني أبي عن وهب بن منبه قال : كان يلتقي هو والحسن البصري في الموسم كل عام في مسجد الخيف إذا هدأت الرجل ونامت العين ومعهما جلاس لهما يتحدثون . فبينا هما ذات ليلة يتحدثان مع جلسائهما إذ أقبل طائر له حفيف حتى وقع إلى جانب وهب في الحلقة فسلم فرد وهب عليه السلام وعلم أنه من الجن . ثم أقبل عليه يحدثه فقال وهب : من الرجل ؟ قال : رجل من الجن من مسلميهم . قال وهب : فما حاجتك ؟ قال : أَوَ ينكر علينا أن نجالسكم ونحمل عنكم العلم ، إن لكم فينا رواة كثيرة وإنا لنحضركم في أشياء كثيرة من صلاة وجهاد وعيادة مريض وشهادة جنازة وحج وعمرة وغير ذلك ، ونحمل عنكم العلم ونسمع منكم القرآن . قال له وهب : فأي رواة الجن عندكم أفضل ؟ قال : رواة هذا

الشيخ وأشار إلى الحسن . فلما رأى الحسن وهباً وقد شغل عنه قال : يا أبا عبد الله من تحدث ؟ قال : بعض جلسائنا . فلما قاما من مجلسهما سأل الحسن وهباً فأخبره وهب خبر الجني ، وكيف فضّل رواة الحسن على غيره ؟ قال الحسن : يا وهب أقسمت عليك ألّا تذكر هذا الحديث لأحد فإني لا آمن أن ينزله الناس على غير ما جاء . قال وهب : فكنت ألقى ذلك الجني في المواسم في كل عام فيسألني فأخبره ، ولقد لقيته عاماً في الطواف ، فلما قضينا طوافنا قعدت أنا وهو في ناحية المسجد فقلت له : ناولني يدك فمد يده إلي فإذا هي مثل برثن الهر وإذا عليها وبر . ثم مددت يدي حتى بلغت منكبه فإذا مرجع جناح قال : فأغمز يده غمزة . ثم تحدثنا ساعة ثم قال لي : يا أبا عبد الله ناولني يدك كما ناولتك يدي . قال : فأقسم بالله لقد غمز يدي غمزة حين ناولتها إياه حتى كاد يصيحني ، وضحك . قال وهب : وكنت ألقى ذلك الجني في كل عام في المواسم ثم فقدته فظننت أنه مات أو قتل . قال : وسأل وهب الجني أي جهادكم أفضل ؟ قال : جهاد بعضنا بعضاً .

وقال أبو عبد الرحمن بن شكر : حدثنا محمد بن عيسى الجندي ، حدثنا صامت بن معاذ عن عبد الرحمن بن يحيى عن أبيه يحيى بن ثابت قال : كنت مع حفص الطائفي بمنى فإذا شيخ أبيض الرأس واللحية يفتي الناس فقال لي حفص : يا أبا أيوب أترى هذا الشيخ الذي يفتي الناس هو عفريت . قال : فدنا منه حفص وأنا معه فلما نظر إلى حفص وضع يده على نعليه ثم اشتد وتبعه القوم وجعل يقول : يا أيها الناس إنه عفريت .

* * *

الباب التاسع والثلاثون

في بيان وعظ الجن للإنس

قال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن الحسين ، حدثنا داود بن المحبر ، حدثنا سوادة بن الأسود سمعت أبا خليفة العبدي قال : مات ابن لي صغير فوجدت عليه وجداً شديداً وارتفع عني النوم فوالله إني ذات ليلة لفي بيتي على سريري وليس في البيت أحد وإني لمفكر في ابني إذ ناداني مناد من ناحية البيت : السلام عليكم ورحمة الله يا خليفة قلت : وعليكم السلام ورحمة الله قال : فرعبت رعباً

شديداً ثم قرأ آيات من آخر سورة آل عمران حتى انتهى إلى قوله : ﴿ **وما عند الله خير للأبرار** ﴾ [آل عمران:١٩٨] . ثم قال : يا خليفة قلت : لبيك . قال : ماذا تريد أن تخص بالحياة في ولدك دون الناس أفأنت أكرم على الله أم محمد ﷺ قد مات ابنه إبراهيم فقال : « تدمع العين ويحزن القلب ،ولا نقول ما يسخط الرب» أم تريد أن تدفع الموت عن ولدك وقد كتب على جميع الخلق أم تريد أن تسخط على الله وترد في تدبيره خلقه والله لولا الموت ما وسعتهم الأرض ، ولولا الأسى ما انتفع المخلوق بعيش . ثم قال : ألك حاجة ؟ قلت : من أنت يرحمك الله ؟ قال : امرؤ من جيرانك الجن والله أعلم .

* * *

الباب الموفي أربعين

في بيان تكلم الجن بالحكم وإلقائهم الشعر على ألسنة الشعراء

قال ابن أبي الدنيا : أخبرنا محمد بن أبي معشر ، حدثني أبي ، حدثني إسحاق بن عبيد الله بن أبي فروة قال : إن نفراً من الجن تكوّنوا في صورة الإنس فأتوا رجلاً فقالوا : أي شيء أحب إليك أن يكون لك ؟ قال : الإبل قالوا : أحببت الشقاء والعناء وطول البلاء يلحقك بالغربة ويبعدك من الأحبة ، فارتحلوا من عنده فنزلوا بآخر فقالوا : أي شيء أحب إليك أن يكون لك ؟ قال : العبيد . قالوا : عز مستفاد ، وغيظ كالأوتاد ، ومال وبعاد ، فارتحلوا من عنده فنزلوا على آخر فقالوا : أي شيء أحب إليك أن يكون لك ؟ قال : أحب الغنم . قالوا : **أكلة آكل** ، ورفلة سائل لا تحملك في الحرب ، ولا تلحقك في النهب ، ولا تنجيك من الكرب ، فارتحلوا من عنده فنزلوا على آخر فقالوا : أي شيء أحب إليك أن يكون لك ؟ قال : أحب الأصل . قالوا : ثلاثمائة وستون نخلة غناء الدهر ومال الضح . قال : فارتحلوا من عنده فنزلوا على آخر فقالوا : أي شيء أحب إليك أن يكون لك ؟ قال : أحب الحرث . قالوا : نصف العيش حين تحرث تجد وحين لا تحرث لا تجد . قال : فارتحلوا من عنده فنزلوا على آخر فقالوا : أي شيء أحب إليك أن يكون لك ؟ قال : كما أنتم حتى أضيفكم فجاءهم بخبز فقالوا : قمح يصلح . ثم جاءهم بلحم فقالوا : روح تأكل روحاً ما قل منه خير مما كثر . قال : فجاءهم بتمر ولبن فقالوا : ثمر النخلات ولبن البكرات كلوا باسم الله . قال : فأكلوا . قالوا :

أخبرنا ما أحدُّ شيء ، وما أحسن شيء ، وما أطيب شيء رائحة . قال : أما أحد شيء فضرس جائع يقذف في معاء ضائع . وأما أحسن شيء فغادية في إثر سارية في أرض رابية . وأما أطيب شيء رائحة فريح زهر في أثر مطر . قالوا : فأخبرنا أي شيء أحب إليك أن يكون لك ؟ قال : أحب الموت . قالوا : لقد تمنيت شيئاً ما تمناه أحد قبلك . قال : ولِمَ فإن كنت محسناً ضمن لي إحساني ، وإن كنت مسيئاً كفاني إساءتي ، وإن كنت غنياً فقبل فقري ، وإن كنت فقيراً ضمن لي فقري . قالوا : أوصنا وزودنا . فأخرج إليهم قربة من لبن وقال : هذا زادكم . قالوا : أوصنا . قال : قولوا : لا إله إلاّ الله يكفكم ما بين أيديكم ، وما خلفكم . فخرجوا من عنده وهم يحزمونه على الجن والإنس .

قال محمد بن أبي معشر : حدثني أبو النصر هاشم بن القاسم قال : بلغني أن الرجل الذي عليه نزلوا بآخرة عويمر أبو الدرداء .

فصل : يقال للشعراء : كلاب الجن . قال عمرو بن كلثوم :

وقد هرت كلاب الجن منا   وسدينا قتادة من يلينا

وذلك لزعمهم أن الشياطين تلقي الشعر على أفواههم وسموا الملقي تابعة ورباً . قال جرير :

إني ليلقي علي الشعر مكتهل   من الشياطين إبليس الأباليس

وسموا توابعهم بأعلام . قالوا : كان للأعشى مسحل ، ولعمرو بن قطن جهنام ، ولبشار سنقناق ويقال للخلفاء والجان جند إبليس :

وكنت فتى من جند إبليس فارتقت   بي الحال حتى صار إبليس من جندي

ويقال للشعر : رقى الشياطين . قال جرير في عمر بن عبد العزيز :

رأيت رقى الشيطان لا يستفزه   وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وكذلك كل ما يتكلم به من كلمات الخلابة والتحميس قال :

ماذا يظن بسلمى إذ يلم بها   مرجل الرأس ذو بردين وضاح
خز عمامته حلو فكاهته   في كفه من رقى الشيطان مفتاح

* * *

الباب الحادي والأربعون

في تعليم الجن الطب للإنس

قال صاحب كتاب الهواتف : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن السكن ، حدثنا محمد بن زياد الكلبي ، حدثنا العلاء بن برد بن سنان عن الفضل بن حبيب السراج عن مجالد عن الشعبي عن النضر بن عمرو الحارثي قال : إنا كنا في الجاهلية إلى جانبنا غدير فأرسلت ابنتي بإناء لتأتيني بماء فابطأت علينا وطلبناها فأعيتنا فأيأسونا منها قال : والله إني ذات ليلة جالس بفناء مظلتي إذ طلع علي شيخ فلما دنا مني إذا ابنتي . قلت : ابنتي قالت : نعم ابنتك . قلت : أين كنت أي بنية ؟ قالت : أرأيت ليلة بعثتني إلى الغدير أخذني جني فاستطار بي فلم أزل عنده حتى وقع بينه وبين فريقين من الجن حرب فإني أعاهد الله إن ظفر بهم أن يردني عليك فظفر بهم فردني عليك فإذا هي قد شحب لونها وتمرط شعرها ، وذهب لحمها ، وأقامت عندنا فصلحت فخطبها بنو عمها فزوجناها . وقد كان الجني جعل بينه وبينها أمارة إذا رابها ريب أن تدخن له وأن ابن عمها ذاك عيب عليها ، وقال : جنية شيطانة ما أنت بإنسية فدخنت فناداه مناد : ما لك ولهذه لو كنت تقدمت إليك لفقأت عينيك رعيتها في الجاهلية بحسبي ، وفي الإسلام بديني . فقال له الرجل : ألا تظهر بنا حتى نراك . قال : ليس ذاك لنا ، إن أبانا سأل لنا ثلاثاً : أن نرى ولا نُرى ، وأن نكون بين أطباق الثرى ، وأن يعمر أحدنا حتى تبلغ ركبتاه حنكه ، ثم يعود فتى . قال : فقال : يا هذا ألا تصف لي دواء حمى الربع ؟ قال : بلى . قال : ما رأيت تلك الدويبة على الماء كأنها عنكبوت . قال : بلى . قال : خذها ثم اشدد على بعض قوائمها خيطاً من عهن فشده على عضدك اليسرى ففعل . قال : فكأنما نشط من عقال . قال : فقال الرجل : يا هذا ألا تصف لنا من رجل نريد ما تريد النساء ؟ قال : هل ألمت به الرحال ؟ قال : نعم . قال : لو لم يفعل وصفت لك .

وقال أيضاً : حدثنا محمد بن عمرو بن الحكم الهروي قال : أنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الثقفي عن عبد الملك بن عمير عن الشعبي عن زياد بن النضر الحارثي قال : كنا في غدير لنا في الجاهلية ومعنا رجل من الحي يقال له : عمرو بن مالك ومعه ابنة له شابة رود فقال : أي بنية خذي هذه الصحفة فأتي الغدير فأتيني من مائه . فوفاها عليه جان فاختطفها فذهب بها فافتقدها أبوها فنادى

في الحي فخرجنا على كل صعب وذلول ، وسلكنا كل شعب ونقب وطريق فلم نجد لها أثراً . فلما كان في زمن عمر بن الخطاب إذا هي قد جاءت قد عفا شعرها وأظفارها فقام إليها أبوها يلثمها ويقول : أي بنية أين كنت وأين نبت بك الأرض ؟ قالت : أتذكر ليلة الغدير ؟ قال : نعم . قالت : فإنه وافاني عليه جان فاختطفني فذهب بي فلم أزل فيهم والله ما نال مني محرماً حتى إذا جاء الإسلام غزوا قوماً مشركين منهم أو غزاهم قوم مشركون منهم فجعل لله عليه إن هو ظفر وأصحابه أن يردني على أهلي فظفر هو وأصحابه فحملني فأصبحت وأنا أنظر إليكم ، وجعل بيني وبينه أمارة إذا احتجت إليه أن أولول بصوتي . قال : فأخذوا بشعرها وأظفارها ، ثم زوجها أبوها شاباً من الحي فوقع بينها وبينه ما يقع بين الرجل وزوجته . فقال : يا مجنونة إنما نشأت في الجن فولولت بصوتها فإذا هاتف يهتف بنا : يا معشر بني الحارث اجتمعوا وكونوا أحياء كراماً . قلنا : يا هذا نسمع صوتاً ولا نرى شيئاً . قال : أنا رب فلانة رعيتها في الجاهلية بحسبي وحفظوها في الإسلام بديني والله ما نلت منها محرماً قط . إني كنت في أرض فلان سمعت نبأة من صوتها فتركت ما كنت فيه ثم أقبلت فسألتها فقالت : عيرني صاحبي أني كنت فيكم. قال: أما والله لو كنت تقدمت إليه لفقأت عينيه فتقدموا إليه فقلنا له : أي قل ، اظهر لنا نكافئك فلك عندنا الجزاء والمكافأة . فقال : إن أبانا سأل أن نَرى ، ولا نُرى ، وأن لا نخرج من تحت الثرى ، وأن يعود شيخنا فتى . فقالت له عجوز من الحي : أي فل : بنية لي أصابتها حمى الربع ، فهل لنا عندك من دواء ؟ فقال : على الخبير سقطت انظري إلى ذباب الماء الطويل القوائم الذي يكون على أفواه الأنهار فخذي سبعة ألوان منهم من أصفره ، وأحمره ، وأخضره ، وأسوده ، فاجعليه في وسط ذلك ثم افتليه بين أصبعك ، ثم اعقديه على عضدها اليسرى ففعلت فكأنما نشطت من عقال . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني إبراهيم بن عبد الله الهروي ، أنا هشيم ، أنا مجالد عن الشعبي ، قال : عرض جان لإنسان مرة وكان الذي عرض له مسلم فعولج فتركه وتكلم فقال : هل عندك من حمى الربع شيء ؟ قال : نعم تعمدوا إلى ذباب الماء فتعقد فيه خيطاً من عهن ثم تجعل في عضده فهذا من حمى الربع . وقال عبد الله بن محمد القرشي : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا إبراهيم بن سليمان أبو إسماعيل المؤدب عن الأعمش عن زيد بن وهب قال : غزونا فنزلنا في جزيرة وأوقدوا ناراً وإذا حجرة كبيرة فقال رجل من القوم : إني أرى حجرة كبيرة فلعلكم تؤذنون من فيها. فحولوا نيرانهم فأتى من الليل فقيل له : إنك

دفعت عن دارنا وسنعلمك طباً نصيب به خيراً إذا ذكر لـك المريض وجعه فما وقع في نفسك أنه دواء ، فهو دواء . قال : وكان يوماً في مسجد الكوفة فأتاه رجل عظيم البطن فقال : انعت لي دواء فإنّي كما ترى إن أكلت وإن لم آكل فقال : ألا تعجبون إلى هذا الذي يسألني وهو يموت في هذا اليوم من ثمار . فرجع ثم أتاه عند وفاء ذلك الوقت والناس عنده . فقال : إن هذا كذاب . فقال : سلوه ما فعل وجعه قال : ذهب . قال : أنا خوفته بذلك . وقال أبو بكر القرشي : حدثنا يعقوب بن عبيد ، حدثنا علي بن عاصم عن سوار بن عبد الله عن أبي ياسين قال : كنا مع الحسن قعوداً في المسجد فقام فانصرف إلى أهله وقعدنا بعده نتحدث في أصحابه . قال : ودخل بدوي من بعض أعراب بني سليم المسجد فجعل يسأل عن الحسن البصري . فقلت له : اقعد فقعد . فقلت : ما حاجتك ؟ قال : إني رجل من أهل البادية وكان لي أخ من أشد قومه فعرض له بلاء فما نزل به حتى شددناه في الحديد . فبينا نحن نتحدث في نادينا إذا هاتف يقول : السلام عليكم ولا نرى أحداً . قال : فرددنا عليهم . فقالوا : يا هؤلاء إنا جاورناكم فلم نر بجواركم بأساً وإن سفيهاً لنا تعرض لصاحبكم هذا فأردناه على تركه فأبى . فلما رأينا ذلك أحببنا أن نعذر إليكم يا فلان ، لأخيه ، إذا كان يوم كذا وكذا ، فاجمع قومك وشدوه واستوثقوا منه فإنه ان يغلبكم فلن تقدروا عليه أبداً ، ثم احمله على بعير فأت به وادي كذا ، ثم خذ من بقلة الوادي فرضه، ثم أوجره إياه وإياك أن ينفلت منكم فإنه إن ينفلت لن تقدروا عليه أبداً ، فاستوثقوا منه . فقلت : رحمك الله من يدلني على الوادي وعلى هذا البقل . قال : إذا كان ذلك اليوم فإنك تسمع صوتاً فاتبع الصوت . فلما كان ذلك اليوم جمعت قومي فإذا أخي ليس بالذي كان شدة وقوة فلم نزل نعالجه حتى استوثقنا منه ثم حملته على بعير فإذا الصوت أمامي إلي فلم نزل نتبع الصوت وهو يقول : إليّ إليّ فلان استوثقوا منه فإنه إن ينفلت منكم فلن تقدروا عليه أبداً . ثم قال : اهبط هذا الوادي . وقالوا : انخ واستوثقوا منه فإذا صاحبنا ليس بالذي كان شدة وقوة فاستوثقنا منه فقال : يا فلان قم فخذ من هذا البقل فافعل كذا وكذا حتى فعلنا وهو يقول : استوثقوا منه فإنه إن ينفلت فلن تقدروا عليه . قال : فإذا نحن لا نطيق صاحبنا فجعل ينادينا استوثقوا منه حتى استوثقنا . فلما وقع في جوفه جلا عنا وعن نفسه وفتح عينيه فأقبل إلينا فقال : يا أخي أخبرني ما الذي بلغ من أمري حتى صرت إلى ما أرى ؟ قال : قلت : يا أخي لا تسألنا . قال: خلوا سبيله فأطلقوه من الحديد الذي هو فيه . قال: فقلت له : قد رأيت الذي لقينا منه

وأخاف أن يذهب على وجهه . قال : والله لا يعود إليه إلى يوم القيامة . قال : فأطلقناه فأقبل علي بعدما أطلقناه . فقال : يا أخي ما كان من أمري حتى بلغ بي ما أرى . قلت : لا تسألني . قال : خلوا عنه . قال : قلت : رحمك الله أحسنت إلينا،ولكن بقي شيء فأخبرنا به . قال : ما هو ؟ قلت : إنك حين قلت لنا ما قلت نذرت لله تعالى إن عافى أخي أن أحج ماشياً مزموماً . قال : والله إن هذا الشيء ما إن لنا به علم ، ولكن أدلك اهبط هذا الوادي فأت البصرة فاسأل عن الحسن بن أبي الحسن فاسأله عن هذا فإنه رجل صالح . قال أبو يس : فجئنا إلى باب الحسن فاستأذنت فخرجت الجارية ثم رجعت إليه فقالت: هذا أبو يس بالباب . قال : قولي له فليدخل فدخلت فإذا هو في غرفة أظنها من قصب وإذا في الغرفة سرير مرمول بالشريط وإذا الحسن قاعد عليه فسلمت عليه فرد علي السلام . فقال : يا أبا يس إنما عهدي بك منك منذ ساعة فما حاجتك ؟ قلت : يا أبا سعيد معي غيري أتأذن له ؟ قال : نعم . فقال للخادم : أئذن له فدخل إليه ثم سلم وقعد معه . فقلت : أعد حديثك كما حدثتني فأخذ في أوله والحسن مستقبله إلى قوله : ائته اسأله فإنه رجل صالح فبكى الحسن وقال : أما الزمام فمن طاعة الشيطان فلا تزم نفسك وكفر عن يمينك ، وأما المشي فامش إلى بيت الله تعالى ، وأوف بنذرك والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الثاني والأربعون

في اختصام الجن والإنس إلى الإنس

قال أبو سليمان محمد بن عبد الله بن دبرا الرابعي الحافظ في كتاب « العجائب » : حدثنا أبي ، حدثنا أبو عبد الله أحمد بن علي الدوري أخو سهل الدوري : سمعت أبا ميسرة الحراني يقول : اختصمت الجن والإنس إلى محمد بن علاثة القاضي في بئر بالمدائن . فقال أبو عبد الله : فسألت أبا ميسرة : ظهرت الجن له ؟ قال : لا ولكنه سمع كلامهم فحكم للإنس أن يستقوا منها من طلوع الشمس إلى غروب الشمس ، وحكم للجن أن يستقوا من غروب الشمس إلى طلوع الفجر . قال : فكان إذا استقى منها أحد بعد غروب الشمس رجم بالحجارة .

* * *

الباب الثالث والأربعون

في خوف الجن من الإنس

قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا داود بن عمرو الضبي ، حدثنا عباد بن العوام ، أنبأنا حصين عن مجاهد قال : بينا أنا ذات ليلة أصلي إذ قام مثل الغلام بين يدي . قال : فشددت عليه لآخذه فقام فوثب فوقع خلف الحائط حتى سمعت وقعته ، فما عاد إلي بعد ذلك . قال مجاهد : إنهم يهابونكم كما تهابونهم . حدثنا هارون بن عبد الله البزار ، حدثنا محمد بن بشر ، حدثني معسر بن كدام عن شيخ أرى كان يكنى أبا شراعة . قال : رآني يحيى بن الجزار وأنا أهاب أن أدخل زقاقاً بالليل فقال لي : إن الذي تهاب هو أشد منك فرقاً . قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن جابر عن حماد عن مجاهد قال: الشيطان أشد فرقاً من أحدكم منه فإن تعرض لكم فلا تفرقوا منه فيركبكم ، ولكن شدوا عليه فإنه يذهب والله أعلم .

* * *

الباب الرابع والأربعون

في تسخير الجن للإنس وطاعتهم لهم

قال الله تعالى : ﴿ **ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين** ﴾ [الأنبياء:٨٢] وقال تعالى : ﴿ **وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون** ﴾ [النمل:١٧] ، ﴿ **ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً** ﴾ [سبأ:١٢ ـ ١٣] ، ﴿ **والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين في الأصفاد** ﴾ [صٓ:٣٧ ـ ٣٨].

وقال تعالى : ﴿ **قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك** ﴾ [النمل:٣٩]. وفيما قص الله تعالى من أعمال الجن لسليمان عليه السلام كفاية قوله تعالى : ﴿ **والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين في الأصفاد** ﴾ [صٓ:٣٧ ـ ٣٨] . روى ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عن قتادة : ﴿ **يعملون له**

ما يشاء من محاريب وتماثيل ﴾ [سبأ:١٣] . وقال السدي : ومن كل بناء من البناء الذي يبنى .

قوله : وغواص قال قتادة : غواص يستخرجون الحلي من البحر . وقال السدي : الغواص الذي يقوم في الماء وآخرين مقرنين في الأصفاد . قال قتادة : من مردة . وقال ابن عباس : في وثاق ، وقال قتادة : مقرنين في الأصفاد من السلاسل في أيديهم مصفودين مسخرين مع سليمان ، وقال السدي : الأصفاد تجمع اليدين إلى عنقه . قوله تعالى : ﴿ **هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب** ﴾ [صٓ:٣٩] . قال السدي : امنن على من شئت منهم فأعتقه ، وقال ابن عباس قوله : ﴿ **هذا عطاؤنا فامنن** ﴾ . يقول : أعتق من الجن من شئت وأمسك منهم من شئت ، وقال قتادة : هؤلاء الشياطين احبس منهم من شئت في وثاقك هذا أو سرح من شئت منهم فاتخذ عنده يداً . اصنع ما شئت لا حساب عليك في ذلك . قال السدي : يمن على من يشاء منهم فيعتقه ويمسك من يشاء منهم فيستخدمه ليس عليه في ذلك حساب .

وقال شاكر في كتاب (العجائب) : حدثنا محمد بن عمير أبو عزيز ، حدثنا عمران بن موسى بمكة ، حدثنا علي بن مهران حدثنا جرير بن عبد الحميد عن سفيان بن عبد الله : أن عمر بن عبد العزيز سأل موسى بن نصير أمير المغرب وكان يبعث في الجيوش حتى بلغ أو سمع وجوب الشمس عن أعجب شيء رآه في البحر فقال : انتهيت إلى جزيرة من جزائر البحر فإذا نحن ببيت مبني وإذا نحن فيها بسبع عشرة جرة خضراء مختومة بخاتم سليمان عليه السلام فأمرت بأربع منها فأخرجت وأمرت بواحدة منها فنقبت فإذا شيطان يقول : والذي أكرمك بالنبوة لا أعود بعدها أفسد في الأرض . ثم نظر فقال : والله ما أرى بها سليمان وملكه فانساخ في الأرض فذهب فأمرت بالبواقي فردت إلى مكانها . وقال أيضاً : حدثنا عباس بن الوليد بن مزيد البيروني ، حدثنا أبي عن موسى بن نصير وكان يهودياً من أهل الكتاب فأسلم فأُمِّر على المغرب فخرج غازياً في البحر حتى أتى بحر الظلمة وأطلق المراكب على وجوهها تسير . قال : فسمع شيئاً يقرع المراكب فإذا بجرار خضر مختمة فهاب أن يكسر الخاتم فأمر فأخذ قلة منها ثم رجع فنظرنا فإذا هي مختمة فقال لبعض أصحابه : اقدحوها من أسفلها . قال : فلما أخذ المقداح القلة صاح صائح : لا والله يا نبي الله لا أعود . قال : فقال موسى : هذا من الشياطين

الـذين سجنهم سليمـان بن داود ونفـذ المقـداح في القلة فـإذا شخص على رجـل المركب فلما نظر إليهم قال : أنتم هم والله لولا نعمتكم عليَّ لفرقتكم .

قلت : ولي مـوسى بن نصير غـزو البحر لمعـاوية وافتتـح الأندلس وجـرت له عجائب ، وقيل : لم يسمع في الإسلام بمثـل سبايـا موسى بن نصيـر وكثرتهم والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الخامس والأربعون

في دلالة الجن الإنس على ما يدفع كيدهم ويعصم منهم

قـال أبـو بكـر عبـد الله بن محمـد : حـدثنـا أبـو عثمـان سعيـد بن عثمـان الجرجاني ، حدثنا زيد بن الحباب العكلي ، حـدثني عبد المؤمن بن خـالد الحنفي من أهل مرو ، أنبأنا عبد الله بن بريـدة الأسلمي عن أبي الأسود الـدؤلي قال : قلت لمعاذ بن جبل : أخبرني عن قصة الشيطان حين أخذته فقال : جعلني رسول الله ﷺ على صدقة المسلمين فجعلت الثمر في غرفة . قال : فوجدت فيه نقصاناً فأخبـرت رسول الله ﷺ بذلك فقال : هـذا الشيطان يـأخذه . فـدخلت الغرفـة وأغلقت الباب فجاءت ظلمة عظيمة فغشيت الباب ثم تصور في صـورة ثم تصور في صـورة أخرى فدخل من شق الباب فشددت إزاري عليّ فجعل يأكل من الثمر فوثبت عليه فضبطته فالتفت يداي عليه فقلت : يا عدو الله . فقال : خَلِّ عني فإني كبيـر ذو عيال وأنـا فقيـر وأنا من جن نصيبين ، وكـانت لنا هـذه القريـة قبل أن يبعث صـاحبكم . فلما بعث أخرجنا منها فخَلِّ عني فلن أعـود عليك . فخليتـه وجاء جبـريل عليـه السلام فأخبر رسول الله ﷺ بما كان فصلى رسول الله ﷺ فنادى مناديـه : ما فعـل أسيرك ؟ فأخبرته . فقال : أما إنه سيعـود فعد . قـال : فدخلت الغـرفة وأغلقت عليّ البـاب فجاء فدخل من شق الباب فجعل يأكل من الثمر فصنعت به كما صنعت به في المرة الأولى . فقال : خَـلِّ عني فإني لن أعود إليك . فقلت : يا عدو الله ألم تقل : إنك لن تعـود ؟ قال : فـإني لن أعود وآيـة ذلك : أنـه لا يقرأ أحـد منكم خاتمـة البقـرة فيدخل أحد منا في بيته تلك الليلة . وساقـه في كتاب (مكـايد الشيـطان) عن أبي سعيد أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان عن زيد بن الحباب .

وقال أبو القاسم الطبـراني : حدثنـا إسماعيـل بن الفضل الأسفـاطي ، حدثنـا

موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبان بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير عن الحضرمي بن لاحق عن محمد بن عمرو بن أبي بن كعب عن جده أبي بن كعب أن أباه أخبره أنه كان له جرن فيه ثمر فكان يتعهده فوجده ينقص فحرسه ذات ليلة فإذا هو بدابة شبه الغلام المحتلم . قال : فسلمت عليه فرد عليّ السلام . فقلت : ما أنت جني أم إنسي ؟ قال : جني . قال : قلت : ناولني يدك فناولني يده فإذا يد كلب وشعر كلب . قال : فقلت : هكذا خلقة الجن ؟ قال : لقد علمت الجن ما فيهم أشد مني . قلت : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : بلغني أنك رجل تحب الصدقة فأحببنا أن نصيب من طعامك . قال : فقال له أبي : فما الذي يجيرنا منكم ؟ قال هذه الآية التي في سورة البقرة : ﴿ **الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم** ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، من قالها حين يصبح أجير منا حتى يمسي ومن قالها حين يمسي أجير منا حتى يصبح . فلما أصبح أتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال النبي ﷺ : صدق الخبيث . وهكذا رواية الحاكم في مستدركه من حديث أبي داود الطيالسي عن حرب بن شداد عن يحيى بن أبي كثير عن الحضرمي بن لاحق عن محمد بن عمرو بن أبي بن كعب عن جده به . وفي الصحيح حديث أبي هريرة قال : وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ . فقال : أعلمك كلمات ينفعك الله بهن . قلت : ما هي ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ هذه الآية : ﴿ **الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم** ﴾ ، حتى ختم الآية فإنه لن يزال عليك حافظ من الله تعالى ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح . فقال النبي ﷺ : ما فعل أسيرك الليلة ؟ قلت : يا رسول الله علمني شيئاً زعم أن الله تعالى ينفعني به . قال : وما هو ؟ قال : أمرني أن أقرأ آية الكرسي إذا أويت إلى فراشي زعم أنه لا يقربني حتى أصبح ولا يزال عليّ من الله تعالى حافظ . قال : أما إنه قد صدقك وهو كذوب . وقال أبو بكر القرشي في « مكايد الشيطان والهواتف » : حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد ، حدثنا إسحاق قال : خرج زيد بن ثابت إلى حائط له فسمع فيه جلبة فقال : ما هذا ؟ قال : رجل من الجن أصابتنا السنة فأردنا أن نصيب من ثماركم أفتطيبونه ؟ قال : نعم . ثم خرج الليلة الثانية فسمع فيه أيضاً جلبة . فقال : ما هذا ؟ قال : رجل من الجن أصابتنا السنة فأردنا أن نصيب من ثماركم أفتطيبونه ؟ قال : نعم . فقال له زيد بن ثابت : ألا تخبرني ما الذي يعيذنا منكم ؟ قال : آية الكرسي . وقال أيضاً : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثني

علي بن عثمان اللاحقي حدثتني عبيدة بنت الوليد بن مسلم عن الوليد أبيها : أن رجلاً أتى شجرة أو نخلة فسمع فيها حركة فتكلم فلم يجب فقرأ آية الكرسي فنزل إليه شيطان فقال : إنا لنا مريضاً فبم تداويه ؟ قال : بالذي أنزلتني به من الشجرة .

وقال أبو عبد الرحمن بن المنذر في كتاب « العجائب » : حدثنا محمد بن عمران بن حبيب البزار ، حدثنا القاسم بن الحكم ، حدثنا حمزة بن حبيب الزيّات قال : بينا أنا بحلوان في خان وحدي إذا أنا بشيطانين قد أقبلا فقال أحدهما لصاحبه : هذا الذي يقرىء الناس القرآن تعال نفعل به كذا وكذا . قال : ويلك مر . قال : فلما دنوا مني قرأت هذه الآية : ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلاَّ هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلاَّ هو العزيز الحكيم** ﴾ [آل عمران : ١٨] . فقال أحدهما لصاحبه : لا أرغم الله إلاَّ بأنفك ، أما أنا فلا أزال أحرسه إلى الصباح .

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب « الهواتف » : حدثني إبراهيم بن محمد ، حدثني الحسن بن عروة ، حدثني أبي عروة بن زيد عن أبي الأشم العبدي ولقيته بالموصل قال : خرج رجل في جوف الليل إلى ظهر الكوفة فإذا هو بشيء كهيئة العريش وإذا حوله جمع قد أحدقوا به . قال : فكمن الرجل ينظر إليهم إذ جاء شيء حتى جلس على ذلك العريش فقال والرجل يسمع : كيف لي بعروة بن المغيرة ؟ فقام شخص من ذلك الجمع فقال : أنا لك به . فقال : علي به الساعة . قال : فتوجه نحو المدينة . قال : فمكث ملياً ، ثم جاء حتى وقف بين يديه . فقال : ليس إلى عروة سبيل . فقال الذي على العريش: ولمه . قال : لأنه يقول كلاماً حين يصبح وحين يمسي ، فليس إليه سبيل . فتفرق ذلك الجمع وانصرف الرجل إلى منزله . فلما أصبح غدا إلى الكناس واشترى جملاً ثم مضى حتى أتى المدينة فلقي عروة بن المغيرة فسأله عن الكلام الذي يقوله حين يصبح وحين يمسي ، وقص عليه القصة . فقال : إني أقول حين أصبح وحين أمسي : آمنت بالله وحده ، وكفرت بالجبت والطاغوت ، واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ثلاث مرات . وقال في « مكايد الشيطان » : حدثني الحسن بن عبد العزيز الجروي ، حدثنا الحارث بن مسكين ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : قدم رجلان من أشجع إلى عروس لهما حتى إذا كانا من ناحية بموضع ذكره إذا بامرأة قالت : ما تريدان ؟ قالا : عروساً لنا نجهزها . قالت : إن لي بأمرها كله علماً فإذا فرغتما فمرا علي . فلما فرغا مرا عليها ، قالت : فإنِّي متعتكما فحملاها على أحد بعيريهما وجعلا يتعقبان الآخر

حتى أتوا كثيباً من الرمل . فقالت : إن لي حاجة فأناخا بها فانتظراها ساعة فابطأت فذهب أحدهما في أثرها فأبطأ . قال : فخرجت أطلب فإذا أنا بها على بطنه تأكل كبده . فلما رأيت ذلك رجعت فركبت وأخذت طريقاً وأسرعت فاعترضت لي فقالت : لقد أسرعت . قلت : رأيتك أبطأت فاركبي فرأتني أزفر . فقالت : ما لك؟ قلت: إن بين أيدينا سلطاناً ظالماً جائراً . قالت : أفلا أخبرك بدعاء إن دعوت به عليه أهلكته وآخذ لك حقك منه ؟ قلت : ما هو؟ قالت : قل : اللهم رب السموات وما أظلت ورب الأرضين وما أقلت ورب الرياح وما أذرت ورب الشياطين وما أضلت أنت المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام تأخذ للمظلوم من الظالم حقه ، فخذ لي حقي من فلان فإنه ظلمني . قلت : فرديها علي فجعلت تردها عليّ حتى إذا أحصاها دعا بها عليها . قال : اللهم إنها ظلمتني وأكلت أخي . قال : فنزلت نار من السماء في سوأتها فشقتها باثنتين فوقعت شقة ههنا وشقة ههنا . قال : وهي السعلى تأكل الناس . وأما الغول فمن الجن تبطل وتلعب بالناس وتضرط لا تزيد على ذلك .

وقال في « مكايد الشيطان » : حدثنا عبد الملك بن إبراهيم البارودي ، حدثنا معاوية بن هشام القصار ، حدثنا سفيان عن ابن أبي ليلى عن أبي أيوب الأنصاري قال : قلت للنبي ﷺ : إن الغول تدخل عليّ من سهوة لي ؟ قال : إذا رأيتها فقل : أجيبي رسول الله ﷺ . فقال : فرأيتها فأخذتها فخدعتني وقالت : لا أعود فخليتها فأتيت النبي ﷺ فقال : ما فعل أسيرك ؟ فقلت : أخذتها حلفت لي أن لا تعود . فقال : كذبت ستعود فعد . قال : فأخذتها فحلفت أن لا تعود فخليتها فأتيت النبي ﷺ فقال : ما فعل أسيرك ؟ فقلت : أخذتها فحلفت أن لا تعود فخليتها . قال: كذبت ستعود فعادت فأخذتها . فقالت : خل عني وأخبرك بشيء إذا قلته لم يقربك شيطان فخليتها . فقالت : اقرأ آية الكرسي . قال : فأتيت النبي ﷺ فقال : ما فعل أسيرك ؟ فأخبرته . فقال : صدقت وهي كذوب . ورواه الإمام أحمد عن أبي أحمد الزبيري عن سفيان نحوه . ورواه الترمذي في فضائل القرآن عن أبي أحمد الزبيري به وقال : حسن غريب . والغول في لغة العرب هو الجان إذا تبدى في الليل . حدثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي قال : حدثنا عبد الله بن عثمان بن إسحاق قال : سمعت من أبي أمي مالك بن حمزة بن أبي أسيد عن أبيه عن جده أبي أسيد الساعدي الخزرجي أنه قطع ثمرة حائطه فجعله في غرفة فكانت الغول تخالفه إلى مشربته فتسرق ثمره وتفسد عليه ، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال : تلك

الغـول فاستمـع منها فـإذا سمعت اقتحامهـا قال : يعني وجبهـا ، فقـل : بـاسم الله أجيبي رسول الله ﷺ ففعل. فقـالت : يا أبـا أسيد اعفني أن تكلفني اذهب إلى نبي الله ﷺ وأعطيك موثقاً من الله تعـالى لا أخالفـك إلى بيتك ولا أسـرق ثمرك وأدلـك على آيـة تقرؤهـا على بيتك فـلا تخـالف أهلك وتقـرؤهـا على إنـاثـك فـلا يكشف غطاؤه . قال : فأعطته الموثق الذي رضي به منها . وقال الآيـة التي قالت أدلـك عليها آية الكرسي ، ثم حلت استها تضرط . فأتى النبي ﷺ فقص عليه قصتها حين ولت ولهـا ضريط ، قـال : صدقت وهي كـذوب . وسيـأتي إن شـاء الله تعـالى في الباب الرابع والثلاثين بعد المائة في بيان فرار الشيطان من عمر حديث الذي صرعه عمر وفيه قول الشيطان للمصروع : اقرأ سورة البقرة لأنه ليس منها آية تقرأ في وسط شيـاطين إلا تفرقـوا ولا تقرأ في بيت فيـدخل ذلـك البيت . قـال ابن أبي الـدنيـا : حدثت عن إسحاق بن إبـراهيم ، حدثني محمـد بن منيب عن السري بن يحيى عن أبي المنذر قال : حججنا فنزلنا في أصل جبـل عظيم فـزعم الناس أن الجن تسكنـه فإذا شيخ قد أقبل من الماء . فقلت : يا أبا شمير ما تذكرون من جبلكم هذا ؟ هـل رأيت من ذلك شيئاً قط ؟ قال : نعم أخذت يوماً قوساً لي وأسهمـاً فصعدت الجبـل على وجل فابتنيت بيتاً من شجرة عند عين من ماء فمكثت فيه فإذا الأروى قد أقبلت نزيل لا تخاف شيئاً فشـربت من تـلك العين وربضت حـولها فـرميت كبشاً منهـا فما أخطأت قلبه فصاح صائـح فما بقي في الجبـل شيء إلاَّ ذهب يعدو على خيـاله قـد أخيف زعيراً أوردها حبس الطير على أبي شمير فوق له سهماً مثل السير أبيض براق العين فقتل فداء عد بن الأصبغ . فقال له قـائل : ويلك ألا تقتله . قـال : ويلك لا أستطيع . قـال : ويلك لمه . قـال : لأنه تعـوذ بالله حين أسنـد إلى الجبل . فلمـا سمعت بذلك اطمأننت والله تعالى أعلم .

* * *

الباب السادس والأربعون

فيما يعصم به من الجن ويستدفع به شرّهم

وذلك في عشرة حروز :

أحدها : الاستعاذة بالله منه . قال الله تعـالى : ﴿ **وإما ينـزغنك من الشيـطان نـزغ فاستعـذ بالله إنـه هو السميـع العليم** ﴾ [فصلت: ٣٦] . وفي مـوضـع آخـر : ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم** ﴾ [الأعـراف: ٢٠٠] .

وفي الصحيح أن رجلين استبا عند النبي ﷺ حتى احمر وجه أحدهما فقال ﷺ : إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) .

الثاني : قراءة المعوذتين . روى الترمذي من حديث الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما . قال الترمذي : هو حديث حسن غريب .

الثالث : قراءة آية الكرسي . ففي الصحيح من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فقال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي ﷺ : « صدقك وهو كذوب ذاك الشيطان » .

الرابع : قراءة سورة البقرة . ففي الصحيح من حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً وإن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يقربه الشيطان » .

الخامس : خاتمة سورة البقرة ، فقد ثبت في الصحيح من حديث أبي مسعود الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » . وروى الترمذي من حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال : « إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرءان في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان » .

السادس : أول سورة حم المؤمن إلى قوله : ﴿ **إليه المصير** ﴾ . مع آية الكرسي . ففي الترمذي من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة عن زرارة بن مصعب عن سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حم المؤمن إلى قوله : ﴿ **إليه المصير** ﴾ وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح » . وعبد الرحمن المليكي وإن كان قد تكلم فيه من قبل حفظه فالحديث له شواهد في قراءة آية الكرسي .

السابع : (لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة) . ففي الصحيح من حديث سمرة مولى أبي بكر عن أبي

صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قال : لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلَّا أحد عمل أكثر من ذلك » .

الثامن : كثرة ذكر الله عزَّ وجلَّ . ففي الترمذي من حديث الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال : « إنَّ الله تعالى أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها وأنه كاد أن يبطىء بها . قال عيسى : إنَّ الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها ، فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم . فقال يحيى عليه السلام : أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب . فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ فقعدوا على الشرف فقال : إنَّ الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن . أولهن : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وأن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق ، فقال : هذه داري وهذا عملي فاعمل وأدِّ إليّ فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده . فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك . وإن الله أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله تعالى ينصب وجهه بوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت . وآمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك وكلهم يعجب أو يعجبه ريحها فإن ريح الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك . وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسركوه فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال : أنا أفديه منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم . وأمركم أن تذكروا الله تعالى فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى أتى على حصن حصين فأحرس نفسه منهم ، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلَّا بذكر الله تعالى . قال النبي ﷺ : وأنا آمركم بخمس الله تعالى أمرني بهن : السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة ؛ فإنَّه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلَّا أن يراجع . ومن دعا دعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم . فقال رجل : يا رسول الله وإن صام وصلى ؟ قال : وإن صام وصلى . فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وقال البخاري : الحارث الأشعري له صحبة وله غير هذا الحديث .

التاسع : الوضوء والصلاة وهما من أعظم ما يتحرز به ، لا سيما عند ثوران قوة الغضب والشهوة فإنها نار تغلي في قلب ابن آدم كما روى الترمذي وغيره من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق في الأرض » . وفي أثر آخر : أن الشيطان خلق من نار وإنما تُطفأ النار بالماء . وفي السنن قال ﷺ : « إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان من النار وإنما تُطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » .

العاشر : إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس ؛ فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم من هذه الأبواب الأربعة . ففي مسند الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره لله عزَّ وجلَّ أورثه الله حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم يلقاه » والله تعالى أعلم . أ هـ.

* * *

الباب السابع والأربعون

في تأثير القرآن والذكر في أبدان الجن وفرارهم من ذلك

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن الحسين ، حدثني يحيى بن إسحاق البجلي وحاتم بن أبي حوثرة عن ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج قال : قال شيطاني : دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا فيك اليوم مثل العصفور . قال : قلت : ولم ذاك ؟ قال : تذيبني بكتاب الله عزَّ وجلَّ . حدثني محمد بن الحسين ، حدثني خلف بن تميم ، حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : شيطان المؤمن مهزول . حدثني محمد بن الحسين ، حدثني مجاعة بن ثابت ويحيى بن إسحاق قالا : حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ المؤمن يضني شيطانه كما يضني أحدكم بعيره في السفر » . حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن أبي خالد الوالبي قال : خرجت وافداً إلى عمر رحمه الله ومعي أهلي فنزلنا منزلاً وأهلي خلفي فسمعت أصوات الغلمان وجلبتهم فرفعت صوتي بالقرآن فسمعت وجبة شيء طرح فسألتهم فقالوا : أخذتنا الشياطين فلعبت بنا فلما رفعت صوتك بالقرآن ألقونا وذهبوا .

حكى ابن عقيل في الفنون قال : كان عندنا بالظفرية يعني من بغداد دار كلما سكنها ناس أصبحوا موتى فجاء مرة رجل مقرىء فاكتراها وارتقبناها فبات بها وأصبح سالماً فتعجب الجيران فأقام مدة ثم انتقل فسئل فقال : لما بت بها صليت بها العشاء وقرأت شيئاً من القرآن وإذا شاب قد صعد من البئر فسلم علي فبهت ، فقال : لا بأس عليك علمني شيئاً من القرآن فشرعت أعلمه ، ثم قلت : هذه الدار كيف حديثها ؟ قال : نحن جن مسلمون نقرأ ونصلي ، وهذه الدار ما يكثر بها إلاَّ الفساق فيجتمعون على الخمر فنخنقهم . قلت : ففي الليل أخافك فتجيء نهاراً . قال : نعم . قال : وكان يصعد من البئر بالنهار وألفته فبينما هو يقرأ إذا بمعزم في الدرب يقول : المرقي من الدبيب ومن العين ومن الجن . فقال : أي شيء هذا ؟ قلت : معزم . قال : أطلبه فقمت وأدخلته فإذا أنا بالجني قد صار ثعباناً في السقف فعزم الرجل فما زال الثعبان يتدلى حتى سقط في وسط المندل فقام ليأخذه ويضعه في الذنبيل فمنعته فقال : أتمنعني من صيدي فأعطيته ديناراً وراح فانتفض الثعبان وخرج الجني وقد ضعف ونحل واصفر وذاب . فقلت : مالك ؟ قال : قتلني هذا بهذه الإسلامي وما أظنني أفلح ، فاجعل بالك متى سمعت في البئر صراخاً فانهزم . قال : فسمعت في الليل النعي فانهزمت . قال ابن عقيل : وامتنع أحد أن يسكن تلك الدار بعدها والله أعلم .

* * *

الباب الثامن والأربعون

في السبب الذي من أجله تنقاد الجن والشياطين للعزائم والطلاسم

كفار الجن وشياطينهم يختارون الكفر والشرك ومعاصي الرب وإبليس وجنوده من الشياطين يشتهون الشر ويكيدون به ويطلبونه ويحرصون عليه يقتضي خبث أنفسهم وإن كان موجباً لعذابهم وعذاب من يغوونه كما قال إبليس : ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلاَّ عبادك منهم المخلصين** ﴾ [صٓ:٨٢ ـ ٨٣] . وقال : ﴿ **أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلاَّ قليلاً** ﴾ [الإسراء:٦٢] . وقال تعالى : ﴿ **ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلاَّ فريقاً من المؤمنين** ﴾ [سبأ: ٢٠] .

والإنسان إذا فسدت نفسه أو مزاجه يشتهي ما يضره ويلتذ بـه بل يعشق ذلـك عشقاً يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه ومـاله . والشيـطان هو نفسـه خبيث فإذا تقـرب صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية ، وأمثال ذلك إليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صـار ذلك كـالرشـوة والبرطيـل لهم فيقضون بعض أغـراضه كمن يعـطي غيره مـالاً ليقتل لـه من يـريـد قتله ، أو يعينـه على فـاحشـة ، أو ينـال معـه فاحشة . ولهذا كثير من هـذه الأمور يكتبـون فيها كـلام الله تعالى بـالنجاسـة . وقد يقلبون حروف ؛ ﴿ **قل هو الله أحـد** ﴾ ، أو غيرهـا بنجاسـة ، إما دم ، وإمـا غيره ، وإما بغير نجاسة . ويكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان أو يتكلمون بذلك فإذا قالوا أو كتبـوا ما تـرضاه الشيـاطين أعـانتهم على بعض أغـراضهم ، إمـا تغـويـر مـاء من المياه ، وإما أن يحمل في الهواء إلى بعض الأمكنة ، وإما أن يـأتيه بمـال من أموال بعض الناس كما تسرقه الشياطين من أموال الخائنين ، ومن لم يذكـر اسم الله عليه ويأتي به وإما غير ذلك . ولو سقنـا في كل نـوع من هذه الأنـواع من الأمور المعينـة ومن وقعت له ممن عرفناه ومن لم نعرفـه لطال ذلـك جداً . قـال محمد بن إسحـاق يم في كتاب (الفهـرست) في أخبار العلمـاء وأسماء مـا صنفوه من الكتب في ـن الثـاني من المقالـة الثـامنـة : زعم المعـزمـون والسحـرة أن الشيـاطين والجن والأرواح تطيعهم وتخدمهم وتتصرف بين أمرهم ونهيهم . فأما المعزمون ممن ينتحل الشرائع فزعم أن ذلك يكـون بطاعـة الله جل اسمـه ، والابتهال إليـه والإقسام على الأرواح والشيـاطين بـه وتـرك الشهـوات ولـزوم العبـادات ، وأن الجن والشيـاطين يطيعونهم ، إما طاعة لله جلَّ اسمه لأجل الإقسام به وإما مخافة منه تبـارك وتعالى ، ولأن في خـاصية أسمـائه وذكـره قمعهم وإذلالهم . فأمـا السحرة فـإنها زعمت أنهـا تستعبد الشياطين بـالقرابين والمعـاصي وارتكاب المحـظورات مما لله عـزَّ وجلَّ في تركها رضا وللشياطين في استعمالها رضا مثل ترك الصلاة ، والصوم ، وإباحة الدماء ونكاح ذوات المحارم وغير ذلك من الأفعال البشرية . قال محمد بن إسحاق : فـأما الطريقة المذمومـة وهي طريقـة السحرة فـزعم من يجيز ذلـك أن مدخ بنت إبليس ، وقيل : هي بنت ابن إبليس لها عرش على الماء وأن المريد لهذا الأمر متى فعل لها ما تريد وصل إليها وأخدمتـه من يريـد وقضت حوائجـه ولم يحتجب عنها . والـذي يفعل لها القرابين من حيوان ناطق وغير ناطق وأن يدع المفترضات ، ويستعمـل كل ما يقبح في العقل استعماله . وقد قيل أيضاً مدخ هو إبليس نفسه . وقال آخـر : إن مدخ تجلس على عرشها فيحمل إليها المريد لطاعتهـا فيسجد لهـا . قال محمـد بن

إسحاق النديم : قال لي إنسان منهم : إنه رآها في النوم جالسة على هيئتها في اليقظة وإنه رأى حولها قوماً يشبهون الزط سوادية حفاة مشققي الأعقاب . وقال : رأيت من جملتهم ابن منذريني ، وهذا رجل من أكابر السحرة قريب العهد واسمه أحمد بن جعفر غلام ابن زريق ، وكان يناطق من تحت الطست . وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن تيمية بعدما حكى قريباً من هذا والذين يستخدمون الجن بهذه الأمور : يزعم كثير منهم أن سليمان كان يستخدم الجن بهذه الأمور فإنه قد ذكر غير واحد من علماء السلف أن سليمان عليه الصلاة والسلام لما مات كتبت الشياطين كتب سحر وكفر وجعلتها تحت كرسيه وقالوا : كان سليمان عليه الصلاة والسلام يعمل ليستخدم الجن بهذه . فطعن طائفة من أهل الكتاب في سليمان عليه الصلاة والسلام بهذا السبب . وآخرون قالوا : لولا أن هذا حق جائز لما فعله سليمان عليه الصلاة والسلام . فضل الفريقان هؤلاء بقدحهم في سليمان عليه الصلاة والسلام وهؤلاء باتباعهم السحر فأنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى : ﴿ **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب** ﴾ [البقرة: ١٠١] ، إلى قوله : ﴿ **لو كانوا يعلمون** ﴾ . فبيّن الله تعالى أن هذا يضر ولا ينفع إذ كان النفع هو الخير الخالص أو الراجح والضرر هو الشر الخالص أو الراجح وشر هذا إما خالص أو راجح .

فصل : قال محمد بن إسحاق يقال والله أعلم : إن سليمان بن داود أول من استعبد الجن والشياطين واستخدمها . وقيل : أول من استعبدها على مذاهب الفرس جمشيد بن أويخهان . قال : وكان يكتب لسليمان بن داود عليه الصلاة والسلام . وممن استعبدهم : آصف بن برخيان ، ويوسف بن عيصو ، والهرمزان بن الكردول . والذي فتح هذا الأمر في الإسلام أبو نصر أحمد بن هلال البكيل ، وهلال بن وصيف ، وكان مخدوماً ومناطقاً له ، وله أفعال عجيبة وأعمال حسنة وخواتيم مجربة ، وله من الكتب كتاب (الروح المتلاشية) وكتاب (المفاخرة في الأعمال) وكتاب (تفسير ما قالته الشياطين) لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، وما أخذ عليهم من العهود. ومن المعزمين الذين يعملون بأسماء الله تعالى رجل يعرف بابن الإمام ، وكان في أيام المعتضد وطريقته محمودة غير مذمومة . ومنهم : عبد الله بن هلال وصالح المدري ، وعقبة الأدرعي ، وأبو خالد الخراساني . هؤلاء بالطريقة المحمودة ، ولهم أفعال جليلة وأعمال نبيلة .

قلت : هذا الذي قاله النديم من أن عبد الله بن هلال كان يعمل بالطريقة المحمودة غير صحيح ؛ فقد كان عبد الله بن هلال رجلاً فاجراً زنديقاً يترك الصلاة تقرباً إلى إبليس لعنهما الله تعالى ، ويأمر الشياطين فتلعب ببني آدم ويجمع بين الرجال والنساء في الحرام . ويدل على ذلك ما ذكره أبو عبد الرحمن الهروي في كتاب (العجائب) فقال : حدثنا يحيى بن علي بن حسن بن حمدان بن مزيد بن معاوية السعدي قال : حدثني أحمد بن عبد الملك قال : جاء رجل إلى عبد الله بن هلال الكوفي وكان صديقاً لإبليس ، وكان يترك له صلاة العصر ، وكانت حوائجه عنده مقضية . قال : فجاء رجل فقال : إن لي جاراً غنياً ومن أحسن الناس صنيعاً لي وله ابنة حسناء فأنا أحسده ، فأحب أن تكتب لي إلى إبليس حتى يبعث شيطاناً فيخطبها . قال : فكتب إلى إبليس إن أحببت أن تنظر إلى من هو شر مني ومنك فانظر إلى حامل كتابي هذا واقض حاجته . ثم قال : سر إلى موضع كذا وكذا إن خط حولك خطة فإذا جاءك صاحبك فأره الكتاب من بعيد . قال : ففعل وجعل الشياطين يمرون به حتى جاء شيخ على سرير وأربعة يحملونه . قال : فلما نظر إليه من بعيد رفع الكتاب فأمر إبليس بالكتاب فأخذ . فلما نظر إلى عنوانه قبله ووضعه على رأسه . فلما قرأ الكتاب صرخ صرخة رجع إليه من كان قبله ولحقه من كان خلفه . فقالوا : مالك يا سيدنا ؟ قال : هذا كتاب صديقي يقول فيه : إن أحببت أن تنظر إلى من هو شر مني ومنك فانظر إلى حامل كتابي هذا واقض حاجته هاتوا شيطاناً أصم أعمى أبكم ووجهوه إلى بيت ذلك الرجل ليخطبها ، ففعلوا . فإن كانت هذه الطريقة هي المحمودة عند النديم فليت شعري ماذا عنده الذميم . قال الحجاج يوماً لعمرو بن سعيد بن العاص : أخبرني عبد الله بن هلال صديق إبليس أنك تشبه إبليس ؟ قال : وما ينكر الأمير أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن فعجب من قوة جوابه .

فصل : قال الشيخ أبو العباس : أهل العزائم والأقسام يقسمون على بعض الجن ليعينهم على بعض فتارة يبرون قسمه وكثيراً لا يفعلون ذلك بأن يكون ذلك الجن معظماً عندهم ، وليس للمعزم وعزيمته من الجبرية ما يقتضي إعانتهم على ذلك إذ كان المعزم قد يكون بمنزلة الذي يحلف غيره ويقسم عليه بمن يعظمه ، وهذا تختلف أحواله ، فمن أقسم على الناس ليؤذوا من هو عظيم عندهم لم يلتفتوا إليه . وقد يكون ذلك منيعاً فأحوالهم شبيهة بأحوال الإنس ولكن الإنس أعقل

وأصدق وأعدل وأوفى بالعهد ، والجن أجل وأكذب وأظلم وأغدر . فالمقصود أن أرباب العزائم مع عون عزائمهم تشتمل على شرك وكفر لا تجوز العزيمة به والقسم فهم كثيراً يعجزون عن دفع الجني وكثيراً ما تسخر منهم الجن إذا طلبوا منهم قتل الجني الصارع للإنسي أو حبسه فيخيلون إليهم أنهم قتلوه أو حبسوه ، ويكون ذلك تخييلاً وكذباً ، هذا إذا كان يرى ما يخيلونه صادقاً الرؤية ، فإن عامة ما يعرفونه لمن يريدون تعريفه إما بالمكاشفة والمخاطبة إن كان من جنس عباد المشركين وأهل الكتاب ومبتدعة المسلمين الذين تصلهم الجن والشياطين ، وإما بما يظهرونه لأهل العزائم والأقسام أنهم يمثلون ما يريدون تعزيمه ، فإذا أراده المثال أخبر عن ذلك وقد يعرف أنه مثال وقد يوهمونه أنه نفس المرئي ، وإذا أرادوا سماع كلام من يناديه من مكان بعيد مثل من يستغيث ببعض العباد الصالحين من المشركين وأهل الكتاب ، وأهل الجهل من عباد المسلمين إذا استغاث به بعض محبيه . فقال : يا سيدي فلان فإن الجني يخاطبه بمثل صوت الإنسي فإن رد الشيخ عليه الخطاب أجاب ذلك الإنسي بمثل ذلك الصوت . قال الشيخ أبو العباس : وهذا وقع لعدد كثير أعرف منهم طائفة وكثيراً ما يتصور الشيطان بصورة المدعو المنادي المستغاث به إذا كان ميتاً ، وكذلك قد يكون حياً ، ولا يشعر بالذي ناداه بل يتصور الشيطان بصورته فيظن المشرك الضال المستغيث بذلك الشخص ، أن الشخص نفسه أجابه ، وإنما هو الشيطان وهذا يقع للكفار المستغيثين بمن يحسنون به الظن من الأموات والأحياء ، كالنصارى المستغيثين بجرجس وغيره من قداديسهم ، ويقع لأهل الشرك والضلال الذين يستغيثون بالموتى والغائبين يتصور لهم الشيطان في صورة ذلك المستغاث به وهو لا يشعر . قال أبو العباس : وأعرف عدداً كثيراً وقع لهم في عدة أشخاص يقول لي كل من الأشخاص : إني لم أعرف أن هذا المستغاث به والمستغيث قد رأى ذلك الذي هو على صورة هذا وما اعتقد أنه إلا هذا . وذكر لي غير واحد أنهم استغاثوا بي كل يذكر قصة غير قصة صاحبه ، فأخبرت كلاً منهم أني لم أجب أحداً منهم ولا علمت باستغاثته . فقيل : فيكون ملكاً ؟ فقلت : الملك لا يغيث مشركاً إنما هو شيطان أراد أن يضله ، وكذلك يتصور بصورته ويقف بعرفات ليظن من يحسن به الظن أنه وقف بعرفات . وكثير منهم يحمله الشيطان إلى عرفات أو غيرها من الحرم فيتجاوز الميقات بلا إحرام ولا تلبية ولا يطوف بالبيت ولا بالصفا والمروة . وفيهم من لا يعبر مكة وفيهم من يقف بعرفات ويرجع ولا يرمي الجمار ؛ إلى أمثال ذلك من الأمور التي يضرهم بها

الشيطان حيث فعلوا ما هو منهي عنه في الشرع إما محرم أو مكروه ، ليس بواجب ولا مستحب ، وقد زين لهم الشيطان أن هذا من كرامات الصالحين وهو من تلبيس الشيطان ، فإن الله لا يعبد إلاَّ بما هو واجب ومستحب وكل من عبد عبادة ليست واجبة ولا مستحبة وظنها واجبة أو مستحبة فإنما زين له الشيطان ذلك والله أعلم .

فصل : يجوز أن يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيء من كتاب الله عزَّ وجلَّ وذكره بالمداد المباح ويغسل ويسقى ، كما نص على ذلك الإمام أحمد وغيره ، واحتج بما رواه بإسناده عن ابن عباس أنه كان يكتب لمن أصابها الطلق كلمات الكرب وآيتين من كتاب الله عزَّ وجلَّ تناسب الحال يكتب : لا إله إلاَّ الله العظيم الحليم ﴿ **سبحان الله رب العرش العظيم** ﴾ ، ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ ، ﴿ **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاَّ عشية أو ضحاها** ﴾ [النازعات : ٤٦] ، ﴿ **كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلاَّ ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلاَّ القوم الفاسقون** ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

قلت : قدمنا في الباب الأول استطراداً أن عامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى لا تفقه بالعربية معناها ، ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى غير المفهومة المعنى لأنها مظنة الشرك ، وإن لم يعرف الراقي أنها شرك ، ومن رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه . وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه رخص في الرقى ما لم يكن شركاً وقال : من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل . وفي التطبب والاستشفاء بكتاب الله عزَّ وجلَّ غنى تام ، ومقنع عام ، وهو النور ، والشفاء لما في الصدور ، والوقاء الدافع لكل محذور ، والرحمة للمؤمنين من الأحياء وأهل القبور . وفقنا الله لإدراك معانيه ، وأوقفنا عند أوامره ونواهيه . ومن تدبر من آيات الكتاب ، من ذوي الألباب ، وقف على الدواء الشافي لكل داء موافٍ ، سوى الموت الذي هو غاية كل حي ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾ [الأنعام : ٣٨] . وخواص الآيات والأذكار لا ينكرها إلاَّ من عقيدته واهية ، ولكن لا يعقلها إلاَّ العالمون لأنها تذكرة وتعيها أذن واعية والله الهادي للحق .

* * *

الباب التاسع والأربعون

في حكايات مكافأة الجن الإنس على الخير والشر

قال عبد الله بن محمد بن عبيد : حدثني عبيد الله بن جرير العتكي ، حدثنا الوليد بن هشام الحذمي قال : كان عبيد بن الأبرص وأصحاب له في سفر فمروا بحية وهي تتقلب في الرمضاء وتلهث عطشاً فهمّ بعضهم بقتلها فقال عبيد : هي إلى من يصب عليها نقطة من ماء أحوج . قال : فنزل فصبه عليها . قال : فمضوا فأصابهم ضلال شديد حتى ذهبت عنهم الطريق فبينا هم كذلك فإذا هاتف يهتف :

يا أيها الراكب المضل مذهبه ... دونك هذا اليكن منا فاركبه

حتى إذا الليل تولى مغربه ... وسطع الفجر ولاح كوكبه

فخل عنه رحله وسببه

قال : فسار به من الليل حتى طلع الفجر مسيرة عشرة بلياليهن فقال عبيد بن الأبرص :

يا أيها البكر قد أنجبت من غمر ... ومن فيافي تضل الراكب الهادي

هلا تخبرنا بالحق نعرفه ... من الذي جاد بالنعماء في الوادي

فقال مجيباً له :

أنا الشجاع الذي أبصرته رمضاً ... في ضحضح نازح يسري به صادي

فجدت بالماء لما ضن شاربه ... رويت منه ولم تبخل بإنجاد

الخير يبقى وإن طال الزمان به ... والشر أخبث ما أوعيت من زاد

ويدخل في هذا عدة آثار متفرقة في مواضعها من هذا الكتاب منها قصة مالك بن خريم وهي مذكورة في الباب الموفي ستين أن الظباء ماشية الجن . قال ابن أبي الدنيا : حدثني إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي ، حدثني التمريمي قال : كنت أقنص الحمر فخرجت ذات يوم فبنيت كوخاً في الموضع الذي ترده للشرب ، فلما وردت شددت سهماً فإذا أنا بهاتف يقول : يا منهلة حمرك ، فنفرت الحمر كلها فانصرفت ومعي جارية لي يقال لها مرجانة وحماران فشددتهما من وراء الحبل وفوقت سهمي وجلست أرقبهما فلما طلعت الحمر لم أجنح إلى أن تلبث فرميتها فصرعت حمارا منها ثم قلت :

قد فقدت حمارها منهلة ... أتبعتها سيحلة منسلة

كذنب النحلة يعلو الجلة

قال : فأجابني مجيب :

قد فقدت حمارها مرجانة أتبعتها سيحلة خسانة

في قبضة عسراء في سريانة

فقالت الجارية : يا مولاي قد مات والله أحد الحمارين . ويدخل هنا قصة جمل اليتامى وهي مذكورة في الظباء والله أعلم .

* * *

الباب الموفي خمسين

في بيان صرع الجن للإنس

قال الشيخ أبو العباس رحمه الله : صرع الجن للإنس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق ، كما يتفق للإنس مع الجن وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد وهذا كثير معروف . وقد ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه وقد يكون وهو كثير والأكثر عن بغض ومجازاة مثل أن يؤذيهم بعض الإنس أو يظنوا أنهم يتعمدون أذاهم إما ببول على بعضهم ، وإما بصب ماء حار ، وإما بقتل بعضهم وإن كان الإنس لا تعرف ذلك . وفي الجن ظلم وجهل فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه ، وقد يكون عن عبث منهم وشر مثل سفهاء الإنس . وحينئذٍ فما كان من الباب الأول فهو من الفواحش التي حرمها الله تعالى كما حرم ذلك على الإنس وإن كان برضا الآخر ، فكيف إذا كان مع كراهته فإنه فاحشة وظلم يخاطب الجن بذلك ويعرفون أن هذا فاحشة محرمة لتقوم عليهم الحجة بذلك يعلموا أنه يحكم فيهم بحكم الله ورسوله ﷺ الذي أرسله إلى جميع الثقلين الإنس والجن . وما كان من القسم الثاني فإن كان الإنسي لم يعلم فيخاطبون بأن هذا لم يعلم ، ومن لم يتعمد الأذى لم يستحق العقوبة وإن كان قد فعل ذلك في داره وملكه عرفوا بأن الدار ملكه فله أن يتصرف فيها بما يجوز وأنتم ليس لكم أن تمكثوا في ملك الإنس بغير إذنهم بل لكم ما ليس من مساكن الإنس ، كالخراب والفلوات ، ولهذا يوجدون كثيراً في الخراب والفلوات ويوجدون في مواضع النجاسات ، كالحمامات والحشوش والمزابل والقمامين والمقابر . والمقصود أن الجن إذا اعتدوا على الإنس أخبروا بحكم الله ورسوله ﷺ ، وأقيمت عليهم الحجة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر

كما يفعل بالإنس لأن الله تعالى يقول : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾ [الإسراء : ١٥] ، وقال تعالى : ﴿ **يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي** ﴾ [الأنعام : ١٣٠]. صدق الله العظيم .

* * *

الباب الحادي والخمسون

في دخول الجن في بدن المصروع

أنكر طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي محمد بن زكريا الطبيب وغيرهما دخول الجن في بدن المصروع وأحالوا وجود روحين في جسد مع إقرارهم بوجود الجن إذ لم يكن ظهور هذا في المنقول عن النبي ﷺ كظهور هذا وهذا الذي قالوه خطأ . وذكر أبو الحسن الأشعري في مقالات أهل السنة والجماعة أنهم يقولون : إن الجن تدخل في بدن المصروع كما قال الله تعالى : ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاَّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس** ﴾ [البقرة : ٢٧٥] . قال عبد الله بن أحمد بن حنبل . قلت لأبي : إن قوماً يقولون : إن الجن لا تدخل في بدن الإنس . قال : يا بني يكذبون هوذا يتكلم على لسانه . قلت : ذكر الدارقطني في الجزء الذي انتقاه من حديث أبي سهل بن زياد لفرقد السنحي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : أن امرأة جاءت بابن لها إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله : إن ابني به جنون وإنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا ، فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا له فتفتفه فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فسعى . رواه أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي في أوائل مسنده فتفتفه : أي قيأه وسيأتي إن شاء الله تعالى عن قريب حديث أم أبان الذي رواه أبو داود وغيره وفيه قول رسول الله ﷺ : اخرج عدو الله : وهكذا حديث أسامة بن زيد وفيه اخرج يا عدو الله فإني رسول الله .

وقال القاضي عبد الجبار : إذا صح ما دللنا عليه من رقة أجسامهم وأنها كالهواء لم يمتنع دخولهم في أبداننا ، كما يدخل الريح والنفس المتردد الذي هو الروح في أبداننا من التخرق والتخلخل ولا يؤدي ذلك إلى اجتماع الجواهر في حيز واحد لأنها لا تجتمع إلاَّ على طريق المجاورة لا على سبيل الحال ، وإنما تدخل في أجسامنا كما يدخل الجسم الرقيق في الظروف .

فإن قيل : إن دخول الجن في أجسامنا إلى هذه المواضع يوجب تقطيعها أو تقطيع الشياطين لأن المواضع الضيقة لا يدخلها الجسم إلاَّ ويتقطع الجسم الداخل فيها ، قيل له : إنما يكون ما ذكرته إذا كانت الأجسام التي تدخل في الأجسام كثيفة كالحديد والخشب ، فأما إذا كانت كالهواء فالأمر بخلاف ما ذكرته . وكذلك القول في الشياطين : إنهم لا يتقطعون بدخولهم في الأجسام لأنهم إما أن يدخلوا بكليتهم فبعضهم متصل ببعض فلا يتقطعون ، وإما أن يدخلوا بعض أجسامهم إلاَّ أن بعضهم متصل ببعض فلا يتقطع أيضاً وهذا مثل أن تدخل الحية في جحرها كلها أو يدخل بعضها وبعضها يبقى خارج الجحر لأن ذلك لا يوجب تقطعها . وليس لأحد أن يقول : ما أنكرتم إذا حصل الجني في المعدة أن يكون قد أكلناه كما إذا حصل الطعام فيها كنا آكلين له وذلك لأن الأكل هو معالجة ما يوصل بالمضغ والبلع ، وليس كل مايحصل في المعدة نكون له آكلين ولا يكون الماء بحصوله في المعدة مأكولاً فإن قيل : يجوز أن يدخلوا في الأحجار ، قيل : نعم إذا كانت مخلخلة ، كما يجوز دخول الهواء فيها فإن قيل : فيجب على ما ذكرتم دخول الشيطان وزوجته في جوف الآدمي فينكحها فتحبل وتلد فيكون لهم في جوف الواحد منا أولاد . قيل : قد أجاب أبو هاشم عن هذا السؤال بأن ذلك لا يمتنع في الأجسام الرقاق ، كما لا يمتنع ذلك في الأجسام اللطاف ، ألا ترى أنه ربما يجتمع في الجوف من الدود ونحوها شيء عظيم كثير ، وكذلك الرقيق من الأجسام غير ممتنع هذا منه . قال : إلاَّ أنه لا يقطع الولادة عليهم لأنهم مختارون ، فربما لم يختاروا أن يتوالدوا في أجواف الإنس ، كما لا نختار نحن أن نتوالد في الأسواق والمساجد ، بل نختار فعل ذلك في مواضع مخصوصة فلا يمتنع أن تكون هذه حالهم وإذا صح ما ذكرناه سقط هذا الاعتراض . قال القاضي عبد الجبار بعدما قدم حديث : الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم . هذا لا يصح إلاَّ أن تكون أجسامهم رقيقة على مقتضاه ونظائر ذلك من الأخبار المروية في هذا الباب من أنهم يدخلون في أبدان الإنس وهذا لا يجوز على الأجسام الكثيفة ، قال : ولشهرة هذه الأخبار وظهورها عند العلماء قال أبو عثمان عمرو بن عبيدان : المنكر لدخول الجن في أبدان الإنس دهري أو يجيء منه دهري .

قال عبد الجبار : وإنما قال ذلك لأنها قد صارت في الشهرة والظهور كشهرة الأخبار في الصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة . ومن أنكر هذه الأخبار التي

ذكرناها كان رادّاً والراد على الرسول ﷺ ما لا سبيل إلى علمه إلاَّ من جهته كافر . ومن لا يعلم أن المعجزات لا يقدر عليها إلاَّ الله عزَّ وجلَّ وحده لم يصح له أن يعلم أن الأجسام لا يفعلها إلاَّ الله عزّ وجلَّ . ومن لم يعلم ذلك لم يمكنه إثبات قادرٍ لنفسه ، ولا عالم لنفسه ، ولا وحي لنفسه . ومن لم يمكنه إثبات هذا لم يمكنه إثبات فاعل الأجسام وإذا لم يمكنه ذلك وهي موجودة لم يمكنه أن يثبتها محدثة ، وإذا لم يمكنه أن يثبتها محدثة وهي مع ذلك موجودة فلا بد من أن تكون قديمة . ومن كان هذا حاله كان دهرياً أو جاء منه دهري على ما قال وفساد قوله على ما ذكرناه من هذا الترتيب . فهذا معنى قوله : دهري أو يجيء منه دهري . وقال أبو القاسم الأنصاري : ولو كانوا كثافاً يصح ذلك أيضاً منهم ، كما يصح دخول الطعام والشراب في الفراغ من جسمه . فيجب تصحيح ذلك وتأويله المس منه عليه . وقال قائلون : إنَّ معنى سلوكهم في الإنس إنما هو بإلقاء الظل عليهم وذلك هو المس ومنه الصرع والفزع وذلك أيضاً مما يدفعه العقل غير أنه ورد السمع بسلوكهم في الإنس ووضع الشيطان رأسه على القلب والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الثاني والخمسون

في أن حركات المصروع هل هي من فعله أو فعل الجن

قد تقدر أن المحدث يستحيل أن يفعل في غيره فعلاً ملكاً كان أو شيطاناً أو إنسياً بل ذلك من فعل المصروع بجري العادة فإن كان المصروع قادراً على ذلك الاضطراب كان ذلك كسباً له ، وخلقاً لله عزَّ وجلَّ . وإن لم يكن قادراً عليه لم يكن مكتسباً له بل هو مضطر إليه . ولا يمنع أن يكون الله تعالى قد أجرى العادة بأنه لا يفعل ذلك الصرع والاضطراب إلاَّ عند سلوك الجني فيه أو عند مسه كما في الأسباب المستعقبة للمسببات ، وكذلك القول فيما يسمع من المصروع من الكلام في تجويز كونه كسباً له أو مضطراً إليه وإن كان هو المتكلم دون خالقه . وتجويز كونه من كلام شيطان قد سلكه أو مسه ، وأن يكون قائماً بذات الشيطان دون ذات من هو سالك فيه أو مماس له ، وأكثر الناس يعتقدون أنه كلام الجني ويضيفونه إليه ، ولا دليل نقطع به على أن ما سمع منه كلام له أو للشيطان وإن كان كلاماً له فإنه من كسبه أو ضرورة فيه وإنما يصار إلى أحدهما بتوقيف مقطوع به . ومتى كان كلاماً للمصروع كانت إضافته إلى الشيطان مجازاً ومعنى الكلام : أنه كان منه وسلوكه وعلى الجملة أن المتكلم من قام به الكلام لا من فعل الكلام . ثم الكلام

الذي يقوم بالبشر قد يكون من فعله وكسبه وقد يكون مضطراً إليه . وقد تقدم قول الإمام أحمد هو ذا يتكلم على لسانه يعني لسان المصروع ، فقد جعل المتكلم هو الجني فكذلك الحركة والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

الباب الثالث والخمسون
في حكم معالجة المصروع

سئل أبو العباس بن تيمية رحمة الله عليه عن رجل ابتلي بمعالجة الجن مدة طويلة لكون بعض من عنده ناله بسحر عظيم قليل الوقوع في الوجود وتكرر السحر أكثر من مائة مرة ، وكاد يتلف المسحور ويقتله بالكلية مرات لا تحصى فقابلهم الرجل المذكور بالتوجه والصد البليغ ودوام الدعاء والالتجاء وتحقيق التوحيد وأحسن بالنصر عليهم ، وكان المصاب يراهم في اليقظة وفي المنام ويسمع كلامهم في اليقظة أيضاً ، فرآهم في أوائل الحال وهم يقولون : مات البارحة منا البعض ومرض جماعة لأجل دعاء الداعي وسموه باسمه . وكان بالقاهرة رجل هائل يقل وجود مثله في الوجود يجتمع بهم ويطلع على حقيقة حالهم وله عليهم سلطان باهر مشهور مشهود لغيره فسئل عن حقيقة منام المصاب ، وعن خبر الدعاء فأخبر بهلك ستة ومرض كثير من الجن . وتكرر هذا نحواً من مائة مرة ، وتبين للرجل الداعي المذكور أن الله تعالى قهرهم له فإنه كان يجد ذلك ويشهده ويعاضده منامات المصاب وسماعه في اليقظة أيضاً وأخبار صاحبهم المذكور ، وبعد ذلك أذعنوا وذلوا وطلبوا المسألة . فهل يجوز للرجل الداعي مواظبة الذب عن صاحبه المصاب المظلوم مع تحققه هلاك طائفة بعد طائفة والحالة هذه أم لا ؟ وهل عليه من إثمهم شيء فإنه قد يكون بعضهم مع صياله مسلماً أم لا ؟ وهل يجوز له إسلام صاحبه والتخلي عنه مع ما يشاهده من أذاه وقرب هلاكه أم لا ؟ وهل هذا الغزو مشروع وعليه شاهد من السنة النبوية والطريقة السائغة أم لا ؟ وهل تشهد الشريعة بصحة وقوع مثل ذلك كما قد تحققه السائل وغيره من المباشرين والمصدقين أم ذلك ممتنع كما تقوله الفلاسفة وبعض أهل البدع ؟ وهل تجوز الاستعانة عليه بشيء من صنع أهل التنجيم ونحوهم فيما يعانونه من الحجب ، والكتابة والبخور ، والأوراق وغير ذلك لأنهم يتحملون كبر ذلك ، والمصاب وأهله يطلبون الشفاء وإن كان في ذلك كفر فيكون في عنق صاحبه الذي باع دينه بالدنيا وهذا من باب

مقابلة الفاسد بمثله ؟ أم لا يجوز ذلك لأجل تقوية طريقهم والدخول في أمر غير مشروع ؟. وذكر السائل أسئلة أخرى أضربت عن ذكرها . والجواب في نحو كراسين وفيه بسط خارج عن مقصود الجواب اقتضاه اطّراد الكلام وتشبث بعضه بأذيال بعض ، وقد أثبت منه ملخصه المطابق للسؤال .

تلخيص الجواب :

يستحب وقد يجب أن يذب عن المظلوم وأن ينصر ، فإن نصر المظلوم مأمور به بحسب الإمكان . وإذا برىء المصاب بالدعاء والذكر وأمر الجن ونهيهم ، وانتهارهم ، وسبهم ، ولعنهم ونحو ذلك من الكلام حصل المقصود وإن كان ذلك يتضمن مرض طائفة من الجن أو موتهم فهم الظالمون لأنفسهم إذا كان الراقي الداعي المعالج لم يتعد عليهم كما يتعدى عليهم كثير من أهل العزائم فيأمرون بقتل من لا يجوز قتله وقد يحبسون من لا يحتاج إلى حبسه . ولهذا قد يقابلهم الجن على ذلك ، ففيهم من تقتله الجن أو تمرضه ، وفيهم من يفعل ذلك بأهله وأولاده أو دوابه . وأما من سلك في دفع عدوانهم مسلك العدل الذي أمر الله به ورسوله ﷺ ، فإنه لم يظلمهم بل هو مطيع لله تعالى ورسوله ﷺ في نصر المظلوم وإغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب بالطريق الشرعي التي ليس فيها شرك بالخالق ولا ظلم للمخلوق ، ومثل هذا لا تؤذيه الجن إما لمعرفتهم بأنه عادل ، وإما لعجزهم عنه . وإن كان الجن من العفاريت وهو ضعيف فقد تؤذيه فينبغي لمثل هذا أن يحترز بقراءة المعوذات ، والصلاة ، والسلام ، والدعاء ونحو ذلك مما يقوي الإيمان ويجتنب الذنوب التي بها يستطيلون عليه فإنه يجاهد في سبيل الله وهذا من أعظم الجهاد ، فليحذر أن ينصر العدو عليه بذنوبه . وإن كان الأمر فوق قدرته فلا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها . ومن أعظم ما ينتصر به عليهم آية الكرسي ، فقد جرَّب المجربون الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته ، فإن لها تأثيراً عظيماً في طرد الشياطين عن نفس الإنسان وعن المصروع وعمن تعينه الشياطين من أهل الظلم والغضب ، وأهل الشهوة والطرب وأرباب سماع المكاء والتصدية إذا قرأت عليهم بصدق والصائل المتعدي يستحق دفعه سواء كان مسلماً أو كافراً ، فقد قال ﷺ : « من قتل دون ماله فهو شهيد » . وورد دون دمه ودون حرمته ودون دينه . فإذا كان المظلوم له أن يدفع عن ماله ولو بقتل الصائل العادي ، فكيف لا يدفع عن عقله وبدنه وحرمته ، فإن الشيطان يفسد عقله ويعاقبه في بدنه ، وقد يفعل معه فاحشة ولو فعل إنسي هذا

بإنسي ، ولم يندفع إلاَّ بالقتل جاز قتله . وأما إسلام صاحبه والتخلي عنه فهو مثل إسلام أمثاله من المظلومين وهذا فرض على الكفاية مع القدرة ، فإن كان عاجزاً وهو مشغول بما هو أوجب منه أو قام غيره به لم يجب . وإن كان قادراً وقد تعين عليه ولا يشغله عما هو أوجب منه وجب عليه . وقول السائل : هل هذا مشروع ؟ فهذا من أفضل الأعمال وهو من أعمال الأنبياء والصالحين ، فما زال الأنبياء والصالحون يدفعون الشياطين عن بني آدم بما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ ، كما كان المسيح عليه الصلاة والسلام يفعل ذلك ، وكما كان نبينا ﷺ يفعل ذلك ، ولو قدر أنه لم ينقل ذلك لكون مثله لم يقع عند الأنبياء لكون الشياطين لم تكن تقدر أن تفعل ذلك عند الأنبياء وفعلت ذلك عندنا ، فقد أمرنا الله تعالى ورسوله ﷺ بنصر المظلوم وإغاثة الملهوف ونفع المسلم بما يتناول ذلك . وفي الصحيح قول النبي ﷺ في الفاتحة : « وما أدراك أنها رقية » وأذن له في أخذ الجعل وهذا كدفع ظالم الإنس من الكفار والفجار . وقد يحتاج في إبراء المصروع ودفع الجن عنهم إلى الضرب فيضرب ضرباً كثيراً جداً والضرب إنما يقع على الجني ولا يحس به المصروع ويخبر بأنه لم يحس بشيء من ذلك ولا يؤثر في بدنه ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلاثمائة أو أربعمائة ضربة وأكثر وأقل بحيث لو كان على الإنسي تقتله وإنما هو على الجني ، والجني يصيح ويصرخ ويحدث الحاضرين بأمور متعددة . قال المجيب : وقد فعلنا نحن هذا وجربناه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة خلق كثير .

الاستعانة عليهم :

قال : وأما الاستعانة عليهم بما يقال ويكتب مما لا يعرف معناه فلا يشرع استعماله إن كان فيه شرك فإن ذلك محرم وعامة ما يقول أهل العزائم : فيه شرك . وقد يقرؤون مع ذلك شيئاً من القرآن ويظهرونه ويكتمون ما يقولونه من الشرك . . وفي الاستشفاء بما شرعه الله تعالى ورسوله ما يغني عن الشرك وأهله ، والمسلمون وإن تنازعوا في جواز التداوي بالمحرمات فلا يتنازعون في أن الشرك والكفر لا يجوز التداوي به بحال لأن ذلك محرم في كل حال ، وليس هذا كالمتكلم به عند الإكراه فإن ذلك إنما يجوز إذا كان القلب مطمئناً بالإيمان والتكلم بما لا يفهم بالعربية إنما يؤثر إذا كان بقلب صاحبه ولو تكلم به مع طمأنينة قلبه بالإيمان لم يؤثر . والشيطان إذا عرف أن صاحبه يستخف بالعزائم لم يساعده أيضاً ، فإن

المكره مضطر إلى التكلم به ولا ضرورة إلى إبراء المصاب به لوجهين : أحدهما : أنه قد لا يؤثر فما أكثر من يعالج بالعزائم فلا يؤثر بل يزيده شراً . والثاني : أن في الحق ما يغني عن الباطل والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف : قوم يكذبون بدخول الجن في الإنس ، وقوم يدفعون ذلك بالعزائم المذمومة فهؤلاء يكذبون بالموجود وهؤلاء يكفرون بالرب المعبود والأمة الوسطى تصدق بالحق الموجود وتؤمن بالإله الواحد المعبود وبعبادته ودعائه وذكره وأسمائه وكلامه تدفع شياطين الإنس والجن . انتهى تلخيص الجواب . قلت : قوله : وقد يحتاج في إبراء المصروع ودفع الجن عنهم إلى الضرب ، فيضرب ضرباً كثيراً ، وقد ورد له أصل في الشرع ، وهو ما رواه الإمام أحمد وأبو داود ، وأبو القاسم الطبراني من حديث أم أبان بنت الوازع عن أبيها : أن جدها انطلق إلى رسول الله ﷺ بابن له مجنون أو ابن أخت له فقال : يا رسول الله إن معي ابناً لي أو ابن أخت لي مجنوناً أتيتك به لتدعو الله تعالى له ؟ قال : ائتني به . قال : فانطلقت به إليه وهو في الركاب فأطلقت عنه وألقيت عليه ثياب السفر وألبسته ثوبين حسنين وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى رسول الله ﷺ . فقال : أدنه مني واجعل ظهره مما يليني . قال : فأخذ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض إبطيه ويقول : اخرج يا عدو الله فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظر الأول . ثم أقعده رسول الله ﷺ بين يديه فدعا له بماء فمسح وجهه ودعا له فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله ﷺ يفضل عليه . وهذا الحديث فيه ضرب الجني وإن لم تدع الحاجة إلى الضرب فلا يضرب . فقد روى ابن عساكر في الثاني من كتاب : « الأربعين الطوال » حديث أسامة بن زيد قال : حججنا مع رسول الله ﷺ في حجته التي حج فيها فلما هبطنا بطن الروحاء عارضت رسول الله ﷺ امرأة تحمل صبياً لها فسلمت على رسول الله ﷺ وهو يسير على راحلته ثم قالت : يا رسول الله هذا ابني فلان والذي بعثك بالحق ما أبقى من خفق واحد من لدن أني ولدته إلى ساعته هذه ، فحبس رسول الله ﷺ الراحلة فوقف ثم أكسع إليها فبسط إليها يده وقال : هاته فوضعته على يدي رسول الله ﷺ فضمه إليه فجعله بينه وبين واسطة الرحل ، ثم تفل في فيه وقال : **اخرج يا عدو الله فإني رسول الله** . ثم ناولها إياه ، فقال : خذيه فلن تري منه شيئاً تكرهينه بعد هذا إن شاء الله . الحديث .

وفي أوائل مسند أبي محمد الدارمي من حديث أبي الزبير عن جابر معناه وقال فيه **اخسأ عدو الله أنا رسول الله** . فحاصل ذلك أنه متى حصل المقصود

بالأهون لا يصار إلى ما فوقه ومتى احتيج إلى الضرب وما هو أشد منه صير إليه .

ومن قتل الصائل من الجن قتل عائشة رضي الله عنها الجني الذي كان لا يزال يطلع في بيتها ، وحديث مجاهد : كان الشيطان لا يزال يتزيّا لي بابن عباس إذا قمت إلى الصلاة . قال : فذكرت قول ابن عباس فحصلت عندي سكيناً فتزيّا لي فحملت عليه فطعنته فوقع وله وجبة فلم أره بعد ذلك . وقد ذكرناه بسنده في الباب السادس ، ومن ذلك أحاديث تعرض الشيطان للنبي ﷺ ، ومد يده إليه ، ولفته ، وذعته وذلك مذكور في موضعه من هذا الكتاب . وقال القاضي أبو الحسن ابن القاضي أبي يعلى بن الفراء الحنبلي في كتاب طبقات أصحاب الإمام أحمد : سمعت أحمد بن عبيد الله قال : سمعت أبا الحسن علي بن أحمد بن علي العكبري قدم علينا من عكبرا في ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة قال : حدثني أبي عن جدي قال : كنت في مسجد أبي عبد الله أحمد بن حنبل فأنفذ إليه المتوكل صاحباً له يعلمه أن له جارية بها صرع وسأله أن يدعو الله لها بالعافية ، فأخرج له أحمد نعلي خشب بشراك من خوص للوضوء فدفعه إلى صاحب له وقال له : امض إلى دار أمير المؤمنين وتجلس عند رأس هذه الجارية وتقول له ، يعني للجني : قال لك أحمد : أيما أحب إليك تخرج من هذه الجارية أو تصفع بهذه النعل سبعين . فمضى إليه وقال له مثل ما قال الإمام أحمد ، فقال له المارد على لسان الجارية : السمع والطاعة لو أمرنا أحمد أن لا نقيم بالعراق ما أقمنا به ، إنه أطاع الله ، ومن أطاع الله أطاعه كل شيء . وخرج من الجارية وهدأت ورزقت أولاداً ، فلما مات أحمد عاودها المارد فأنفذ المتوكل إلى صاحبه أبي بكر المروزي وعرفه الحال . فأخذ المروزي النعل ومضى إلى الجارية فكلمه العفريت على لسانها : لا أخرج من هذه الجارية ولا أطيعك ولا أقبل منك ، أحمد بن حنبل أطاع الله فأمرنا بطاعته .

* * *

الباب الرابع والخمسون

في بيان سخرية الجن من الإنس

قال أبو بكر محمد بن عبيد : حدثني عبد الرحمن بن عبد الله ، حدثنا عمي عن عمرو بن الهيثم عن أبيه عن جده قال : خرجت أريد مرقوعاً حتى إذا كنت على

أربعة فراسخ إذا أنا بصحاب يلعبون عند عين قرية قمت أنظر إليهم فقام أحدهم فاستقبل صاحبه ثم وثب الآخر على عنقه ثم وثب آخر على عنق آخر ، فلما رأيت ذلك حملت الفرس عليهم فوقعوا يقهقهون مستلقين فخرجت أضرب فرسي فما مررت بشجرة إلاَّ سمعت تحتها ضحكاً . وبه إلى الهيثم عن أبيه قال : خرجت أنا وصاحب لي فإذا بامرأة على ظهر الطريق فسألت أن نحملها فقلت لصاحبي : احملها ! قال : فحملها خلفه . قال : فنظرت إليها ففتحت فاها فإذا يخرج من فيها مثل لهب الأتون فحملت عليها . فقالت : مالي ولك وصاحت فقال صاحبي : ما تريد من البائسة ؟ قال : ثم سار ساعة ثم التفت إليها ففتحت فاها فإذا يخرج مثل لهب الأتون . قال : فحملت عليها ففعلت ذلك حتى فعلت ثلاث مرات . قال : فلما رأيت ذلك صممت فطفرت فإذا هي بالأرض . فقالت : قاتلك الله ما أشد فؤادك ما رآه أحد قط إلاَّ انخلع فؤاده .

حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال :حدثني عمي ، قال : خرج رجل بحضرموت ففر من الغول وهي ساحرة الجن فلما خاف أن ترهقه دخل في بئر فبالت عليه فخرج من البئر فتمعط شعره ولم يبق عليه شيء والله أعلم .

* * *

الباب الخامس والخمسون

في أن الطاعون من وخز الجن

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « فناء أمتي بالطعن والطاعون . قالوا : يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه ، فما الطاعون ؟ قال : وخز إخوانكم من الجن وفي كل شهادة » . ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب : (الطواعين) وقال فيه : وخز أعدائكم من الجن ، ولا تنافي بين اللفظين لأن الأخوة في الدين لا تنافي العداوة لأن عداوة الجن والإنس بالطبع وإن كانوا مؤمنين فالعداوة موجودة . قال ابن الأثير : الوخز : طعن ليس بنافذ ، والشيطان له ركض ، وهمر ، ونفث ، ونفخ ، ووخز . قال الجوهري : الركض تحريك الرجل ومنه قوله تعالى : ﴿ اركض برجلك ﴾ [صٓ:٤٢] . وفي حديث المستحاضة هي ركضة من الشيطان يريد الدفعة والهمز شبيه بالنفخ وهو أقل من التفل . وقد نفث الراقي ينفث وينفث والنفخ معروف والوخز الطعن بالرمح

وغيره لا يكون نافذاً . قال الزمخشري : يسمون الطاعون رماح الجن . قال الأزدي للحارث الملك الغساني :

لعمرك ما خشيت على أبي ... رماح بني مقيدة الحمار
ولكني خشيت على أبي ... رماح الجن أو إياك حار

* * *

الباب السادس والخمسون

في أن الاستحاضة ركضة من ركضات الشيطان

روى أبو داود وأحمد والترمذي وصححه من حديث حمنة بنت جحش قالت : كنت أستحاض حيضة شديدة كثيرة فجئت رسول الله ﷺ أستفتيه فقلت : يا رسول الله إني أستحيض حيضة كثيرة شديدة فما ترى فيها قد منعتني الصلاة والصيام ؟ فقال : انعت لك الكرسف فإنه يذهب الدم . قالت : هو أكثر من ذلك . قال : فاتخذي ثوباً . قالت : هو أكثر من ذلك . قال : فتلجمي . قالت : إنَّما أثج ثجاً . فقال لها : سآمرك بأمرين أيهما فعلت فقد أجزأ عنك من الآخر فإن قويت عليهما فأنت أعلم . فقال لها : إنما هذه ركضة من ركضات الشياطين فتحيضين ستة أيام أو سبعة في علم الله ، الحديث بطوله . وهذا لا ينافي ما رواه البخاري في صحيحه من حديث عائشة في قصة فاطمة بنت أبي حبيش من قول رسول الله ﷺ : إنَّما ذلك عرق . وفي رواية دم عرق انفجر وذلك لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، كما أخبر ﷺ فإذا ركض ذلك العرق وهو جار سال منه الدم ، وللشيطان في هذا العرق الخاص تصرف وله به اختصاص زائد على عروق البدن جميعها ، ولهذا تتصرف السحرة فيه باستنجاد الشيطان في نزيف المرأة وسيلان الدم من فرجها حتى يكاد يهلكها ويسمون ذلك : باب النزيف ، وإنما يستعينون فيه بركض الشيطان هنالك وإسالة الدم . فكلامه ﷺ يصدق بعضه بعضاً وهو الشفاء والعصمة .

تعليق وبيان :

قلت : وكذلك القول في قوله ﷺ في الطاعون : إنه وخز أعدائكم من الجن مع قوله ﷺ : غدة كغدة البعير يخرج من مراق البطن ، وذلك أن الجني إذا وخز العرق من مراق البطن خرج من وخزه الغدة فيكون وخز الجني سبباً للغدة الخارجية .

الباب السابع والخمسون

في نظرة الجن وإصابتها بني آدم بالعين

العين عينان عين إنسية وعين جنية . وقد صح عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال : « استرقوا لها فإن بها النظرة » . قال الحسين بن مسعود الفراء وقوله : ـ سفعة ـ أي نظرة يعني من الجن . يقول : بها عين أصابتها من نظر الجن أنفذ من أسنة الرماح . وقال الصولي : يقال : أزلقه إذا عانه وعانه ولفعه بعينه . حدثنا الفضل بن الحباب ، حدثنا أبو عثمان المازني سمعت أبا عبيدة يقول : يقال : رجل معين للذي أصابته عين ، ورجل معيون للذي به منظر ولا مخبر له حدثنا أحمد بن محمد الأسدي سمعت الرياشي يقول : يقال : رجل معين ، ومعيون للذي أصابته العين ولبعضهم :

وقد عالجوه بالتمائم والرقى ... وصبوا عليه الماء من ألم النكس

وقالوا أصابته من الجن أعين ... ولو علموا داووه من أعين الإنس

وقال أحمد في مسنده : حدثنا ابن نمير ، حدثنا ثور بن يزيد عن مكحول عن أبي هريرة يرفعه العين حق ويحضرها الشيطان والله أعلم .

* * *

الباب الثامن والخمسون

في قتال عمار بن ياسر الجن

قال أبو بكر بن عبيد : حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي عن الحسن عن عمار بن ياسر قال : قاتلت مع رسول الله ﷺ الجن والإنس . قيل : وكيف قاتلت الجن والإنس ؟ قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً فأخذت قربتي ودلوي لأستقي فقال رسول الله ﷺ : أما إنه سيأتيك على الماء آت يمنعك منه . فلما كنت على رأس البئر إذا رجل أسود كأنه مرس فقال : والله لا تستقي منها اليوم ذنوباً واحداً ، فأخذني وأخذته فصرعته ثم أخذت حجراً فكسرت به وجهه وأنفه ثم ملأت قربتي فأتيت رسول الله ﷺ فقال : هل أتاك على الماء من أحد ؟ فقلت : نعم . فقصصت عليه القصة . فقال : أتدري من هو ؟ قلت : لا . قال : ذاك الشيطان . وقال أبو نعيم : حدثنا عبد الله بن محمد بن

جعفر ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الكريم ، حدثنا محمد بن الحسين بن أبي الحسين عن حميد بن هلال عن الأحنف بن قيس قال : قال علي بن أبي طالب : والله لقد قاتل عمار بن ياسر الجن والإنس على عهد رسول الله ﷺ . فقلنا : هذا الإنس قد قاتل . فكيف الجن ؟ فقال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقال لعمار : انطلق فاستق لنا من الماء ، فانطلق فعرض له الشيطان في صورة عبد أسود فحال بينه وبين الماء فأخذه فصرعه عمار . فقال له : دعني وأخلي بينك وبين الماء ففعل . ثم أتى فأخذه عمار الثانية فصرعه . فقال : دعني وأخلي بينك وبين الماء فتركه فأتى فصرعه . فقال له مثل ذلك فتركه فوفى له . فقال رسول الله ﷺ : إن الشيطان قد حال بين عمار وبين الماء في صورة عبد أسود وإن الله أظفر عماراً به . قال علي : فلقينا عماراً فقلت : ظفرت يداك يا أبا اليقظان فإن رسول الله ﷺ قال كذا وكذا . فقال : أما والله لو شعرت أنه شيطان لقتلته ولكن هممت أن أعض بأنفه لولا نتن ريحه والله أعلم .

* * *

الباب التاسع والخمسون

في تصفيد مردة الجن في شهر رمضان

روى الترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي منادٍ : يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار وذلك عند كل ليلة . وروى مسلم من حديث أبي هريرة يرفعه : إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين . وفي رواية : إذا جاء رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين . قال عبد الله بن أحمد : سألت أبي عن حديث إذا جاء رمضان صفدت الشياطين . قال : نعم . قلت : الرجل يوسوس في رمضان ويصرع قال : هكذا جاء الحديث في قوله : صفدت أي شددت وأوثقت . يقال : صفده يصفده صفداً والصفد الوثاق ، والصفد ما يوثق به الأسير من قد وقيد وغل . والأصفاد القيود والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

الباب الموفي ستين

في أن الظباء ماشية الجن

قال عبد الله بن محمد : حدثني هشام بن محمد عن أيوب بن خوط عن حميد بن هلال أو غيره قال : كنا نتحدث أن الظباء ماشية الجن ، فأقبل غلام ومعه قوس ونبل فاستتر بارطأة وبين يديه قطيع من ظبي وهو يريد أن يرمي بعضه فهتف به هاتف لا يرى :

إن غلام عسر اليدين يسعى بلبد أو بلهزمين
متخذ الأرطاة جنتين ليقتل التيس مع العنزين

فسمعت الظباء فتفرقت . حدثني محمد بن صدران الأزدي ، حدثنا نوح بن قيس ، حدثنا قيس ، حدثنا نعمان بن سهل الحراني قال : بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً إلى البادية فرأى ظبية مصرورة فطاردها حتى إذا أخذها فإذا رجل من الجن يقول :

يا صاحب الكنانة المكسورة خل سبيل الظبية المصرورة
فإنها لصبية مضرورة غاب أبوهم غيبة مذكورة
في كورة لا بوركت من كورة

حدثني أبي عن هشام عن محمد أن مالك بن نصر الدالاني من همدان قال : سمعت شيخاً لنا يذكر قال : خرج مالك بن حريم الدالاني في نفر من قومه في الجاهلية يريدون عكاظ فاصطادوا ظبياً وأصابهم عطش شديد فانتهوا إلى موضع يقال له : أجيرة ففصدوا ظبياً وجعلوا يشربون من دمه من العطش ، فلما ذهب دمه ذبحوه وخرجوا في طلب الحطب وكمن مالك في خبائه فأثار بعضهم شجاعاً فأقبل منساباً حتى دخل رجل مالك فلاذ به وأقبل الرجل في أثره فقال : يا مالك استيقظ فإن الشجاع عندك ، فاستيقظ مالك فنظر إليه وهو يلوذ فقال مالك للرجل : عزمت عليك إلا تركته فكف عنه ، وانساب الشجاع إلى مأمنه وأنشأ مالك يقول :

وأوصاني الحريم بعز جاري وأمنعه وليس به امتناع
وأدفع ضيمه وأذب عنه وأمنعه إذا منع المتاع
فذلكم أبي عنه ينحو لسيء ما استجار به الشجاع
ولا تتحملوا دم مستجير تضمنه أجيرة فالتلاع

فـإن لـمـا تـرون علي أمـراً ... لله مـن دون أعـينـكـم قـنـاع

فارتحلوا واشتد بهم العطش فإذا هاتف يهتف بهم :

أيـهـا القـوم لا مـاء أمـامـكم ... حتى تسوموا المطايا يومها التعبا

ثم اعدلوا شامة فـالماء عن كثب ... عين رواء ومـاء يـذهب اللغبـا

حتى إذا مـا أصبتم منـه ريكم ... فاسقوا المطايا منه فاملئوا القربا

فنزلوا شامة فإذا هم في عين خرارة في أصل جبل فشربوا وسقوا هم إبلهم وحملوا ريهم حتى أتوا عكاظ ثم أقبلوا حتى انتهوا إلى ذلك الموضع فلم يروا شيئاً وإذا هاتف يقول :

يـا مال عني جـزاك الله صالحـة ... هـذا وداع لـكم مـني وتـنسيم

لا تزهدن في اصطناع الخير مع أحد ... إن الذي يحرم المعروف محروم

من يفعـل الخيـر لا يعـدم مغبتـه ... ما عاش والكفر بعد الغب مذموم

أنا الشجاع الذي أنجيت من رهق ... شكـرت ذلك إن الشكـر مقسـوم

فطلبوا العين فلم يجدوها والله أعلم .

حـدثنا أبـو بكر التيمي ، رجـل من ولـد أبي بكـر الصدّيق رضي الله عنـه ، سمعت رجلاً من بني عقيل قال : صدت يوماً تيساً من الظباء فجئت به إلى منـزلي فأوثقته هناك ، فلما كان من الليل سمعت هـاتفاً يقـول : أنا فـلان هل رأيت جمـل اليتامى ، أخبرني صبي أن الإنسي أخـذه ؟ قال : أمـا ورب البيت لئن كان أحـدث فيه شيئاً لآخـذن مثله . فلما سمعت ذلـك جئت إلى التيس فأطلقتـه فسمعته يـدعوه فأقبل نحو الصوت وله حنين وإرزام كحنين الجمل وإرزامه . قال أبـو بكر التيمي : وأصاب رجل قنفذاً فكفأ عليه برمة ، فبينا هو على الماء إذ نظر إلى رجلين عريـانين أحدهما يقول : واكبداه إن كان عفاراً ذبح . فقال الآخـر : ثكلت بعل عمتي إن لم أنح . فلما سمعت ذلك جئت إلى البرمة وله جلبة تحتها فكشفت عنه فمر يخـطر . حدثني أبو الحسن البـاهلي ، حدثني حسـان بن غزوان الأسـدي ، حدثني رقـاد بن زيـاد قال : حملت ظبيـاً جنح الليـل فبات عنـدي فسمعت هـاتفـاً يهتف من الليـل يقول :

أيـا طلحة الـوادي ألا إن شـاتنـا ... أصيبت بليـل وهي منك قـريب

أحسى لنـا من بات يختـل فرقنـا ... لـه بـهليـع الـواديـن دبـيـب

قال : فبشكتها أي أطلقتها . قال : وسألته عن هليع الوادي ؟ قال : أسفله والفرق من الظباء مثل القطيع من الغنم والله أعلم .

* * *

الباب الحادي والستون

في عبادة الإنس الجن

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر قال : قال عبد الله بن مسعود : كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجن فأسلم النفر من الجن ، واستمسك هؤلاء بعبادتهم فأنزل الله تعالى : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب** ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

ورواه شعيب عن الأعمش ، ورواه البيهقي بسنده عن سفيان عن الأعمش ومن طريق آخر عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود قال : نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون والإنس كانوا يعبدونهم لا يشعرون فنزلت : ﴿ **أولئك الذين يدعون** ﴾ . الآية والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الثاني والستون

في جواز المذاكرة بحديث الجن

قال عبد الله بن محمد القرشي : حدثنا الحسن بن علي ، حدثني إسحاق بن إبراهيم بن زريق ، حدثني عمرو بن الحارث ، حدثنا عبد الله بن سالم عن الزبيدي قال : أخبرني محمد بن مسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوماً لمن حضر من جلسائه : اذكروا شيئاً من حديث الجن ؟ فقال رجل : يا أمير المؤمنين خرجت أنا وصاحبان لي نريد الشام فأصبنا ظبية عضباء وأدركنا راكب من خلفنا وكنا أربعة فقال : خل سبيلها . فقلت : لا لعمرك لا أخلي سبيلها . فقال : لربما رأيتنا في هذه الطريق ونحن أكثر من عشرة فيخطف بعضنا بعضاً ، فأذهلني ما كان يا أمير المؤمنين حتى نزلنا ديراً يقال له دير العنيف ، فارتحلنا وهي معنا فإذا هاتف يهتف وهو يقول :

يا أيها الركب السراع الأربعة   خلوا سبيل النافر المروعة

مهلاً عن العضبا ففي الأرض سعة　　　ولا أقـل قـول كـذوب إمَّعـة

قال : فخليت سبيلها يا أمير المؤمنين ، فعرض لأزمة ركابنا فأميل بنا إلى حي عـظيم ، فأتى علينـا طعام وشـراب ثم مضينا حتى أتينـا الشام وقضينـا حوائجنـا ثم رجعنا حتى إذا كنا في المكان الذي ميل بنا إليه إذا أرض قفر ليس بها سفر فـأيقنت يا أمير المؤمنين أنهم حي من الجن . فأقبلت سائراً إلى الدير فإذا هاتف يهتف :

إيـاك لا تعجل وخـذهـا من ثقـة　　　إني أسيـر الحـد يـوم الحجفقـة

قـد لاح نجم واستـوى بمشـرقـة　　　ذو ذنب كـالشعلة الـمحـرقـة

يخـرج من ظلمـاء عسـر مـوبقـة　　　إنـي امـرؤ أنبـاؤه مـصـدقـة

فأقبلت يا أمير المؤمنين فإذا النبي ﷺ قد ظهر ودعا إلى الإسلام فأسلمت .

قال رجل : وأنـا يا أميـر المؤمنين خرجت وصـاحب لي نريـد حاجـة لنا فـإذا شخص راكب حتى إذا كان منا مزجر الكلب هتف بأعلى صوته : أحمد يـا أحمد ، الله أعلى وأمجد ، محمد أتانا بإله يوحّد ، يـدعو إلى الخيـر وإليه فـاعمد . فـراعنا ذلك فأجابه صوت عن يساره يقول :

أنجـز مـا أوعـد من شق القمـر　　　حـان لـه والله إذ ديـن ظـهـر

فإذا النبي ﷺ يدعو إلى الإسلام فأسلمت . قال عمـر : وأنا كنت عنـد دريح لنا إذ هتف هاتف من جوفه : يـا لدريـح يا لـدريح ، صـائح يصيـح ، بأمـر فليح ، ورشد نجيح ، يقول : لا إله إلاَّ الله . فأقبلت فإذا النبي ﷺ قـد ظهر ودعـا إلى الله فأسلمت . قال خريم بن فاتـك : وأنا أضللت إبـلاً لي فخرجت في طلبهـا حتى إذا كنت ببـارق العراق فـأنخت راحلتي ثم علقتها ثم أنشـأت أقول : أعـوذ بسيـد هـذا الـوادي ، أعوذ بعـظيم هذا الـوادي ، ثم وضعت رأسي على جمل فـإذا بهاتف من الليل يهتف ويقول :

ألا فـعـذ بـالله ذي الـجـلال　　　ثـم اقـرأ آيـات مـن الأنـفـال

ووحّـد الله ولا تـبـال　　　مـا هـول الـجن مـن الأهـوال

فانتبهت فزعاً فقلت :

يـا أيهـا الهـاتـف مـا تقـول　　　أرشـد عـنـدك أم تـضـليـل

فأجابني :

هـذا رسـول الله ذو الخيـرات　　　أرسـله يـدعـو إلى الـنجـاة

وينـزع النـاس عـن الهنّـات يـأمـر بـالصـوم وبـالصـلاة

وفي الخبـر زيادة من غيـر هذا الطريق الهاتف ظهـر له وضمن عـود إبله إلى أهله ، وأمره بالمضي إلى النبي ﷺ ، وأنـه مضى فدخـل المدينـة ، وجاء المسجـد والنبي ﷺ يخطب فأخبر النبي ﷺ بحال الهاتف وأنه ممن آمن بـه من الجن . وهذه القصة تدخل في مواضع من الكتاب منها أن الظباء ماشية الجن ، ومنها إخبار الجن بظهور النبي ﷺ ، ومنها دعاء الإنس إلى الإسلام ، ومنها دلالة الجن على ما يـدفع كيدهم وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والستون

في إخبار الجن بمبعث النبي ﷺ وحراسة السماء منهم بالنجوم

ذكـر الزبيـر بن أبي بكر وغيـره أن إبليس كان يختـرق السمـاوات قبـل عيسى عليه السلام ، فلمـا ولد وبعث عليـه السلام حجب عن ثـلاث سماوات ، فلمـا ولد محمد ﷺ حجب عنها كلها وقذفت الشياطين بالنجوم .

وقـالت قريش : حين كثـر القذف بـالنجوم قـامت السـاعـة ، فقـال عتبـة بن ربيعة : انظروا إلى العيوق فإن كان قد رمي به فقد آن قيام الساعـة وإلاَّ فلا . وذكـر ابن إسحـاق ما رميت بـه الشياطين حين ظهـر القذف بـالنجوم لئـلا يلتبس بالـوحي وليكون ذلك أظهر للحجة ، وأقـطع للشبهة . قـال السهيلي والذي قـاله صحيـح ؛ ولكن القذف بالنجـوم كان قـديماً ، وذلـك موجـود في أشعار القـدماء من الجـاهلية منهم : عوف بن الخرع ، وأوس بن حجر ، وبشر بن أبي خـازم ، وكلهم جاهلي . وقد وصفوا الرمي بالنجوم ، وأبياتهم في ذلك مذكورة في مشكل ابن قتيبة في تفسير سورة الجن . وذكر عبـد الرزاق في تفسيـره عن معمر عن ابن شهـاب أنه سئـل عن هذا الرمي بالنجوم أكان في الجاهليـة ؟ قال : نعم ، ولكنـه لما جـاء الإسلام غلظ وشدد . وفي قوله سبحانـه : ﴿ **وأنا لمسنـا السماء فـوجدنـاها ملئت حـرساً شـديداً وشهبـاً** ﴾ [الجن:٨] ولم يقل : حـرست دليل على أنـه قد كـان منه شيء ، فلمـا بعث النبي ﷺ ﴿ **ملئت حـرساً شـديـداً وشهبـاً** ﴾ ، وذلـك لينحسم أمـر الشيـاطين وتخليطهم ولتكون الآية أبين والحجة أقطع وإن وجد اليوم كاهن فلا يدفع ذلك بمـا أخبر الله من طرد الشيطان عن استراق السمع . فإن ذلك التغليظ والتشديد كان زمن

النبوة ، ثم بقيت منه أعني من استراق السمع بقايا يسيرة بدليل وجودهم على الندور وفي بعض الأزمنة في بعض البلاد . وقد سئل رسول الله ﷺ عن الكهان ؟ فقال : ليسوا بشيء . فقيل : إنّهم يتكلمون بالكلمة فتكون كما قالوا . فقال : تلك الكلمة من الحق يحفظها الجني فيقرها في أذن وليه قر الزجاجة فيخلط فيها أكثر من مائة كذبة . ويروى قر الدجاجة بالدال . وعلى هذه الرواية تكلم قاسم بن ثابت في الدلائل . قال السهيلي : والزجاجة بالزاي أولى لما ثبت في الصحيح فيقرها في أذن وليه كما تقر القارورة ومعنى يقرها يصبها ويفرغها قال الراجز :

لا تفرغن في أذني بعدها   ما يستقر فأريك فقدها

وقال ابن دريد : يقال : قر عليه دلواً من ماء إذا صبها عليه . وفي تفسير ابن سلام عن ابن عباس قال : إذا رمى الشهاب الجني لم يخطئه ، ويحرق ما أصاب ، ولا يقتله . وعن الحسن قال : يقتله في أسرع من طرفة العين . وفي تفسير ابن سلام أيضاً عن أبي قتادة أنه كان مع قوم فرمي بنجم فقال : لا تتبعوه أبصاركم . وفيه أيضاً عن حفص أنه سأل الحسن أيتبع بصره الكوكب فقال : قال الله تعالىٰ : **﴿ وجعلناها رجوماً للشياطين ﴾** [الملك : ٥] . وقال تعالى : **﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ﴾** [الأعراف : ١٨٥] . قال : كيف نعلم إذا لم ننظر إليه لأتبعنه بصري . وذكر ابن إسحاق حديث ابن عباس وفيه كنا إذا رأيناه نقول : يموت عظيم أو يولد عظيم . والحديث في صحيح مسلم ولفظه أن عبد الله بن عباس قال : أخبرني رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار أنهم بينا هم جلوس عند النبي ﷺ إذ رمي بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله ﷺ : ما كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . كنا نقول : ولد الليلة رجل عظيم ، أو مات رجل عظيم . فقال رسول الله ﷺ : فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه إذا قضى أمراً سبّح حملة العرش ، ثم سبّح أهل السماوات الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا ، ثم يقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ماذا قال . فيستخبر بعض أهل السماء بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فيخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون فما جاءوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقذفون فيه ويزيدون . وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن القذف بالنجوم قد كان قديماً ، ولكنه إذ بعث رسول الله ﷺ غلظ وشدد كما قال الزهري : ملئت السماء

حرساً شديداً وشهباً . وقوله في آخر الحديث من رواية ابن إسحاق : وقد انقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة يدل قوله اليوم على تخصيص ذلك الزمان كما قدمناه . والذي انقطع اليوم وإلى يوم القيامة أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه في الجاهلية الجهلاء عند تمكنها من سماع أخبار السماء ، وما يوجد اليوم من كلام الجن على ألسنة المجانين إنما هو خبر منهم عما يرونه في الأرض مما لا نراه نحن كسرقة سارق وخبية في مكان خفي أو نحو ذلك وإن أخبروا بما سيكون كان تخرصاً وتظنناً فيصيبون قليلاً ، ويخطئون كثيراً . وذلك القليل الذي يصيبون فيه هو ما تتكلم به الملائكة في العنان كما في حديث البخاري فيطردون بالنجوم فيضيفون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة كما قال ﷺ في الحديث المتقدم .

وذكر أن أول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمي بها لقذف ثقيف وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له : عمرو بن أمية أحد بني علاج ، وكان أدهى العرب وأكثرها رأياً . فقالوا له : يا عمرو ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال : بلى . فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما تصلح الناس في معايشهم هي التي يرمى بها ، فهو والله طي الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها وإن كانت نجوماً غيرها وهي ثابتة فهذا لأمر أراد الله تعالى بهذا الخلق . وروى ابن عبد البر من طريق أبي داود بسنده إلى الشعبي قال : لما بعث النبي ﷺ رجمت الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها قبل ، فأتوا عبد ياليل بن عمرو الثقفي فقالوا : إنَّ الناس قد فزعوا وأعتقوا رقبتهم وسيبوا أنعامهم لما رأوا في النجوم . فقال لهم وكان رجلاً أعمى : لا تعجلوا وانظروا فإن كانت النجوم التي تعرف فهي عند فناء الناس وإن كانت لا تعرف فهي من حدث ، فنظروا فإذا هي نجوم لا تعرف . فقالوا : هذا من حدث ، فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي ﷺ .

فصل : روى أبو جعفر العقيلي في كتاب : (الصحابة) عن رجل من بني لهب يقال له : لهب أو أبو لهب . قال : حضرت مع رسول الله ﷺ فذكرت عنده الكهانة فقلت: بأبي أنت وأمي نحن أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم وذلك أننا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له : خطر بن مالك ، وكان شيخاً كبيراً قد أتت عليه مائتان وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا . فقلنا : يا خطر : هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها ، فإنا

قد فزعنا لها وخشينا سوء عاقبتها ؟ فقال :

عودوا إليَّ السَّحَر أُخبركم الخبرْ
أَلخير أم ضَرَرْ أو لأمنٍ أو حذرْ

قال : فانصرفنا عنه يومنا ، فلما كان من غد وجه السحر أتيناه فإذا هو قائم على قدميه شاخص في السماء بعينيه فناديناه : يا خطر ، يا خطر فأومأ إلينا أمسكوا فأمسكنا فانقض نجم عليه من السماء وصرخ الكاهن رافعاً صوته :

أصابه أصابه خامره عقابهْ
عاجَلَهُ عذابه أحرقه شهابهْ
يا ويله ما حاله بلبله بلبالهْ
عاوده خباله تفصمت حباله
وغيرت أحواله

ثم أمسك طويلاً وقال :

يا معشر بني قحطان أخبركم بالحق والبيان
أقسمت بالكعبة والأركان والبلد المؤتمن السدان
قد منع السمع عتاة الجان بثاقب بكف ذي سلطان
من أجل مبعوث عظيم الشان يبعث بالتنزيل والقرآن
وبالهدى وفاضل القرآن يبطل به عبادة الأوثان

فقلنا له : ويحك يا خطر إنك لتذكر أمراً عظيماً فماذا ترى لقومك ؟ فقال :

أرى لقومي ما أرى لنفسي إن يتبعوا خير نبي الإنس
برهانه مثل شعاع الشمس يبعث في مكة دار الخمس
بمحكم التنزيل غير اللبس

فقلنا له : يا خطر وممن هو؟ فقال : والحياة والعيش ، إنه لمن قريش . ما في حكمه طيش ولا في خلقه هيش يكون في جيش ، أو أي جيش من آل قحطان ، وآل أيش . فقلنا له : بيّن لنا من أي قريش هو؟ فقال : والبيت ذي الدعائم والركن والأحائم إنه لمن نجل هاشم من معشر أكارم يبعث بالملاحم ، وقتل كل ظالم . ثم قال : هذا هو البيان أخبرني به رئيس الجان . ثم قال : الله أكبر جاء الحق وظهر وانقطع عن الجن الخبر . ثم سكت وأغمي عليه ، فما أفاق إلّا بعد ثلاثة . فقال : لا إله إلّا الله . فقال رسول الله ﷺ . لقد نطق عن مثل نبوة

وإنه ليبعث يوم القيامة أمة وحده قوله : أصابه إصابة الثاني بكسر الهمزة وهي بدل من واو مكسورة والمعنى أصابه وصابه جمع وصب . وقوله من آل قحطان هم الأنصار لأنهم من قحطان . وآل أيش : قال السهيلي : يحتمل أن يكون قبيلة من الجن المؤمنين ينسبون إلى أيش . قلت : ذكر ابن دريد أن بني الشيطان ، وبني إيش قبيلتان من الجن . ثم قال السهيلي : وأحسبه أراد بآل أيش بني أقيش ، وهم حلفاء الأنصار من الجن فحذف من الاسم حرفاً . وقد تفعل العرب مثل هذا وقد وقع ذكر بني أقيش في السيرة في حديث البيعة . قلت : وقد وقع ذكر بني الشيطان ، وبني أقيش في قصة وأنهما حيان من الجن . وقد ذكرتها في أمر الجن الذين سمعوا القرآن من النبي ﷺ .

وقوله : والأحائم يجوز أن يكون أراد الأحاوم بالواو فهزم الواو لانكسارها . والأحاوم جمع أحوام ، وأحوام جمع حوم وهو الماء في البئر ، فكأنه أراد ماء زمزم . والحوم أيضاً إبل كثيرة ترد الماء ، فكأنه أراد ماء زمزم . ويجوز أن يريد بها الطير التي تحوم على الماء فيكون بمعنى الحوائم ، وقلب اللفظ فصار بعد فواعل أفاعل والله أعلم . وروى ابن إسحاق حديث عمر بن الخطاب وقصته مع سواد بن قارب . وروى غير ابن إسحاق هذا الخبر عن عمر وأن عمر مازح سواداً . فقال : ما فعلت كهانتك يا سواد ؟ فغضب سواد ، فقال : قد كنت أنا وأنت على شر من هذا من عبادة الأصنام ، وأكل الميتات أفتعيرني بأمر قد تبت منه ؟ فقال عمر حينئذٍ : اللهم غفرانك . والحديث في صحيح البخاري أخصر . وفي الألفاظ اختلاف . وقد روي في الحديث زيادة حسنة وهي أن سواداً حدث عمر أن رئيه جاءه ثلاث ليال متواليات هو فيها كلها بين النائم واليقظان . فقال له : قم يا سواد اسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل ، قد بعث رسول الله ﷺ من لؤي من غالب يدعو إلى الله وعبادته ، وأنشده في كل ليلة من الثلاث ليال ثلاثة أبيات معناها واحد وقافيتها مختلفة .

في الأولى :

عجبت للجن وتطلابها	وشدها العيس بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى	ما صادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم	ليس قداماها كأذنابها

وفي الثانية :

عجبت للجن وإبلاسها وشدها العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما طاهر الجن كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس ذنابا الطير من راسها

وفي الثالثة :

عجبت للجن وتنفارها وشدها العيس بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل إلى الأتقين من هاشم ليس ذوو الشر كأخيارها

وذكر تمام الخبر فقال له عمر : هل يأتيك رئيك الآن ؟ فقال : منذ القرآن لم يأتني ونعم العوض كتاب الله عزَّ وجلَّ من الجن . وفي آخره شعر سواد إذ قدم على رسول الله ﷺ وأنشده ما كان من الجن رئيه إليه ثلاث ليال متواليات وذكر قوله :

أتاني نجي بعد هدء ورقدة ولم يكن فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك نبي من لؤي بن غالب
فرفعت أذيال الإزار وشمرت بي العرمس الوجنا هجول السباسب
فأشهد أن الله لا شيء غيره وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة من الله بابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك من وحي ربنا وإن كان مما جئت شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة بمغن فتيلاً عن سواد بن قارب

فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال لي : أفلحت يا سواد . وقال أبو بكر بن محمد القرشي : حدثنا أبو الأحوص محمد بن الهيثم ، حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبو عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار ، حدثنا عبد الله بن عبد العزيز الزهري ، حدثني أخي محمد بن عبد العزيز عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن أنس السلمي عن عباس بن مرداس قال : كان إسلام عباس بن مرداس أنه كان في لقاح نصف النهار إذ طلعت نعامة بيضاء عليها راكب عليه ثياب مثل اللبن قال : فقال لي : يا عباس ألم تر أن السماء بثت أحراسها ، وأن الجن جرعت أنفاسها ، وأن الخيل وضعت أحلاسها ، وأن الذي نزل بالبر والتقوى يوم الاثنين ليلة الثلاثاء صاحب الناقة القصوى . قال : فخرجت مرعوباً قد راعني ما رأيت وسمعت حتى جئت وثناً لنا يدعى الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه فدخلت عليه فكنست ما حوله وقمت ثم تمسحت به وقبلته فإذا صائح يصيح من جوفه : يا عباس :

قـل للقبـائـل من سليم كلهـا هلك الضمار وفاز أهـل المسجد
هلك الضمـاروكـان يعبـد مـرة قبـل الصـلاة إلى النبي محمـد
ذاك الـذي جاء بـالنبـوة والهـدى بعد ابن مريم من قـريش مهتدي

قـال : فخرجت مـرعوبـاً حتى جئت قومي فقصصت عليهم القصـة وأخبرتهم الخبـر . قال : فخـرجت في ثلاثمـائة من قـومي من بني حارثـة إلى رسـول الله ﷺ بـالمدينـة فتبسم ثم قال : يـا عباس كيف كـان إسـلامـك ؟ فقصصت عليـه القصـة فسـر بذلـك ، وأسلمت أنـا وقـومي . وقـال أبـو بكـر القـرشي : حـدثنـا حـاتم بن الليث الجوهري ، حدثني سليم بن عبد العزيز الزهري ، حدثني أبي عبد العزيز بن عمران عن عمه محمد بن عبد العزيز عن أبيه عمر بن عبد الرحمن بن عـوف ، قال : لما ولد رسول الله ﷺ هتف الجن على أبي قبيس وعلى الجبل الذي بالحجون :

فأقسم لا أنثى من الناس أنجبت ولا ولدت أنثى من الناس واحده
كمـا ولـدت زهـريـة ذات مفخـر مجنبـة لـوم القبـائـل مـاجـده
فقـد ولدت خيـر القبائـل أحمداً فـأكـرم بمـولـود وأكـرم بـوالـده

وقال الذي على أبي قبيس :

يـا سـاكني البـطحـاء لا تغلطوا وميـزوا الأمـر بعـقـل مـضـى
إنـي بـنـي زهـرة مـن سـركـم في غـابـر الـدهـر وعنـد البـدى
واحـدة مـنكـم فـهـاتـوا لـنـا فيمن مضى في الناس أو من بقى
واحـدة مـن غيـركـم ومثـلهـا جـنينهـا مثـل النبي التـقـى

وروى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال : ما سمعت عمر يقول لشيء قط : إنِّي لأظنه كذا إلاَّ كان كما يظن . بينا عمر جالس إذ مر به رجـل جميل فقال : لقد أخـطأ ظني أو أن هذا على دينـه في الجاهليـة أو لقد كـان كاهنهم عليّ بالرجل ، فدعي له فقال له عمر : لقد أخطأ ظني أو أنك على دينك في الجاهلية ، أو لقد كنت كاهنهم . فقال : ما رأيت كاليوم استقبل به رجـل مسلم . قال : فـإنِّي أعزم عليك إلاَّ ما أخبرتني . قال : كنت كاهنهم في الجـاهلية . قـال : فما أعجب مـا جاءتـك به جنيتـك ؟ قال : بينـا أنا في سـوق يومـاً جاءتني أعـرف فيهـا الفـزع فقالت :

ألم تـر إلى الجن وإبـلاسـهـا ويـأسـهـا بـعـد إبـلاسـهـا
ولحوقها بالقلاص وأحلاسها

قال عمر : صدق بينا أنا قائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع قط صارخاً أشد صوتاً منه يقول : يا جليح أمر نجيح ، رجل يصيح ، يقول : لا إله إلاَّ الله . فوثب القوم . فقلت : لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا . ثم نادى : يا جليح أمر نجيح ، رجل يصيح ، يقول : لا إله إلاَّ الله . قلت : لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا . ثم نادى : يا جليح ، أمر نجيح ، رجل يصيح ، يقول : لا إله إلاَّ الله . فما نشبت أن قيل : هذا نبي . قال البيهقي : ظاهر هذه الرواية يوهم أن عمر نفسه سمع الصارخ يصرخ من العجل الذي ذبح . وكذلك هو صريح في رواية عن عمر في إسلامه وسائر الروايات تدل على أن هذا الكاهن أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه والله أعلم .

وقد روى الإمام أحمد عن مجاهد قال : حدثنا شيخ أدرك الجاهلية ونحن في غزوة رودس يقال له : ابن عيسى قال : كنت أسوق لآل لنا بقرة فسمعت من جوفها : ياآل ذريح يا قوم فصيح ، رجل يصيح : أن لا إله إلاَّ الله . قال : فقدمنا مكة فوجدنا النبي ﷺ قد خرج بمكة . قال عبد الله بن أحمد : حديث غريب بإسناد جيد . وروى البيهقي بسنده قصة مازن الطائي وأنه كان بأرض عمان بقرية تدعى شمائل وكان يسدن الأصنام لأهله ، وكان له صنم يقال له : ناجر ، فقال مازن : فعترت ذات يوم عتيرة وهي الذبيحة ، فسمعت صوتاً من الصنم يقول : يا مازن ، يا مازن أقبل إليّ أقبل إلي ، تسمع ما لا تجهل . هذا نبي مرسل جاء بحق منزل ، فآمن به كي تعدل عن حر نار تشعل وقودها بالجندل . قال مازن : فقلت : والله إن هذا لعجب . ثم عترت بعد أيام عتيرة أخرى ، فسمعت صوتاً أشد من الأول وهو يقول : يا مازن اسمع تسر ، ظهر خير ، وبطن شر ، بعث نبي مضر ، بدين الله الأكبر ، فدع نحيتاً من حجر ، تسلم من حر سقر . قال مازن : فقلت : والله إن هذا لعجب وإنه لخير يراد بي وقد مر علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا : ما الخبر وراءك ؟ قال : خرج رجل من تهامة يقول لمن أتاه : « أجيبوا داعي الله » ، يقال له : أحمد . قال : فقلت : هذا والله نبأ ما سمعت فسرت إلى الصنم فكسرته جذاذاً ، وشددت راحلتي ورحلت حتى أتيت رسول الله ﷺ فشرح الله صدري إلى الإسلام فأسلمت وأنشأت أقول :

كسرت ناجز أجذاذاً وكان لنا ... رباً نطيف به ضلاً بتضلال

بالهاشمي هدانا من ضلالتنا ... ولم يكن دينه مني على بال

يـا راكباً بلغ عمـراً وإخـوتـه إني لمن قـال ربي نـاجـز قـالي

يعني بعمرو وإخوته بني خطامة . قال مازن : فقلت : يا رسـول الله إنِّي امرؤ مـولع بـالطرب وشـرب الخمر ، وبـالهلوك من النساء فـألحت علينا السنـون فأذهبن الأموال ، وأهزلهن الذراري والرجال ، وليس لي ولد ، فادع الله أن يذهب عني مـا أجد ويأتيني بالحياة ويهب لي ولـداً . فقال النبي ﷺ : اللهم أبـدله بـالطرب قـراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبـالخمر ريـاً لا إثم فيه ، وبـالعهر عفـة الفرج ، وأتـه بـالحيا وهب لـه ولداً . قـال مـازن : فـأذهب الله عني كـل مـا كنت أجـد وأخصب عمان ، وتزوجت أربع حرائر ، ووهب لي حيان بن مازن وأنشأت أقول :

إليـك رسـول الله حنت مـطيتي تجوب الفيافي من عمان إلى العرج
لتشفع لي يا خير من وطىء الحصى فيغفـر لي ربي فـأرجـع بـالفـلج
إلى معشـر خـالفت في الله دينهـم فلا رأيهم رأيي ولا سرجهم سرجي
وكنت امـرأ بالعـزف والخمر مـولعـاً حيـاتي حتى آذن الجسم بـالنهـج
فبـدلني بـالخمـر خـوفـاً وخشيـة وبالعهر إحصـاناً وحصن لي فـرجي
فـأصبحت همي في جهـاد ونيـتي فلله مـا صـومـي ولله مـا حـجـي

قال مازن : فلما رجعت إلى قومي أنبوني وشتموني وأمـروا شاعـرهم فهجاني فقلت : إن هجوتهم فإنما أهجو نفسي فتركتهم وأنشأت أقول :

شـتمـكم عـنـدنـا مـر مـذاقـتـه وشتمنـا عنـدكم يـا قـومنـا حسن
لا ينشب الـدهـر إن بثت معـائبكم وكـلكم أبـداً فـي عـينـنـا فـطن
شـاعـرنـا مفحم عنكم وشـاعـركم في حـربنـا مبلغ في شتمنـا لسن
مـا في الصـدور عليكم من منغصة وفي صـدوركم الـبغـضـاء والإحن

وروي أن مازناً لما تنحى عن قومه أتى موضعاً فابتنى مسجداً يتعبد فيه فهو لا يأتيه مظلوم يتعبد فيـه ثلاث ، ثم يـدعو محقـاً على من ظلمه يعني إلاَّ استجيب لـه فيكاد يعافى من البرص ، والمسجد يدعى مبرصاً إلى اليوم قال مازن : ثم إن القوم ندموا ، وكنت القيم بـأمورهم ، فقـالوا : مـا عسينا أن نصنـع به . فجاءني طائفـة عظيمة فقـالوا : يـا ابن عم عبنا عليـك أمراً فنهينـاك عنه فـإذا تبت فنحن تاركـوك ، ارجع معنا . فرجعت معهم فأسلمـوا بعد كلهم . وقـد روي في معنى حديث مـازن أخبار كثيرة منها حديث عمرو بن جبلة فيما سمع من جوف الصنم : يا عصام ، يا عصام ، جاء الإسلام وذهبت الأصنام . ومنها حديث طارق من بني هند بن حرام :

يا طارق ابن يا طارق بعث النبي الصادق . ومنها حديث وقشة فيما أخبر به رئيه فنظر إلى ذباب بن الحارث فقال : يا ذباب يا ذباب ، اسمع العجب العجاب بعث محمد بالكتاب يدعو بمكة لا يجاب . وغير ذلك مما يطول استقصاؤه . وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن الزهري ، أخبرني علي بن الحسين قال : إن أول خبر قدم المدينة أن امرأة من أهل يثرب تدعى فطيمة كان لها تابع من الجن فجاءها يوماً فوقع على جدارها . فقالت : مالك لا تدخل ؟ فقال : إنه بعث نبي حرم الزنا ، فحدثت تلك المرأة عن تابعها من الجن فكان أول خبر حدث بالمدينة عن رسول الله ﷺ .

وروى البيهقي بسنده عن جابر قال : أول خبر قدم المدينة عن النبي ﷺ أن امرأة من أهل المدينة كان لها تابع فجاء في صورة طائر حتى وقع على حائط دارها . فقالت له المرأة : انزل نخبركم وتخبرنا . قال : لا . إنه بعث بمكة نبي منع منا القرار وحرم علينا الزنا والله الموفق .

* * *

الباب الرابع والستون

في إخبار الجن بنزول النبي ﷺ خيمة أم معبد حين الهجرة

قال ابن إسحاق : حدثت عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت إليهم فقالوا : أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ قلت : لا أدري والله أين أبي . قالت : فرفع أبو جهل يده وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي . قالت : ثم انصرفوا فمكثنا ثلاث ليال لا ندري أين وجه رسول الله ﷺ حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته ، وما يرونه حتى خرج من أسفل مكة وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا ... فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله علمنا حيث وجه رسول الله ﷺ وأن وجهه إلى المدينة . لم يزد ابن هشام في روايته عن ابن إسحاق على هذا . وروى ابن قتيبة القصة بألفاظ مختلفة يقصر شرح ألفاظها وفيها زيادة منها قوله :

فيـا لقصي مـا زوى الله عنكـم ... بـه من فعـال لا تجـارى وسؤدد
سلوا أختكم عن شـاتها وإنـاثهـا ... فـإنكم إن تسـألـوا الشـاة تشهـد
دعـاهـا بشـاة حـائـل فتحلبت ... عليـه صريحـاً صرة الشاة مزبـد
فغـادرهـا رهنـاً لـديهـا لحـالب ... يـرددهـا في مصـدر ثم مـورد

ويـروى أن حسـان بن ثابت لمـا بلغـه شعـر الجني ومـا هتف بـه بمكـة قـال يجيبه :

لقد خاب قـوم غاب عنهم نبيهم ... وقدس من يسري إليهم ويغتـدي
تـرحل عن قـوم فضلت عقـولهم ... وحـل على قـوم بنـور مجـدد
هـداهم بـه بعـد الضـلالـة ربهم ... وأرشـدهم من يتبع الحق يـرشـد
وهل يستوي ضـلال قوم تسفهـوا ... عمـايتهم هـاد بـه كـل مهتـدي
لقـد نزلت منـه على أهل يثـرب ... ركاب هدى حلت عليهم بـأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حـوله ... ويتلو كتـاب الله في كـل مسجـد
وإن قـال في يـوم مقـالـة غـائب ... فتصديقهافي اليوم أو في ضحى الغد
ليهن أبـا بكـر سعـادة جـده ... بصحبتـه من يسعـد الله يسعـد

وزاد يـونس في روايته أن قـريشاً لمـا سمعت الهاتف من الجن أرسلوا إلى أم معبد وهي بخيمتها فقالوا : هـل مر بـك محمد الـذي من حليته كـذا ؟ فقالت : لا أدري ما تقولون وإنما صادفني حالب الشاة الحائل وكانـوا أربعة : رسـول الله ﷺ ، وأبو بكر ، ومولاه عامـر بن فهيرة ، وعبـد الله بن أريقط الليثي دليلهم ، ولم يكن إذ ذاك مسلمـاً،ولا صح أنـه أسلم بعد ذلـك ، وأم معبد اسمهـا عـاتكـة بنت خـالـد الأشعـري . ووهم ابن هشـام فقـال : أم معبـد بنت كعب امـرأة من بني كعب ، وزوجها أبو معبـد لا يعرف اسمـه ، توفي في حياة رسول الله ﷺ ، ويقـال : إن له رواية وكان منزل أم معبد بقديد .

وذكـر ابن قتيبة أن رسـول الله ﷺ قال لأم معبـد وكـان القـوم مـرملين مسنتين فطلبوا لبناً أو لحماً يشترونه فلم يجدوا عندها شيئاً ، فنظر إلى شاة في كسـر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسألها : هل بها من لبن ؟ فقـالت : هي أجهد من ذلـك . فقال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ فقالت : بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً فاحلبها . فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها فتفاجت ودرت واجترت ودعا بإناء يـربض الرهط فحلب فيه ثجاً حتى ملأه لبناً وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخـرهم ثم حلب فيه

مرة أخرى فشربوا علاًّ بعد نهل ، ثم غادروا والشاة عندهـا وذهبوا . وجـاء أبو معبـد وكان غائباً فلما رأى اللبن قال : ما هذا يا أم معبد أنى لك هذا والشاة عـازب حيال ولا حلوب بالبيت ؟ فقالت : لا والله إلاَّ أنـه مر بنـا رجل مبـارك فقال : صفيـه يا أم معبـد فوصفتـه بمـا ذكـره القتيبي . وورد في حـديث آخـر : أن آل أم معبـد كـانـوا يؤرخون بذلك اليوم ويسمونه يوم الرجل المبارك يقولون : فعلنـا كيت وكيت قبل أن يأتينا الرجل المبارك أو بعدما جاءنا الرجل المبارك . ثم إن أم معبد أتت المدينة بعد ذلك بما شاء الله ومعها ابن لها صغير قد بلغ السعي ، فمر في المدينة على مسجـد رسول الله ﷺ وهو يكلم الناس على المنبر فانطلق إلى أمه يشتد وقال : يا أمـاه إني رأيت اليوم الرجل المبارك . فقـالت له : ويحـك يا بني هـو رسول الله ﷺ . وروى هشام بن حبيش الكعبي قال : أنـا رأيت تلك الشاة يعني التي حلبهـا رسول الله ﷺ وإنها لتأدم أم معبد وجميع صرمها أي أهل ذلك الماء والله أعلم .

* * *

الباب الخامس والستون

في إخبار الجن بإسلام السعدين

قـال أبو بكـر عبد الله بن محمـد : حدثني أبي عن هشـام بن محمد ، أنبـأنا عبـد المجيـد بن أبي عيسىٰ بن محمـد بن أبي عيسىٰ بن جبيـر عن أبيــه عن جـده قال : سمعت قريش صائحاً يصيح على أبي قبيس :

فـإن يسلم السعـدان يصبـح محمـد ... بمكــة لا يخشى خـلاف مخـالف

فقال أبو سفيان : وأشراف قريش من السعود : سعد بن بكر ، وسعـد بن زيد مناة ، وسعد بن قضاعة فلما كان في الليلة الثانية سمعوا صوته على أبي قبيس :

أيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصراً ... ويا سعد سعد الخزرجين الغـطارف

أجيبـا دعـا داعي الهـدى وتمنيـا ... على الله في الفـردوس ذات رفـائف

قـال : فقالـوا : هذا سعـد بن عبادة ، وسعـد بن معاذ . وذكـره أبو عمـر بن عبد البر . وقـال أبو بكـر : حدثنـا العباس بن هشـام ، حدثني هشـام بن محمد بن عبد المجيد بن أبي عيسى قال : سمع بالمدينة في بعض الليل هاتف يقول :

خير كهلين في بني الخزرج الغـ ... ـر يـبـيـروا سـعـد بـن عـبـادة

المجيبـان إذا دعـا أحمـد الخيـر ... فـنـالـتـهـمـا هـنـاك السـعـادة

ثم عاشا مهذبين جميعاً ثم لقاهما المليك شهادة

* * *

الباب السادس والستون

في إخبار الجن بقصة بدر

ذكر قاسم بن ثابت في الدلائل أن قريشاً حين توجهت إلى بدر مر هاتف من الجن على مكة في اليوم الذي أوقع به المسلمون وهو ينشد بأبعد صوت ولا يرى شخصه :

إزار الحنيفيون بدراً وقيعة سينقبض منها ركن كسرى وقيصرا
أبادت رجالاً من لؤي وأبرزت حرائر يضربن الترائب حسرا
فيا ويح من أمسى عدو محمد لقد حاد عن قصد الهدى وتحيرا

فقال قائلهم : من الحنيفيون ؟ فقالوا : هو محمد وأصحابه يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف . ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبر اليقين والله أعلم .

* * *

الباب السابع والستون

في إخبار الجن بقتلهم سعد بن عبادة

ذكر ابن عبد البر وغيره أن سعد بن عبادة كان تخلف عن بيعة أبي بكر وخرج عن المدينة ولم ينصرف إليها إلى أن مات بحوران من أرض الشام لسنتين ونصف مضتا من خلافة عمر وذلك سنة خمس عشرة ، وقيل سنة أربع عشرة ، وقيل : بل مات سعد بن عبادة في خلافة أبي بكر ، وقيل : سنة إحدى عشرة ولم يختلفوا أنه وجد ميتاً في مغتسله . وقد اخضر جسده ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلاً يقول ولا يرون أحداً :

قد قتلنا سيد الخز رج سعد بن عبادة
ورميناه بسهمين فلم نخطئ فؤاده

ويقال : إن الجن قتلته . وروى ابن جريج عن عطاء أنه قال : سمعت أن الجن قالت في سعد بن عبادة فذكر البيتين . وقال الزمخشري : يزعمون أن علقمة بن صفوان وحرب بن أمية من قتلى الجن . قالوا : وقالت الجن :

وقبـر حـرب بمكـان قفـر   وليس قـرب قبر حـرب قبر

قالوا : ومن الـدليل على أن هـذا من شعر الجن أن أحـداً لا يقدر أن ينشـده ثلاث مرات متصلة من غيـر تتعتع ويقـدر على تكرار أشق بيت من أبيـات غير الجن عشر مرات من غير تتعتع والله أعلم .

الباب الثامن والستون

في جواز سؤال الجن عن الأحوال الماضية دون الأمور المستقبلة

قـال أبو بكـر القرشي : حـدثنا عبـد الله بن بدَر ، حـدثنا يحيى بن يمـان عن سفيـان عن عمر بن محمـد عن سالم بن عبـد الله قـال : أبـطأ خبـر عمـر على أبي مـوسى فأتى امـرأة في بطنهـا شيطان فجـاء فسألهـا عنـه فقـالت : حتى يجيء إليّ شيطاني ، فجاء فسألته عنه قال : تركته مؤتزراً بكساء يهنأ إبل الصدقة وذاك لا يـراه شيطان إلَّا خرَّ لمنخره الملك بين يديه وروح القدس ينطق بلسانه . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة : حدثنا داود بن رشِيد ، حدثنا الوليـد يعني ابن مسلم عن عمـر بن محمد ، حـدثنا سـالم بن عبد الله قـال : راث على أبي مـوسى الأشعري خبر عمر وهو أمير البصرة وكان بها امـرأة في جنبها شيـطان يتكلم فأرسـل إليها رسولاً فقال لها : مري صاحبك فليذهب فليخبرني عن أمير المؤمنين . قالت : هـو باليمن يـوشك أن يـأتي فمكثوا غيـر طويـل . قالـوا : اذهب فأخبـرنـا عن أميـر المؤمنين فإنه قد راث علينا . فقـال : إن ذلك الـرجل مـا نستطيـع أن ندنـو منه بين عينيه روح القدس ، وما خلق الله شيطاناً يسمع صوته إلَّا خرَّ لوجهه . وفي خبر آخر أن عمـر أرسل جيشـاً فقدم شخص إلى المـدينة فـأخبر أنهم انتصـروا على عدوهم وشاع الخبر فسأل عمر عن ذلك فذكـر له . فقـال : هذا أبـو الهيثم يريـد المسلمين من الجن وسيأتي يريد الإنس فجاء بعد ذلك بعدة أيام .

فصل : قال أبو العباس أحمـد بن تيمية : أمـا سؤال الجن وسؤال من يسألهم فهذا إن كان على وجه التصديق لهم في كل ما يخبـرون به ، والتعـظيم للسؤال فهو حرام كما ثبت في الصحيح عن معاوية بن الحكم أن النبي ﷺ قيل له : إن قوماً منا يأتون الكهان ؟ قال : « فلا تأتوهم » . وفي صحيح مسلم عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومـاً » . وأما إن

كان يسأل المسؤول ليمتحن حاله ويختبر باطن أمره وعنده ما يميز به صدقه من كذبه فهذا جائز . كما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ سأل ابن صياد فقال : ما يأتيك ؟ قال : يأتيني صادق ، وكاذب . قال : ما ترى ؟ قال : أرى عرشاً على الماء . قال : فإنِّي قد خبأت لك خبيئاً . قال : هو الدخ . قال : اخسأ فلن تعدو قدرك فإنما أنت من إخوان الكهان . وكذلك إذا كان يسمع ما يقولون ، ويخبرون به عن الجن ، كما يسمع المسلمون ما يقوله الكفار والفجار ليعرفوا ما عندهم ، فكما يسمع خبر الفاسق ، ويتبين ويتثبت فلا يجزم بصدقه ، ولا بكذبه إلَّا ببينة كما قال الله تعالى : ﴿ **إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** ﴾ . وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن أهل الكتاب كانوا يقرؤون التوراة ويفسرونها بالعربية . فقال النبي ﷺ : **إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه ، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه ، وقولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إليكم ، وإلٰهنا وإلٰهكم واحد ، ونحن له مسلمون ، فقد جاز للمسلمين سماع ما يقولونه وإن لم يصدقوه ولم يكذبوه** . ثم ساق حديث يريد الجن الذي قدمناه وحديث أبي موسىٰ الأشعري المتقدم .

رأي المؤلف وتعليقه :

قلت : لا شك أن الله تعالى أقدر الجن على قطع المسافة الطويلة في الزمن القصير بدليل قوله تعالى : ﴿ **قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك** ﴾ . فإذا سأل سائل عن حادثة وقعت أو شخص في بلد بعيد فمن الجائز أن يكون الجني عنده علم من تلك الحادثة وحال ذلك الشخص فيخبر . ومن الجائز أن لا يكون عنده علم فيذهب ويكشف ثم يعود فيخبر ومع هذا فهو خبر واحد لا يفيد غير الظن ، ولا يترتب عليه حكم غير الاستئناس وسيأتي في الأبواب الآتية أنواع مما أخبروا به عقيب وقوعه ، ثم تبين بعد ذلك وقوعه بإخبار الإنس . وأما سؤالهم عما لم يقع وتصديقهم فيه بناء على أنهم يعلمون الغيب فكفر وعليه يحمل قوله ﷺ : « لا تأتوهم » . وقوله : « من أتى عرافاً » الحديث . والله أعلم .

* * *

الباب التاسع والستون
في شهادة الجن للمؤذنين يوم القيامة

في صحيح البخاري والموطأ وغيرهما من حديث ابن أبي صعصعة أن أبا سعيد قال له : أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في باديتك أو غنمك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس إلاً شهد له يوم القيامة . قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله ﷺ .

* * *

الباب الموفي سبعين
في نعي الجن عبد الله بن جدعان
وفيه قصة إصابته الكنز

قال عبد الله بن محمد بن عبيد : حدثني أبي ، حدثنا هشام بن محمد قال : أخبرني معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عامر بن وائلة قال : أخبرني شيخ من أهل مكة عن الأعشى بن إلياس بن زرارة التميمي حليف بني عبد الدار قال : خرجت مع نفر من قريش نريد الشام فنزلنا بواد يقال له : وادي عوف فعرسنا به فاستيقظت في بعض الليل فإذا أنا بقائل يقول :

ألا هلك النساك غيث بني فهر ... وذو الباع والمجد التليد وذو الفخر

فقلت في نفسي والله لأجيبنه فقلت :

ألا أيها الناعي أخا الجود والفخر ... من المرء تنعاه لنا من بني فهر

فقال :

نعيت ابن جدعان بن عمر وأخا الندى ... وذا الحسب القدموس والمنصب القهر

فقلت :

لعمري لقد نوهت بالسيد الذي ... له الفضل معروفاً على ولد النضر

فقال :

مررت بنسوان يخمشن أوجهاً ... صياحاً عليه بين زمزم والحجر

فقلت :

متى إن عهدي فيه منذ عروبة ... وتسعة أيام لغرة ذا الشهر

فقال :

ثـوى منـذ أيـام ثـلاث كـوامـل   مع الليل أو في الليل أو وضح الفجر

فـاستيقـظت الـرفقـة فقـالـوا : من تخـاطب ؟ فقلت : هـذا هـاتف ينعي ابن جـدعان . فقـالوا : والله لـو بقي أحد بشـرف أو عز أو كثـرة مـال لبقي عبـد الله بن جدعان فقال ذلك الهاتف :

أرى الأيـام لا تـبـقـي عـزيـزاً   لـعـزتـه ولا تـبـقـي ذلـيـلا

فقلت :

ولا تـبـقـي مـن الـثـقـلـين شـغـراً   ولا تـبقـي الحـزون ولا الـسهـولا

قال : فنظرنا في تلك الليلة فرجعنا إلى مكة فوجدناه قد مات كما قال .

قلت : عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم يكنى أبا زهير هو ابن عم عائشة الصديقة : كان في ابتداء أمره صعلوكاً ، وكان مع ذلك شـريراً لا يزال يجني الجنايات فيعقل عنه أبوه وقومه حتى أبغضته عشيرته ونفاه أبوه وحلف أن لا يؤويه أبداً لمـا أثقله من الغرم وحمله من الـديات فخـرج في شعاب مكـة حائـراً يتمنى نزول الموت به فدخل في شق جبل يرجو أن يكون فيه ما يقتله ليستريـح فإذا ثعبان عظيم له عينان تقدان كالسراجين فحمل عليـه الثعبان فـأفرج لـه فانسـاب عنه مستديراً بدارة عندها بيت فخطا خـطوة أخرى فصعـد به الثعبـان وأقبل إليـه كالسهم فأفرج له فانساب فوقع في نفسه أنه مصنوع فأمسكه فإذا هو مصنوع من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت فإذا جثث طوال على سرر لم ير مثلهم طولاً وعظماً ، وعند رؤوسهم لوح من فضة فيه تـاريخهم فإذا هم رجـال من ملوك جرهم وآخرهم موتاً الحارث بن مضاض صاحب القـرية الـطويلة وإذا عليهم ثياب لا يمس منها شيء إلَّا انتثر كالهباء من طول الزمن . قال ابن هشام : كان اللوح من رخام ، وكان فيه : أبو نفيلة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحـطان بن هود نبي الله عشت خمسمائة عام ، وقطعت غور الأرض باطنها وظـاهرهـا في طلب الثروة والمجد والملك ، فلم يكن ذلك ينجيني من الموت . وتحته مكتوب :

قـد قـطعت البـلاد في طلب الثر   وة والـمـجـد قـالص الأثـواب

وسـريـت الـبـلاد قـفـراً لـقـفـر   بـقـنـاتـي وقـوتـي واكـتـسـابـي

فـأصـاب الـردى سـواد فـؤادي   بـسهـام من الـمـنـايـا صـعـاب

فـانقضت شـرتي وأقصـر جهـلي   واستـراحت عـواذلي من عـتـابي

ودفعت السفاه بالحلم لما نزل الشيب في محل الشباب
صاح هل رأيت أو سمعت براع رد في الضرع ما قرى في الحلاب

وإذا في وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم علم على الشق بعلامة وأغلق بابه بالحجارة ، وأرسل إلى أبيه بالمال الذي خرج به يسترضيه ويستعطفه ، ووصل عشيرته كلهم وسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف . فلما كبر وهرم أراد بنو تميم أن يمنعوه من تبذير ماله ولاموه في العطاء فكان يدعو الرجل فإذا دنا منه لطمه لطمة خفيفة ثم يقول : قم فانشد لطمتك واطلب ديتها فإذا فعل أعطته بنو تميم من مال ابن جدعان حتى يرضى . وذكر ابن قتيبة في غريب الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمى » ، يعني بالهاجرة . قال ابن قتيبة : كانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبي فغرق أي مات . وكان أمية بن أبي الصلت قبل أن يمدحه أتى بني الديان من بني الحارث بن كعب فرأى طعام بني عبد المدان منهم لباب البر ، والشهد والسمن ، وكان ابن جدعان يطعم التمر ، والسويق ، ويسقي اللبن فقال أمية :

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم فرأيت أكرمهم بني الديان
البر يلبك بالشهاد طعامهم لا ما تعللنا بنو جدعان

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فأرسل ألفي بعير إلى الشام تحمل إليه البر والشهد والسمن ، وجعل منادياً ينادي على الكعبة : ألا هلموا إلى جفنة عبد الله بن جدعان . فقال أمية عند ذلك :

له داع بمكة مشمعل وآخر فوق كعبتها ينادي
إلى ردح من الشيزا عليها لباب البر يلبك بالشهاد

وفي صحيح مسلم أن عائشة رضي الله عنها قالت لرسول الله ﷺ : إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ، ويقري الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : لا . لأنه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين . وروى ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ قال : لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت إليه في الإسلام لأجبت المراد به حلف الفضول وكان في ذي القعدة قبل المبعث بعشرين سنة والله أعلم .

* * *

الباب الحادي والسبعون

في بيان نوح الجن على أبي عبيدة وأصحابه

قال أبو بكر بن محمد : حدثني العباس بن هشام بن محمد عن أبيه عن محمد بن سعيد بن راشد مولى النخع عن رجل من أهل الطائف قال : لما أبطأ على عمر بن الخطاب خبر أبي عبيدة بن مسعود وأصحابه وكانوا بقس الناطف اشتد همه وجعل يسأل عن خبرهم فقدم رجل من أهل الطائف فحدث في مسجد رسول الله ﷺ أنهم كانوا بواد من أودية الطائف يقال له : سهر أسمار فسمعوا نائحة يحسبون أنها بالقرب منهم فسمعوا نساء ينحن ويقلن :

مت على الخيرات ميتة خالد   إذا ما صبرت يوم اللقاء
قدس الله معركاً شهدوه   والملا الأبرار خير ملاء
معركاً فيه ظلت الجن تبكي   مبسمات الأبكار بيض الدماء
كم كريم مجدل غادروه   مؤمن القلب مستجاب الدعاء
يقطع الليل لا ينام صلاة   وجؤاراً يمده ببكاء

ثم يقلن : يا أبا عبيداه يا سليطاه . قال الطائفي : فجعلنا نتبع الصوت فنسمع الأبيات وما يقلن بعدها ونحن منه في البعد على حال واحدة . فقدم الطائفي على عمر فأخبره فكتب عمر الذي سمع منه فوجدوا أبا عبيدة وأصحابه قتلوا ذلك اليوم . سليطاه المذكور في الندبة هو سليط بن قيس الأنصاري كان على الناس هو وأبو عبيدة بن مسعود والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الثاني والسبعون

في نوحهم على النخع لما أصيبوا يوم القادسية

قال ابن أبي الدنيا : حدثني العباس بن هشام بن محمد عن أبيه عن جده قال : سمعت أشياخ النخع يذكرون قالوا : أصيب النخع بالقادسية فسمعوا نوح الجن في واد من أودية اليمن وهم يقولون :

ألا فاسلمي يا عكرم ابنة خالد   وما خير زاد بالقليل المصرد
فحيتك عني الشمس عند طلوعها   وحيال عني كل ركب مفرد
وحيتك عني عصبة نخعية   حسان الوجوه آمنوا بمحمد

أقاموا لكسرى يضربون جنوده بكل رقيق الشفرتين مهند
إذا ثوب الداعي أقاموا بكلكل من الموت مغبر العياطيل أسود

قال : فجاءهم ما أصاب النخع يوم القادسية من القتل والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الثالث والسبعون
في رثاء الجن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال القرشي : حدثني محمد بن عباد بن موسى ، حدثني محمد بن ثابت البناني عن أبيه قال : قالت عائشة رضي الله عنها : إذا سركم أن يحسن المجلس فأكثروا ذكر عمر بن الخطاب . ثم قالت : والله إنَّا لوقوف بالمحصب إذ أقبل راكب حتى إذا كان قدر ما يسمع صوته قال :

أبعد قتيل بالمدينة أشرقت له الأرض واهتز الفضاء بأسوق
جزى الله خيراً من إمام وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائح في أكمامها لم تفتق
وكنت نشرت العدل بالبر والتقى وحلم صليب الدين غير مروق
فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
أمين النبي حبه وصفيه كساه المليك جبة لم تمزق
من الدين والإسلام والعدل والتقى وبابك عن كل الفواحش مغلق
ترى الفقراء حوله في مفازة شباعاً رواء ليلهم لم يروق

قالت : ثم انصرفنا فلم نر شيئاً . قال الناس : هذا مزرد . ثم أقبلنا حتى انتهينا إلى المدينة فوثب إليه أبو لؤلؤة الخبيث فقتله فوالله إنه لمسجى بيننا إذ سمعنا صوتاً في جانب البيت لا ندري من أين يجيء :

لبيك على الإسلام من كان باكياً فقد أوشكوا هلكى وما قرب العهد
وأدبرت الدنيا وأدبر خيرها وقد ملها من كان يوقن بالوعد

فلما ولي عثمان لقي مزرداً فقال : أنت صاحب الأبيات ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما قلتهن . قال : فيرون أن بعض الجن رثاه . وقال أبو بكر بن محمد : حدثنا يحيى الساجي ، حدثنا عبدة بن عبد الله ، حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا مسعر عن عبد الملك بن عمير عن الصقر بن عبد الله عن عروة عن عائشة رضي الله

عنها قالت : بكت الجن على عمر بن الخطاب قبل أن يقتل بثلاث فقالت :

جزى الله خيراً من أمير وباركت ... يد الله في ذاك الأديم الممزق
وليت أموراً ثم غادرت بعدها ... بوائح في أكمامها لم تفتق
فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ... ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
وما كنت أخشى أن تكون وفاته ... بكفي سليف أزرق العين مطرق
فيا لقتيل بالمدينة أظلمت ... له الأرض واهتز الفضاء بأسوق
فلقاك ربي في الجنان تحية ... ومن كسوة الفردوس لا تتخرق

ورواه عباس الدوري عن محمد بن بشر فذكره .

* * *

الباب الرابع والسبعون

في نوحهم على عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن عتاب أبو بكر الأعين ، حدثنا أبو عاصم النبيل عن عثمان بن مرة عن أمه قالت : لما قتل عثمان بن عفّان ناحت الجن عليه فقالوا :

ليلة للجن إذ ... يرمون بالصخر الصلاب
ثم قاموا بكرة ... ينعون صقراً كالشهاب
زينهم في الحين والمجـ ... ـلس فكاك الرقاب

* * *

الباب الخامس والسبعون

في نوحهم على بعض من أصيب بصفين

قال القرشي : حدثني العباس بن هشام، حدثني ابن مسعر بن كدام عن أبيه قال : قتل رجل من بني عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين فسمعوا نائحة من الجن وهي تقول :

ألا فاسألوا العمرين عن صاحب الجمل ... فتى غير مسهام ولا طائش وكل
يكر الركائب في المكاره كلها ... ويعلم أن الأمر منقطع الأمل

رأي المؤلف وتعليقه :

قلت : كانت وقعة صفين في سنة سبع وثلاثين من الهجرة ولا حاجة بنا إلى ذكر ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

* * *

الباب السادس والسبعون

في إعلامهم بوفاة علي بن أبي طالب

قال أبو بكر بن محمد : حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير ، حدثنا الحارث بن مرة ، حدثنا عمر بن عامر السلمي قال : عاتب صاحب شرطة معاوية ابناً له حتى أخرجه من البيت ثم قام حتى أغلق الباب بينه وبينه وابنه في الصفة فأرق الفتى من سخط أبيه ، فبينما هو كذلك إذ منادٍ ينادي على الباب : يا سويد . فقال الفتى : والله ما في دارنا سويد حر ، ولا عبد . قال : فانخرط لنا سنور أسود من شرجع لنا في الصفة . قال : فأتى الباب . قال : من هذا ؟ قال : أنا فلان . قال : من أين جئت ؟ قال : من العراق . قال : فما حدث فيها ؟ قال : قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قال : فهل عندك شيء تطعمنيه فإني جوعان ؟ فقال : والله لقد خمروا آنيتهم وسموا عليها غير أن ههنا سفوداً شووا عليه شواية لهم وعليه ضر فهل لك فيه ؟ قال : نعم . قال : فجاء سويد بالسفود . قال : والسفود مسند في زاوية البيت . قال : فغمض الفتى عينيه فأخذ سويد السفود فأخرجه إليه من ذلك الباب . قال : فعرقه حتى سمعت عرقه إياه . قال : ثم جاء به فأسنده على زاوية الصفة . قال : فقام الفتى فضرب على أبيه الباب حتى أيقظه فقال : من هذا ؟ قال : فلان . قال : اخرج إليّ . قال : لا . قال : إنه حدث أمر عظيم . قال : ففتح له . قال : فحدثه الحديث . قال : اسرج لي ، فأسرج له فأتى باب معاوية فطلب الإذن حتى وصل إليه فحدثه الحديث . قال : من سمع هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين سمعه ابن أخيك . قال : وهو معك ؟ قال : نعم . قال : فأدخله ، فأدخله عليه فحدثه الحديث . قال فكتب تلك الساعة وتلك الليلة فكان كذلك والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

الباب السابع والسبعون

في نوحهم على الحسين بن علي رضي الله عنهما

قال ابن أبي الدنيا : حدثنا منذر بن عمار الكاهلي ، أنبأنا عمرو بن المقدام ، أنبأنا الجصاصون أنهم كانوا يسمعون نوح الجن على الحسين :

مسح النبي جبينه فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قريـ ـش وجده خير الجدود

وقال عباس الدوري : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أم سلمة قالت : ناحت الجن على الحسين بن علي رضي الله عنهما . قال ابن أبي الدنيا : حدثني سويد بن سعيد ، حدثنا عمرو بن ثابت عن حبيب بن أبي ثابت عن أم سلمة قالت : ما سمعت نوح الجن على أحد منذ قبض النبي ﷺ حتى قتل الحسين فسمعت جنية تنوح :

ألا يا عين فاحتفلي بجهد ومن يبكي على الشهداء بعدي
على رهط تقودهم المنايا إلى متجبر في الملك عند

حدثني محمد بن عباد بن موسى ، حدثنا هشام بن محمد ، حدثني ابن حيزوم الكلبي عن أمه قالت : لما قتل الحسين سمعت منادياً في الجبال :

أيها القوم القاتلون حسيناً أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعو عليكم من نبي ومالك وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داو د وموسى وحامل الإنجيل

* * *

الباب الثامن والسبعون

في نوحهم على الشهداء بالحرة

قال عبد الله بن محمد : حدثنا أبو زيد النميري ، حدثني أبو غسان محمد بن يحيى الكناني حدثني بعض آل الزبير قال : لما قتل أهل الحرة هتف هاتف بمكة على أبي قبيس :

قتل الخيار بنو الخيا ر ذوو المهابة والسماح
الصائمون القائمو ن القانتون أولو الصلاح

المهتدون المتقو ن السابقون إلى الفلاح
ماذا بواقم والبقيـ ـع من الجحا جحة الصباح
وبقاع يثرب ويحـ ـهن من النوائح والصياح

فقال ابن الزبير لأصحابه : يا هؤلاء قد قتل أصحابكم فإنا لله وإنَّا إليه راجعون .

رأي المؤلف وتعليقه :

قلت : كانت وقعة الحرة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين على باب طيبة واستشهد فيها خلق كثير ، وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم . قال خليفة : فجميع من أصيب من قريش والأنصار ثلاثمائة وستون . وروي أن رسول الله ﷺ وقف على الحرة وقال : ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار أمتي بعد أصحابي . وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية وأخرجوا مروان بن الحكم وبني أمية ، وأَمَّروا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل ، ولم يوافق أهل المدينة أحد من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا فيهم فجهز إليهم يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة فأوقع بهم .

قال السهيلي : وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف . قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي : هذا خسف ومجازفة . والحرة التي يعرف بها هذا اليوم يقال لها : حرة زهرة ، وعرفت حرة زهرة بقرية كانت لبني زهرة قوم من اليهود . قال الزبير في فضائل المدينة : كانت قرية كبيرة في الزمن القديم وكان فيها ثلاثمائة صانع وكان يزيد قد أعذر إلى أهل المدينة وبذل لهم من العطاء أضعاف ما يعطي الناس ، واجتهد في استمالتهم إلى الطاعة والتحذير من الخلاف ولكن أبى الله إلاّ ما أراد : ﴿ **فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ [البقرة : ١١٣] .

* * *

الباب التاسع والسبعون

في إخبار الجن بوفاة عمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد

قال شكر الهروي : حدثنا محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن عاصم بن عمرو بن عبد العزيز ، حدثني مؤمل بن إياب ، حدثنا إسماعيل بن داود

المخراق ، حدثنا الماجشون قال : خرجت بمكة في ليلة وإذا أنا بكلب يعدو حتى دخل في وسط كلاب فقال : أتضحكن وتلعبن وقد مات الليلة عمر بن عبد العزيز ؟ قال : فانجفلت ومررت فحسبنا تلك الليلة فوجدنا عمر بن عبد العزيز قد مات .

قال الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور في ترجمة هارون الرشيد قال : سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول : سمعت إبراهيم بن عبد الله السعدي يقول : صعدت المئذنة لأؤذن فوقفت أنتظر الصبح فإذا شبه كلب في ناحية الري مستقبله مثله من الناحية الأخرى . فقال أحدهما لصاحبه : سويق . فقال : بليق . فقال : إيش الخبر ؟ قال : توفي أمير المؤمنين فنزلت وكتبت فإذا هارون مات في تلك الليلة .

قلت : توفي هارون بطوس ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ومكث خليفة ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً وعمره سبع وأربعون سنة والله أعلم .

* * *

الباب الموفي ثمانين
في بكاء الجن أبا حنيفة رحمه الله

قال أبو القاسم عبد الله بن أبي العوام السعدي : أخبرنا أسامة بن أحمد بن أسامة أبو سلمة ، حدثنا الحسن بن منصور النيسابوري ، حدثنا محمد بن منصور الملائي ، حدثنا أبو عاصم الرقي ، حدثنا الخليجي أن الجن بكت أبا حنيفة ليلة مات وكانوا يسمعون الصوت ولا يرون الشخص :

ذهب الفقه فلا فقه لكم فاتقوا الله وكونوا خلفا
مات نعمان فمن هذا الذي يحيي الليل إذا ما سدفا

وكانت وفاة أبي حنيفة سنة خمسين ومائة ببغداد .

* * *

الباب الحادي والثمانون
في نوحهم على وكيع بن الجراح

قال عباس الدوري في تاريخه : حدثنا أصحابنا عن وكيع أنه خرج إلى مكة

وكـانوا إذ ذاك يخـرجون في الصيف فجعـل أهله يسمعون النـوح في دارهم وكـانت دارهم قـوراء كبيرة فجعلوا لا يشكـون أن النـوح من دارهـم فـاستيقظ عيـالـه فجعلوا يسمعون النوح ، فلما قضى الناس الحج وقدموا سألهم الناس عن وكيع متى مات ؟ فقالوا : في ليلة كذا وكذا فإذا هي الليلة التي سمعوا النوح فيها .

قلت : كان وكيع إماماً حافظاً واعياً للعلم يصوم الدهر ويختم القـرآن كل ليلة مع خشوع وورع وكـان يفتي بقول أبي حنيفـة وسمع منـه كثيراً ، وتـوفي سنة سبع وتسعين ومائة عن ثمان وستين سنة ، وله أخبار رحمه الله وترجمته كبيرة .

حكى الـزمخشري أنـه حج أربعين حجـة ، ورابط في عبـادان أربعين ليلة ، وختم بها القرآن أربعين ختمـة ، وروى أربعة آلاف حـديث ، وتصدق بـأربعين ألفاً وما رؤي واضعاً جنبه والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الثاني والثمانون

في نوحهم على الخليفة المتوكل

قال أبو بكـر بن أبي الدنيـا : حدثنـا عبد الله بن عمـرو ، حدثني المؤمـل بن حمـاد الكلبي ، حدثني عمـرو بن شيبان قـال : كنت ليلة قتل المتـوكـل في منـزلي بالشام ولم أعلم أنها الليلة التي قتل فيها جعفر فلم أشعر إلَّا وهاتف يهتف في زوايا الدار يقول :

يـا نـائم الليـل في جثمـان يقـظان ... أفض دمـوعك يـا عمـرو بن شيبـانِ

ففزعت لذلك ثم إني نمت فأعاد الصوت فمـا زال على هذا ثـلاث مرار كـأنه يفهمني . فقلت للجارية : أعطيني دواة وقرطاساً فوضعته بجنبي فاندفـع يقول : يـا نائم الليل البيت :

أما ترى العصبـة الأنجاس مـا فعلوا ... بـالهـاشمي وبـالفتح بن خـاقـان

وافى إلى الله مـظلومـاً فعـج لـه ... أهـل السمـوات من مثنى ووحـدان

فـالطيـر سـاهمـة والغيث منحبس ... والـنيـت منـتقص فـي كـل أبـان

والسعـر ينقض والأنـهـار يـابسـة ... والأرض هـامـدة في كـل أوطـان

وسـوف تـأتيكم أخـرى مسـومـة ... تـوقعـوهـا لهـا شـأن من الشـان

فـابكوا على جعفـر وارثـوا خليفتكم ... فقـد بكـاه جميـع الإنس والجـان

قال عبد الله بن محمد : حدثني ميسرة بن حسان ، حدثني جعفر بن مسعدة قال : كنت بسامرا بعد قتل المتوكل فأريت في النوم كأن قائلاً يقول :

لقد خلوك وانصدعوا	فما ألووا وما ربعوا
ولم يوفوا بعهدهم	فتبّاً للذي صنعوا
ألا يا معشر الموتى	إلى من كنتم تقعوا
لنطلبها فإن القلـ	ـب قد أودى به وجع
ولم نعرف لكم خبراً	فقلبي حشوه الجزع

قال : فبكيت في نومي أشد البكاء فانتبهت وقد حفظت الأبيات فقال لي صاحب لي كان معي : ما قصتك ؟ ما زلت سائر ليلتك تبكي في نومك .

قلت : المتوكل على الله هو جعفر أبو الفضل بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن موسى الهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور قتل في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ، وكانت مدة خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام وسنه أربعون سنة أباؤه كلهم خليفة ، وكذلك أخواه المعتز بالله والمعتمد على الله رضي الله تعالى عنهم .

* * *

الباب الثالث والثمانون
في بيان هل الجن كلهم منظرون

قال أبو الشيخ في النوادر : حدثنا عبد الرحمن بن داود ، حدثنا أحمد بن عبد الوهاب ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا أبو معشر ، حدثنا عيسى بن أبي عيسى قال : بلغ الحجاج بن يوسف أن بأرض الصين مكاناً إذا أخطأوا فيه الأرض سمعوا صوتاً يقول : هلم الطريق ولا يرون أحداً ، فبعث ناساً وأمرهم أن يتخاطوا الطريق عمداً فإذا قالوا لكم : هلموا الطريق فاحملوا عليهم فانظروا ما هم ففعلوا ذلك . قال : فدعوهم . فقالوا : هلموا الطريق فحملوا عليهم فقالوا : إنكم لن ترونا . فقالوا : منذ كم أنتم ههنا ؟ قالوا : ما نحصي السنين غير أن الصين خربت ثماني مرار وعمرت ثماني مرار ونحن ههنا .

ورواه أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروي المعروف بشكر في كتاب

(العجائب) . فقال : حدثنا عباس الدوري ، حدثنا محمد بن بكار ، حدثنا أبو معشر فذكره . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا زكريا بن الحارث بن ميمون العبدي ، حدثنا معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة قال : قال الحسن : الجن لا يموتون . قال : قلت : قال الله تعالى : ﴿ **أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس** ﴾ [الأحقاف: ١٨].

قلت : ومعنى قول الحسن: إن الجن لا يموتون أنهم منظرون مع إبليس فإذا مات ماتوا معه . وظاهر القرآن يدل على أن إبليس غير مخصوص بالإنظار إلى يوم القيامة ، وأما ولده وقبيله فلم يقم دليل على أنهم منظرون معه . وظاهر قوله تعالى : ﴿ **فإنك من المنظرين** ﴾ [الحجر: ٣٧]، يدل على أن ثم منظرين غير إبليس ، وليس في القرآن ما يدل على أن المنظرين هم الجن كلهم فيحتمل أن يكون بعض الجن منظرين ، وأما كلهم فلا دليل عليه . وقد قدمنا في أمر الجن الوافدين على رسول الله ﷺ أخباراً تدل على موتهم ، وكذلك في غضون الأبواب المتقدمة . وقد صرح ابن عباس بذلك وأن إبليس مخصوص بالإنظار .

قال أبو الشيخ في كتاب (العظمة) : حدثنا الوليد ، حدثنا العباس بن حمدان ، حدثنا مؤمل ، حدثنا إسماعيل عن الجريري عن حبان عن زرعة بن ضمرة قال : قال رجل لابن عباس : أتموت الجن ؟ قال : نعم غير إبليس . قال : فما هذه الحية التي تدعى الجان ؟ قال : هي صغار الجن . وقال ابن شاهين في غرائب السنن : حدثنا عثمان بن هارون ، حدثنا فضيل بن كثير بن دينار ، حدثنا عكرمة عن ابن عباس قال : إن الدهر يمر بإبليس فيهرم ثم يعود ابن ثلاثين . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا إبراهيم بن راشد ، حدثنا داود بن مهران ، حدثنا حماد بن شعيب عن عاصم الأحول قال : سألت الربيع بن أنس فقلت : أرأيت هذا الشيطان الذي مع الإنسان لا يموت ؟ قال : وشيطان واحد هو أنه ليتبع الرجل المسلم في الفتنة مثل ربيعة ومضر . قال ابن أبي الدنيا : حدثنا زكرياء بن الحارث بن ميمون العبدي ، حدثنا معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن عبد الله بن الحارث قال : الجن يموتون ، ولكن الشيطان بكر البكرين لا يموت . قال قتادة : أبوه بكر وأمه بكر وهو بكرهما . وأورده أبو الشيخ في كتاب : (العظمة) فقال : حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا معاذ فذكره والله أعلم .

حشر الجن :

فصل في حشر الجن : قال الله تعالى : ﴿ **ويوم نحشرهم جميعاً** ﴾ [الأنعام:٢٢]، الآية . روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : يحشر الله تعالى الجن والإنس في الأرض التي قد مدت مد الأديم العكاظي ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي وينزل سبط من الملائكة فيطوفون بالإنس والجن . ثم ينزل سبط ثان فيطوفون بالملائكة ، ثم ثالث ، ثم ذكر السادس . ذكره إمام الحرمين في الشامل .

قال : ومن صحيح الأخبار أن الأرض إذا زلزلت وسير جبالها فتحاول الجن النفوذ من أقطار السماوات فيلقون ثمانية عشر صفاً من الملائكة حراساً فيضربون وجوههم ويقولون إليكم : ﴿ **لا تنفذون إلَّا بسلطان** ﴾ [يونس:٢٨]. قال : وهذا الحديث أورده الضحاك في تفسيره وغيره والله سبحانه وتعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

الباب الرابع والثمانون
في أن إبليس هل كان من الملائكة

قال أبو الوفا علي بن عقيل في كتاب (الإرشاد) : إن قيل لك إبليس كان من الملائكة أم لا ؟ **فقل** : من الملائكة خلافاً لبعض أصحابنا . وبهذا قال أبو بكر عبد العزيز : لأن الباري سبحانه قال : ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلَّا إبليس** ﴾ ، والاستثناء لا يكون من غير الجنس . هذا هو المشهور في لغة العرب بدلالة أنه لا يحسن قول القائل : فتح الخبازون إلَّا فرناً ، ويريدون فلاناً الحداد . ولا يحسن أن يقول : رأيت الناس إلَّا حماراً ، وإن استدل مستدل على جوازه بقول القائل :

وبلدة ليس بها أنيس   إلَّا اليعافير وإلَّا العيس

فقل : اليعافير والعيس من جنس ما يؤنس به ، وإنما استثناهما من الإيناس لا من غير ذلك لأنه لم يجز لغير الأنيس ذكر لا آدمي ولا جني ولا غير ذلك . قال : والذي يدل على صحة هذا وأنه من الملائكة أنه لو لم يكن منهم لما حسن لومه وسبه بامتناعه لأن له أن يقول : أمرت، وقد كان مناظراً على ما هو أقل من هذا ، فلما عدل إلى قوله : ﴿ **أنا خير منه** ﴾ ، علم أنه انصرف الأمر إليه ، ولهذا لو نادى السلطان لا يفتح البزازون ففتح الخبازون لم يحسن لومهم لأنهم لم يدخلوا تحت

النهي . فإن قالوا : فقد خصه باسم . فقال : إلاَّ إبليس كان من الجن . قيل : الجن نوع من الملائكة يقال لهم : الجن كما يقال : الكروبيون والروحانيون والخزنة والزبانية وهم كلهم جنس واحد يشتمل على أنواع كالآدميين زنج وعرب وعجم ، فلو قال قائل : أمرت عبيدي كلهم بالطاعة فأطاعوا إلاَّ فلاناً فإنه كان من الزنج فعصاني ، لم يدل على أن عبده الزنجي لا يشارك عبيده في الجنسية وإن فارقهم في النوعية . انتهى . وقال أبو يعلى : رأيت في تعليقات أبي إسحاق بن شاقلا يقول : سمعت الشيخ يعني أبا بكر وقد سئل عن إبليس أمن الملائكة ؟ فقال : أمر بالسجود فلولا أن إبليس منهم ما كان مأموراً . قال أبو إسحاق : فقلت : أجمعنا أن الملائكة لا تتناكح ، ولا لها ذرية . وقد كان لإبليس ذرية دل على أنه من غيرها وظاهر كلامٍ أبي بكر عبد العزيز أنه من جملة الملائكة . وقد صرح أبو بكر في كتاب : (التفسير) أنه من الملائكة ، وحكى الاختلاف فيه وأنه لو لم يكن من الملائكة خرج عن أن يكون مأموراً بالسجود لأن السجود انصرف إلى الملائكة ، وقد أجمعنا على أنه كان مأموراً به وهو قول الأكثر من المفسرين : ابن عباس وغيره ، وقول ابن مسعود وجماعة من الصحابة وسعيد بن المسيب وآخرين وبه قال جماعة من المتكلمين . قال أبو القاسم الأنصاري وهو مذهب شيخنا أبي الحسن . وظاهر كلام أبي إسحاق أنه ليس من الملائكة وأنه من الجن لأنه اعترض على أبي بكر بالدليل وهو قول أبي الحسن البصري. قال الحسن البصري : لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين . قال أبو يعلى : فإن قيل فقد قال تعالى : ﴿ **إلاَّ إبليس كان من الجن** ﴾ ، قال : قبل هذا إخبار عما كان مستتراً فيه من معصية الله عزَّ وجلَّ ومخالفة أمره لأن اشتقاق الجن من الاستتار ومنه قوله في الجنين جنين لاستتاره في بطن أمه ، ومنه سمي المجنون مجنوناً لأنه قد ستر بالخبال عقله . وجواب آخر وهو أن أبا بكر قد ذكره في كتاب : (التفسير) في كتابه عن ابن عباس وابن مسعود جعل إبليس على ملك سماء الدنيا ، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم : الجن ، وإنما سموا الجن لأنهم خزان الجنة ، وكان إبليس مع ملكه خازناً . وأما ما احتج به أبو إسحاق من أن إبليس له الشهوة ، فقد حدثت له الشهوة بعد أن محي من ديوانهم ، كما حدثت الشهوة في هاروت وماروت بعد أن هبطا إلى الأرض . وقيل : إنهما هويا امرأة وقد كانا ملكين وإذا ثبت أنه من الملائكة وأنه محي من ديوانهم لما كان منه من العصيان ، وكذلك هاروت وماروت . انتهى .

رأي المؤلف :

قلت : وقد ذكر الطبري في تاريخه قول ابن عباس فقال : حدثنا القاسم بن الحسن ، حدثنا الحسين بن داود ، حدثني حجاج عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : كان إبليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض . وبه عن ابن جريج عن صالح مولى التوأمة وشريك بن أبي نمر أحدهما أو كلاهما عن ابن عباس قال : إن من الملائكة قبيلة من الجن كان إبليس منها وكان يسوس ما بين السماء والأرض . حدثني موسى بن هارون الهمداني ، حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط بن نصر عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ جعل إبليس ملك سماء الدنيا ، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم : الجن ، وإنما سموا الجن لأنهم خزان الجنة ، وكان إبليس مع ملكه خازناً . وقال أبو بكر القرشي : حدثنا إبراهيم بن سعيد ، حدثنا نصر بن علي ، حدثنا نوح بن قيس عن أبي يسر بن جزور عن قتادة قال : كان إبليس عاشر عشرة من الملائكة على الريح .

قال الطبري : حدثنا أبو كريب عثمان بن سعيد ، حدثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال : كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم : الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة . قال : وكان اسمه الحارث يعني بالعربية . قال : وكان خازناً من خزان الجنة . قال : وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي . قال : وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبت . قال : وخلق الإنسان من طين فأول من سكن الأرض بنو الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً فبعث الله تعالى إليهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزاير البحور وأطراف الجبال ، فلما فعل إبليس ذلك اغتر في نفسه وقال : قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد . قال : فاطلع الله على ذلك من قلبه ولم يطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه .

قلت : ويدل على قول ابن شاقلا ما رواه ابن أبي الدنيا عن علي بن محمد بن إبراهيم : حدثنا أبو صالح ، حدثني معاوية بن صالح أن العلاء بن

الحارث حدثه عن ابن شهاب أنه سئل عن إبليس قال : إبليس من الجن وهو أبو الجن ، كما أن آدم من الناس وهو أبو الناس والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

الباب الخامس والثمانون

في أن إبليس هل كلمه الله تعالى أم لا

قال ابن عقيل : إن قال لك قائل هل كلم الله تعالى إبليس من غير واسطة فقد اختلف العلماء في ذلك أعني الأصوليين . فقال المحققون منهم : لم يكلمه . قال : وقال بعضهم : بل كلمه . والصحيح أنه لا يجوز أن يكون كلمه كفاحاً ، وإنَّما يكون على لسان ملك لأن كلام الباري لمن كلمه رحمة ورضى وتكرم وإجلال ، ألا ترى أن نبياً من الأنبياء فضل بذلك على سائر الأنبياء ما عدا الخليل محمداً ﷺ وجميع الآي الواردة محمولة على أنه أرسل إليه بملك يقول . . فإن قيل : أليس رسالته تشريفاً وقد كانت لإبليس على غير وجه التشريف . كذلك يكون كلامه تشريفاً لغير إبليس ولا يكون تشريفاً لإبليس . قيل : مجرد الإرسال ليس بتشريف وإنما يكون لإقامة الحجة بدلالة أن موسى عليه السلام أرسله إلى فرعون وهامان ، ولا شرف لهما ولا قصد إكرامهما وإعظامهما لعلمه بأنهما عدوان له وكلامه إياه تشريفاً له . قالوا : لما قال للملائكة : ﴿ **اسجدوا** ﴾ ، هل كان مخاطباً معهم أم لا ؟ قيل : يجوز أن يدخل في عموم النطق ، ولا يخص بذلك بدلالة أنه سبحانه شرف نبيه بتخصيصه على سائر الأمم فلم يبلغوا بخطاب العموم خطابه الخاص ، ويجوز أيضاً حمل خطابه وأمره بالسجود الخاصة من الملائكة كفاحاً ولإبليس بالإرسال ويكون اللفظ عاماً مطلقاً والمعنى مفصلاً كما يقال : أمر السلطان رعيته بالخدمة لزيد وإن كانوا مختلفين في مراتب أمره بعضهم شافهه وبعضهم أرسل إليه . قالوا : كيف يجعل غضبه عليه وكونه عاصياً حجة في عدم كلامه وقد أخبر سبحانه بأنه يكلم من هذا حاله ؟ فقال : ويوم يناديهم فيقول : ﴿ **أين شركائي الذين كنتم تزعمون** ﴾ ، ﴿ **قال اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ . ولأن الكلام بالغضب والعذاب لا يكون تشريفاً بل انتقاماً كالملك إذا شتم خادمه وضربه وأمر بقتله ، لا يقال : قد أكرمه . قيل : كلام العالي تشريف لمن يكلمه وإن كان وعيداً ، فلهذا لا يكلم السلطان من غضب عليه ولعنه بنفسه ، فأما السقاط والحارس فإنه يكل ذلك إلى خدمه ورعيته . وقد نبه سبحانه على ذلك وأن كلامه يشرف به المخاطب فقال

سبحانه : ﴿ ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ﴾ [آل عمران: ٧٧] ، وقال تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاَّ وحياً ﴾ [الشورى: ٥١] ، وهذا يدل على ما ذكرت . وأما قولهم : ويوم يناديهم ، فالمراد يناديهم على لسان بعض ملائكته إرسالاً بدلالة الآية الثانية وهي قوله سبحانه : ﴿ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ﴾ [البقرة: ١٧٤]. ولو كان النداء هناك الكلام لكان القرآن متناقضاً ، ونحن نجمع بين الآيتين فنقول : يناديهم ببعض ملائكته ، ولا يكلمهم بنفسه . ولهذا يقال : قد نادى السلطان في البلد بمعنى أمر منادياً فنادى لا أنه نادى بنفسه والله تعالى أعلم .

* * *

الباب السادس والثمانون

في خطأ إبليس في دعواه أنه خيرٌ من آدم عليه السلام وتعليله بأنه خلق من نار

اعلم أن هذه الشبهة التي ذكرها إبليس إنما ذكرها على سبيل التعنت وإلاَّ فامتناعه من السجود لآدم إنما كان عن كبر وكفر ومجرد إباء وحسد . ومع ذلك فما أبداه من الشبهة ، فهو داحض لأنه رتب على ذلك أنه خير من آدم لكونه خلق من نار وآدم خلق من طين ورتب على هذا أنه لا يحسن منه الخضوع لمن دونه ومن هو خير منه وهذا باطل من وجوه :

الأول : أن النار طبعها الفساد وإتلاف ما تعلقت به بخلاف التراب .

الثاني : أن النار طبعها الخفة والطيش والحدة ، والتراب طبعه الرزانة والسكون والثبات .

الثالث : أن التراب يتكون فيه ومنه أرزاق الحيوان ، وأقواتهم ولباس العباد وزينتهم وآلات معايشهم ومساكنهم ، والنار لا يكون فيها شيء من ذلك .

الرابع : أن التراب ضروري للحيوان لا يستغني عنه البتة ، ولا عما يتكون فيه ومنه ، والنار يستغني عنها الحيوان البهيم مطلقاً ، وقد يستغني عنها الإنسان الأيام والشهور فلا يدعوه إليها ضرورة .

الخامس : أن التراب إذا وضع فيه القوت أخرجه أضعاف أضعاف ما وضع فيه ؛ فمن بركته يؤدي ما استودعته فيه إليك مضاعفاً ، ولو استودعته النار لخانتك وأكلته ولم تبق ولم تذر .

السادس : أن النار لا تقوم بنفسها بل هي مفتقرة إلى محل تقوم به يكون حاملاً لها ، والتراب لا يفتقر إلى حامل ، فالتراب أكمل منها لغناه وافتقارها .

السابع : أن النار مفتقرة إلى التراب وليس التراب مفتقراً إليها . فإن المحل الذي تقوم به النار لا يكون إلاّ متكوناً أو فيه من التراب ، فهي الفقيرة إلى التراب وهو الغني عنها .

الثامن : أن المادة الإبليسية هي المارج من النار وهو ضعيف تتلاعب به الأهوية فيميل معها كيفما مالت ، ولهذا غلب الهوى على المخلوق منه فأسره وقهره . ولما كانت المادة الآدمية هي التراب وهو قوي لا يذهب مع الهواء أينما ذهب قهر هواه وأسره ورجع إلى ربه فاجتباه واصطفاه وكان الهواء الذي مع المادة الآدمية عارضاً سريع الزوال فزال وكان الثبات والرزانة أصلياً له فعاد إليه ، وكان إبليس بالعكس من ذلك فعاد كل منهما إلى أصله وعنصره آدم إلى أصله الطيب الشريف واللعين إلى أصله الرديء .

التاسع : أن النار وإن حصل منها بعض المنفعة والمتاع فالشر كامن فيها لا يصدها عنه إلاّ قسرها وحبسها ، ولولا القاسر والحابس لها لأفسدت الحرث والنسل أما التراب فالخير والبركة كامن فيه كلما أثير وقلب ظهرت بركته وخيره وثمرته فأين أحدهما من الآخر .

العاشر : أن الله تعالى أكثر ذكرها في كتابه وأخبر عن منافعها وخلقها وأنه جعلها مهاداً وفراشاً وبساطاً وقراراً أو كفات للأحياء والأموات ودعا عباده إلى التفكر فيها والنظر في آياتها وعجائبها وما أودع فيها . ولم يذكر النار إلاّ في معرض العقوبة والتخويف والعذاب إلاّ في موضع أو موضعين ذكرها فيه بأنها تذكرة ومتاع للمقوين تذكرة بنار الآخرة ومتاع لبعض أفراد الناس وهم المقوون النازلون بالقرى ، وهي الأرض الخالية إذا نزلها المسافر يمنع بالنار في منزله . فأين هذا من أوصاف الأرض في القرآن .

الحادي عشر : أن الله تعالى وصف الأرض بالبركة في غير موضع من كتابه خصوصاً ، وأخبر أنه بارك فيها عموماً فقال تعالى : ﴿ **أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين** ﴾ ، إلى أن قال : ﴿ **وبارك فيها وقدر فيها أقواتها** ﴾ ، فهذه بركة عامة . وأما البركة الخاصة ببعضها فكقوله تعالى : ﴿ **ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها** ﴾ . وأما النار فلم يخبر أنه جعل فيها بركة أصلاً بل المشهود أنها

مذهبة للبركات ماحقة لها . فأين المبارك في نفسه المبارك فيما وضع فيه إلى مزيل البركة وماحقها .

الثاني عشر : أن الله تعالى جعل الأرض محل بيوته التي يذكر فيها اسمه ويسبّح له فيها بالغدو والآصال عموماً وبيته الحرام الذي جعله قياماً للناس مباركاً وهدى للعالمين خصوصاً فلو لم يكن في الأرض إلاّ بيته الحرام لكفاها ذلك شرفاً وفخراً على النار .

الثالث عشر : أن الله تعالى أودع الأرض من المعادن ، والأنهار ، والعيون ، والثمرات ، والحبوب ، والأقوات ، وأصناف الحيوانات ، وأمتعتها ، والجبال ، والرياض ، والمراكب البهية ، والصور البهيجة ما لم يودع في النار شيئاً منه . فأي روضة وجدت في النار أو جنة أو معدن أو صورة أو عين خرارة أو نهر مطرد أو ثمرة لذيذة .

الرابع عشر : أن غاية النار أنها وضعت خادمة لما في الأرض . فالنار إنما محلها محل الخادم لهذه الأشياء فهي تابعة لها خادمة فقط إذا استغنت عنها طردتها وأبعدتها عن قربها وإذا احتاجت إليها استدعتها استدعاء المخدوم لخادمه .

الخامس عشر : أن اللعين لقصور نظره وضعف بصيرته رأى صورة الطين تراباً ممتزجاً بماء فاحتقره ولم يعلم أن الطين مركب من أصلين : الماء الذي جعل الله تعالى منه كل شيء حياً ، والتراب الذي جعله خزانة المنافع والنعم . هذا ولم يجيء من الطين من المنافع وأنواع الأمتعة . فلو تجاوز نظره صورة الطين إلى مادته ونهايته لرأى أنه خير من النار وأفضل . ثم لو سلم بطريق الفرض الباطل أن النار خير من الطين لم يلزم من ذلك أن يكون المخلوق منها خيراً من المخلوق من الطين فإن القادر على كل شيء يخلق من المادة المفضولة من هو خير ممن خلقه من المادة الفاضلة . فالاعتبار بكمال النهاية لا ينقض المادة . فاللعين لم يتجاوز نظره محل المادة ولم يعبر منها إلى كمال الصورة ونهاية الخلقة والله أعلم .

* * *

الباب السابع والثمانون

في كيفية الوسوسة وما ورد في الوسواس

قال الله تعالى : ﴿ **قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس** ﴾ ، السورة بكاملها .

هـذه السورة مشتملة على الاستعـاذة من الشر الـذي هو سبب الـذنـوب والمعـاصي كلها ، وهو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة . فسـورة الفلق تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو ظلم الغير له بالسحر والحسد ، وهـو شر من خـارج . وسورة النـاس تضمنت الاستعـاذة من الشر الـذي هو سبب ظلم العبـد نفسه فهـو شر من داخـل . فالشر الأول لا يدخل تحت التكليف ولا يطلب منه الكف عنه لأنه ليس من كسبـه . والشر الثاني يدخل تحت التكليف ويتعلق به النهي والوسواس فعلال من وسـوس . وأصل الوسوسة الحركة والصـوت الخفي الذي لا يحس فيحتـرز منه . فـالوسـواس الإلقاء الخفي في النفس . ولما كانت الوسوسة كلاماً يكرره الموسوس ويؤكده عنـد من يلقيه إليه كرر لفظها بإزاء تكرير معناها . واختلف النحاة في لفظ الوسـواس هل هـو وصف أو مصدر على قـولين . وأما الخنـاس ففعال من خنس يخنس إذا تـوارى واختفى ومنـه قول أبي هـريرة : فـانخنست منه وحقيقـة اللفظ اختفاء بعـد ظهـور ، فليست لمجـرد الاختفاء ، ولهـذا وصف بها الكـواكب . وقـولـه : ﴿ **يـوسـوس في صدور الناس** ﴾ ، صفة ثالثـة للشيطان فـذكر وسـوسته أولاً ثم ذكـر محلها ثـانياً في صدور الناس ، وتأمل حكم القـرآن وجلالتـه كيف أوقع الاستعـاذة من شر الشيـطان الموصوف بأنه : ﴿ **الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صـدور الناس** ﴾ . ولم يقـل : من شـر وسـوستـه لتعم الاستعـاذة شـره جميعـه . فـإن قـولـه : ﴿ **من شـر الوسواس** ﴾ ، تعم كل شره ووصفه بأعظم صفاته وأشدها شراً وأقواها تأثيراً وأعمها فساداً . وتأمل السر في قـوله : ﴿ **يـوسوس في صـدور الناس** ﴾ ، ولم يقـل : في قلوبهم . والصدور هي ساحة القلب وبيته ، فمنه تدخل الواردات عليـه فتجتمع في الصـدر ثم تلج في القلب فهـو بمنـزلـة الـدهليـز ، ومن القلب تخـرج الأوامـر ، والإرادات إلى الصـدر ثم تتفـرق على الجنـود ومن فهم هـذا فهم قـولـه تعـالى : ﴿ **وليبتلي الله مـا في صدوركم وليمحص مـا في قلوبكم** ﴾ [آل عمران : ١٥٤] . فـالشيطان يـدخل إلى سـاحة القلب وبيتـه فيلقي ما يـريد إلقـاءه إلى القلب ، فهـو يوسوس في الصدر وسوسته واصلة إلى القلب ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **فوسوس إليـه الشيطان** ﴾ ، ولم يقل فيه ، والله أعلم .

وقال القاضي أبو يعلى : ﴿ **الوسواس** ﴾ يحتمل أن يفعـل كلامـاً خفياً يـدركه القلب، ويمكن أن يكون هو الذي يقع عند الفكر ويكون منه مس وسلوك وذهول في أجزاء الإنسان ويتحفظه، وهذا ظاهر كلام أحمد في رواية بكر بن محمد وهو يتكلم على لسانه خلافاً لبعض المتكلمين في إنكارهم سلوك الشيطان في أجسـام الإنس.

وزعموا أنه لا يجوز وجود روحين في جسد . فإن قيل : كيف يصح سلوكه في الإنسان وتحفظه له وهو من نار ومعلوم أن النار تحرق الآدمي ؟ قيل : النار لا تحرق بطبعها ، وإنما يحدث الله تعالى فيها الإحراق حالاً فحالاً ، فيجوز أن لا يحدث فيها الإحراق في حال سلوكه . فإن قيل : يحمل قوله عليه الصلاة والسلام : يجري من ابن آدم مجرى الدم يعني وساوسه تجري منه هذا المجرى كما قال تعالى : ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل ﴾ [البقرة:٩٣] ، معناه حبه . قيل : لو لم يدخل في جوف الإنسان لم يحس بوسوسة لأنه لا يجوز أن يحس بكلام أو وسوسة خارجة من جسمه إلاّ بصوت يسمعه بأذنه ، وليس للشيطان صوت يسمع فهو بمثابة حديث النفس .

فإن قيل فيقولون : للشيطان سبيل إلى تخبيط الإنسي كما له سبيل إلى سلوكه ووسوسته ، وإنما يراه من الصرع والتخبط ، والاضطراب من فعل الشيطان . قيل : لا نقول ذلك لما بينا من قبل استحالة فعل الفاعل في غير محل قدرته بل ذلك من فعل الله تعالى معه بجري العادة ، فإن كان المجنون قادراً على ذلك كان كسباً له وإن لم يكن قادراً كان مضطراً .

فصل : قال ابن عقيل : فإن قال لك قائل : كيف الوسوسة من إبليس ، وكيف وصوله إلى القلب ؟ قل : هو كلام على ما قيل تميل إليه النفوس والطبع . وقد قيل : يدخل في جسد ابن آدم لأنه جسم لطيف ويوسوس وهو أنه يحدث النفس بالأفكار الردية ، قال تعالى : ﴿ يوسوس في صدور الناس ﴾ . فإن قالوا فهذا لا يصح لأن القسمين باطلان : أما حديثه فلو كان موجوداً لسمع بالآذان ، وأما دخوله في الأجسام ، فالأجسام لا تتداخل ولأنه نار ، فكان يجب أن يحترق الإنسان . قيل : أما حديثه فيجوز أن يكون شيئاً تميل إليه النفس كالساحر الذي يتوخى النفث إلى المسحور وإن لم يكن صوتاً . وأما قوله : لو أنه دخل فيه لتداخلت الأجسام ولاحترق الإنسان ، فغلط لأن الجن ليسوا بنار محرقة وإنما هم خلقوا من نار في الأصل . وأما قولك : إن الأجسام لا تتداخل فالجسم اللطيف يجوز أن يدخل إلى مخارق الجسم الكثيف كالروح عندكم أو الهواء الداخل في سائر الأجسام والجن جسم لطيف .

فصل : وقوله : ﴿ من الجنة والناس ﴾ [الناس:٦]، اختلف الناس في هذا الجار والمجرور بماذا يتعلق ؟ فقال الفراء وجماعة : هو بيان للناس الموسوس في صدورهم . والمعنى : ﴿ يوسوس في صدور الناس ﴾ ، الذين هم من الجن

والإنس أي الموسوس في صدورهم قسمان : إنس وجن . فالوسواس يوسوس للجني ، كما يوسوس للإنسي ، وهذا ضعيف جداً لوجوه :

أحدها : أنه لم يقم دليل على أن الجن يوسوس في صدر الجني ويدخل فيه ، كما يدخل في الإنسي ويجري منه مجراه من الإنسي . فأي دليل يدل على هذا حتى يصح حمل الآية عليه ؟

الثاني : أنه فاسد من جهة اللفظ أيضاً فإنه قال : ﴿ **الذي يوسوس في صدور الناس** ﴾ ، فكيف يبين الناس بالناس ؟ أفيجوز أن يقال : في صدور الناس الذين هم من الناس وغيرهم ؟ هذامما لايجوز ، ولا هو استعمال فصيح .

الثالث : أن يكون قد قسم الناس إلى قسمين : جنة وناس ، وهذا غير صحيح ، فإن الشيء لا يكون قسيم نفسه .

الرابع : أن الجنة لا يطلق عليهم اسم ناس بوجه لا أصلاً ولا اشتقاقاً ولا استعمالاً ولفظهما يأبى ذلك . فإن قيل : لا محذور في ذلك فقد أطلق على الجن اسم الرجال كما في قوله تعالى : ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن** ﴾ . فإذا أطلق عليهم اسم الرجال لم يمتنع أن يطلق عليهم اسم الناس .

قلت : هذا هو الذي غرَّ من قال : إن الناس اسم للجن والإنس في هذه الآية . وجواب ذلك أن اسم الرجال إنما وقع عليهم وقوعاً مقيداً في مقابلة ذكر الرجال من الإنس ، ولا يلزم من هذه أن يقع اسم الناس والرجال عليهم مطلقاً . وأنت إذا قلت : إنسان من حجارة ، أو رجل من خشب ونحو ذلك لم يلزم من ذلك وقوع الرجل والإنسان عند الإطلاق على الحجر والخشب . وأيضاً فلا يلزم من إطلاق اسم الرجل على الجني أن يطلق عليه اسم الناس والآيات أبين حجة عليهم في أن الجن لا يدخلون في لفظ الناس لأنه قابل بين الجنة والناس فعلم أن أحدهما لا يدخل في الآخر . والصواب والله أعلم أن قوله : ﴿ **من الجنة والناس** ﴾ ، بيان للذي يوسوس وأنهم نوعان : إنس وجن . فالجني يوسوس في صدر الإنسي ، والإنسي أيضاً يوسوس إلى الإنسي . فالموسوس نوعان : إنس وجن . والموسوس إليه نوع واحد وهو الإنس . وقد قدمنا أن الوسوسة هي الإلقاء الخفي في القلب وهذا يشترك بين الجن والإنس ، وعلى هذا فتزول تلك الإشكالات . وتدل الآية على الاستعاذة من شر نوعي الشيطان شياطين الإنس والجن وعلى القول الأول تكون الاستعاذة من شر شيطان الجن فقط . وقد دل القرآن على أن من الإنس

شياطين كشياطين الجن كقوله تعالى : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن** ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

فصل : قال أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان السجستاني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد ، حدثنا أبو داود ، حدثنا فرج عن معاوية بن أبي طلحة قال : كان من دعاء النبي ﷺ : اللهم أعمر قلبي من وساوس ذكرك واطرد عني وساوس الشيطان .

حدثنا محمد بن عبد الملك ، حدثنا يزيد أنا روح بن المسيب ، حدثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **الوسواس الخناس** ﴾ . قال : مثل الشيطان كمثل ابن عرس واضع فمه على فم القلب يوسوس إليه فإذا ذكر الله خنس وإن سكت عاد إليه فهو الوسواس الخناس .

حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا داود ، حدثنا فرج عن عروة بن رويم أن عيسى ابن مريم دعا ربه أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم قال : فخلا له فإذا برأسه مثل الحية واضع رأسه على ثمرة القلب ، فإذا ذكر العبد الله خنس برأسه ، وإذا ترك الذكر مناه وحدثه . قال الله تعالى : ﴿ **من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس** ﴾ .

وحكى أبو القاسم السهيلي عن ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز أن رجلاً سأل ربه أن يريه موضع الشيطان منه فأري جسداً ممهى يرى داخله من خارجه والشيطان في صورة ضفدع عند نغض كتفه حذاء قلبه له خرطوم كخرطوم البعوضة ، وقد أدخله إلى قلبه يوسوس ، فإذا ذكر الله العبد خنس . قال الزمخشري قوله : ـ ممهى ـ قلب موه مجعول ماء في رقته وشفيفه . وقيل : مصفى أشبه المها وهو البلور قال السهيلي : وضع خاتم النبي ﷺ عند نغض كتفه لأنه معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن الحارث المقري ، حدثنا سيار بن حاتم ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا عمرو بن مالك البكري سمعت أبا الجوزاء يقول : والذي نفسي بيده إن الشيطان لازم بالقلب ما يستطيع صاحبه أن يذكر الله تعالى . أما ترونهم في مجالسهم وأسواقهم يأتي على أحدهم عامة يومه لا يذكر الله تعالى إلا حالفاً ما له من القلب طرد إلا قوله : لا إله إلا الله ، ثم قرأ : ﴿ **وإذا**

ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم ﴾ . قال الزمخشري : كانت الصحابة رضي الله عنهم تقول : إن الشياطين ليجتمعون على القلب كما يجتمع الذباب فإن لم يذب وقع الفساد .

قال ابن أبي الدنيا : وحدثني الحسين بن السكن ، حدثنا معلى بن أسد ، حدثنا عدي بن أبي عمارة ، حدثنا زياد النميري عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال : « إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس وإن نسي الله التقم قلبه » . حدثنا أبو بكر بن منصور ، حدثنا ابن عفير ، حدثني ابن لهيعة عن أبي قبيل أنه سمع حيوة بن شراحيل من بني سريع يقول : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : إن إبليس موثوق فإذا تحرك فكل شر يكون بين اثنين فصاعداً على وجه الأرض فمن تحريكه . ورواه أحمد بن عبد الله الحافظ عن إبراهيم بن عبد الله . حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا قتيبة بن سعيد عن ابن لهيعة قال : موثق بالأرض السفلى . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو سلمة المخزومي ، حدثنا ابن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول : من خلقك ؟ فيقول : الله تبارك وتعالى . فيقول : من خلق الله ؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل : آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه » .

وقال أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا السجستاني : حدثنا سهل بن محمد أبو حاتم السجستاني ، حدثنا الأصمعي ، حدثني جرير بن عبيد الله عن أبيه قال : كنت أجد من الوسواس شيئاً فسألت العلاء بن زياد ؟ فقال : يا ابن أخي إنما مثل ذلك مثل اللصوص يمرون بالبيت فإن كان فيه خير نالوه ، وإن لم يكن فيه خير طووا عنه . حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاد ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا محمد بن الفضل عن أبيه عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « تعوذوا بالله من وسوسة الوضوء » .

وروى الترمذي من حديث أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال : « إن للوضوء شيطاناً يقال له : الولهان فاتقوا وسواس الماء » . وروى ابن أبي الدنيا بسنده إلى الحسن قال : شيطان الوضوء يدعى الولهان يضحك بالناس في الوضوء . وكان طاووس يقول : هو أشد الشياطين .

وروى أبو داود والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن مغفل عن

رسول الله ﷺ قال : « لا يبولن أحدكم في مستحمه فإن عامة الوسواس منه » . وقال ابن أبي داود : حدثنا أحمد بن يحيى بن مالك ، حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن أبي الحسن قال : كنا نحدث أن الوسواس يعترى منه أو قال : يهيج منه . قال سعيد : ولا أرى بأساً أن يبول عن متعبة . وروى مسلم من حديث عثمان بن أبي العاص قال : قلت : يا رسول الله إنَّ الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي فلبسها علي . فقال ﷺ : « ذاك شيطان يقال له : خنزب فإذا أحسست به فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً . قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني » . وروى مسلم من حديث قال : قال رسول الله ﷺ : إن إبليس قد يئس أن يعبده المصلون ولكن في التحريش بينهم . وفي لفظ : قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب . ورواه أحمد في مسنده من طريق ماعز التميمي وأبي الزبير عن جابر . وقال أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش عن خيثمة عن الحارث بن قيس قال : إذا أتاك الشيطان وأنت تصلي ، فقال : أنت تراني فزدها طولاً . وقال سعيد بن داود : حدثنا مخلد بن الحسين قال : ما ندب الله تعالى العباد إلى شيء إلَّا اعترض إبليس بأمرين ما يبالي بأيهما ظفر : إما غلو فيه ، وإما تقصير عنه . وقال ابن أبي داود : حدثنا عمر بن شبة ، حدثني هارون بن عبد الله ، حدثني ابن أبي حازم عن أبيه قال : أتاه رجل فقال : يا أبا حازم إن الشيطان يأتيني فيوسوس إليّ وأشده عندي أنه يأتيني فيقول : إنَّك طلقت امرأتك . فقال له أبو حازم : أولم تأتني فتطلقها عندي ؟ قال : والله ما طلقتها عندك قط . قال : فاحلف للشيطان كما حلفت لي والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الثامن والثمانون

في إخبار الوسواس بما وقع في قلب ابن آدم

قال ابن أبي داود : حدثنا هارون بن سليمان، حدثنا أبو عامر، حدثنا كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنظب أن عمر بن الخطاب ذكر امرأة في نفسه ولم يبح بها لأحد ، فأتاه رجل فقال : ذكرت فلانة إنها لحسنة شريفة في بيت صدق . قال : من حدثك بهذا ؟ قال : الناس يتحدثون به . قال : فوالله ما بحت به لأحد فمن أين ؟ ثم قال : بلى قد عرفت خرج به الخناس . حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا المستمر بن الريان عن أبي الجوزاء قال : طلقت امرأتي يوم

الجمعة ، وحدثت نفسي أن أراجعها يوم الجمعة الأخرى ولم أخبر بذلك أحداً . فقالت امرأتي : أنت تريد أن تراجعني ؟ فقلت : إن هذا لشيء ما حدثت به أحداً حتى ذكرت قول ابن عباس : إن وسواس الرجل يخبر وسواس الرجل ، فمن ثم يفشو الحديث . حدثني أبي بإسناد ذكره أن الحجاج بن يوسف أتي برجل رمي بالسحر . فقال : أساحر أنت ؟ قال : لا . فأخذ الحجاج كفاً من حصا فعده ثم قال له : في يدي كم من الحصا ؟ قال : كذا وكذا . فطرح الحجاج الحصا ثم أخذ كفاً آخر ولم يعده ثم قال : كم في يدي ؟ قال : لا أدري . قال الحجاج : كيف دريت الأول ولم تدر الثاني ؟ قال : إن ذلك عرفته أنت فعرفه وسواسك فأخبر وسواسك وسواسي ، وهذا لم تعرفه فلم يعرفه وسواسك فلم يخبر وسواسي فلم أعرفه .

حدثنا محمد بن مصطفى ، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن ، حدثنا ثابت بن رسادة اللخمي عن جده عن معاوية بن أبي سفيان أنه أمر كاتبه أن يكتب كتاباً في السر ، فبينما هو يكتب إذ وقع ذباب على حرف من الكتاب فضربه الكاتب بالقلم فانقطع بعض قوائمه فخرج الكاتب فاستقبله الناس على باب القصر . فقالوا : كتب أمير المؤمنين بكذا وكذا . قال : وما علمكم ؟ قالوا : حبشي أقطع خرج علينا فأخبرنا فرجع الكاتب إلى معاوية فقال : يا أمير المؤمنين الذي أمرتني أن أكتبه سراً استقبلني به الناس . قال : وما علمهم ؟ قال : ذكروا لي حبشياً أقطع خرج عليهم فأخبرهم . قال : هو والذي نفسي بيده الشيطان هو الذباب الذي ضربت بالقلم .

* * *

الباب التاسع والثمانون
فيما يدعو الشيطان إليه ابن آدم
وينحصر في ست مراتب

قال أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا أبو عقيل عبد الله السقفي ، حدثنا موسى بن المسيب عن سالم بن أبي الجعد عن سبرة بن أبي فاكهة قالت : سمعت رسول الله ﷺ قال : إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام ، فقال : أتسلم وتذر ذريتك ودين آبائك ؟ قال : فعصاه وأسلم . قال : وقعد له بطريق الهجرة ، فقال : أتهاجر وتذر أرضك وسماك وإنما مثل المهاجر

كالفرس في الطول فهاجر وعصاه . ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهد النفس والمال ، فقال : تقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال ، قال : فعصاه فجاهد . قال رسول الله ﷺ : لمن فعل ذلك منكم كان حقاً على الله أن يدخله الجنة وإن قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، وإن رقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة . وأما المراتب الست :

فالأولى : مرتبة الكفر ، والشرك ، ومعاداة الله تعالى ورسوله . فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه واستراح من تعبه معه هذا أول ما يريده من العبد .

المرتبة الثانية : مرتبة البدعة وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي لأن ضررها في الدين . قال سفيان الثوري : البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن المعصية يتاب منها ، والبدعة لا يتاب منها فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى :

المرتبة الثالثة : وهي الكبائر على اختلاف أنواعها فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى :

المرتبة الرابعة : وهي الصغائر التي إذا اجتمعت ربما أهلكت صاحبها كما قال ﷺ : إياكم ومحقرات الذنوب فإن مثل ذلك مثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض فجاء كل واحد بعود حطب حتى أوقدوا ناراً عظيمة فطبخوا واشتووا . فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى :

المرتبة الخامسة : وهي اشتغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عقابها فوات الثواب الذي فات عليه باشتغاله بها ، فإن عجز عن ذلك نقله إلى :

المرتبة السادسة : وهو أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليستريح عليه الفضلة ويفوته ثواب العمل الفاضل فنعوذ بالله من الشيطان وحزبه .

* * *

الباب الموفي تسعين
في بيان أي أعمال الشر أحب إلى إبليس

قال أبو بكر بن عبيد : حدثنا أحمد بن جميل المروزي ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أنبأنا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى الأشعري قال : إذا أصبح إبليس بث جنوده فيقول : من أضل مسلماً ألبسته التاج . قال : فيقول له القائل : لم أزل بفلان حتى طلق امرأته . قال : يوشك أن

يتزوج . ويقول الآخر : لم أزل بفلان حتى عق . قال : يوشك أن يبر . قال : فيقول القائل : لم أزل بفلان حتى شرب . قال : أنت . قال : ويقول الآخر : لم أزل بفلان حتى زنى . فيقول : أنت . ويقول الآخر : لم أزل بفلان حتى قتل . فيقول : أنت أنت .

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث جابر سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه فيفتنون بين الناس فأعظم فتنة يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا . فيقول : ما صنعت شيئاً . ثم يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا . فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ويقول : نعم أنت .ورواه أحمد في مسنده بنحوه . قولهم : نعم أنت . يروى بفتح النون بمعنى : نعم أنت ذاك الذي تستحق الإكرام ، وبكسرها أي نعم منك . وقد استدل به بعض النحاة على جواز كون فاعل فعل نعم مضمراً وهو قليل .

واختار شيخنا أبو الحجاج الحافظ المزي الأول ورجحه ووجهه بما ذكرنا . وقال الطرطوشي في كتاب (تحريم الفواحش) : حدثنا يزيد بن عبد الله الأصبهاني ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا عبد الرحمن بن واقد ، حدثنا شجاع بن أبي نصر عن رجل من علية أهل الشام قال : قال سليمان بن داود لعفريت من الجن : ويلك أين إبليس ؟ قال : يا نبي الله هل أمرت فيه بشيء ؟ قال : لا . أين هو؟ قال : انطلق يا نبي الله حتى أريكه . فسعى العفريت بين يديه ومعه سليمان حتى هجم به على البحر فإذا إبليس على بساط على الماء ، فلما رأى سليمان عليه السلام ذعر منه وفرق فقام فتلقاه . فقال : يا نبي الله هل أمرت فيّ بشيء ؟ قال : لا . ولكن جئت لأسألك عن أحب الأشياء إليك وأبغضها إلى الله عزَّ وجلَّ ؟ فقال : أما والله لولا ممشاك إليّ ما أخبرتك به ، ليس شيء أبغض إلى الله تعالى من أن يأتي الرجل الرجل والمرأة المرأة والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الحادي والتسعون
في بيان ما يستعين به الشيطان من فتنة ابن آدم

قال أبو بكر بن عبيد : حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا معتمر بن سليمان عن

أبيه قال : حدثنا قتادة عن أبي الأخوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « المرأة عورة وإنها إذا خرجت استشرفها الشيطان فلا يكون أبداً أقرب إلى الله تعالى منها إذا كانت في قعر بيتها » . ورواه عن الحسين بن بحر الأهوازي : حدثنا عمرو بن عاصم ، حدثنا همام ، حدثنا قتادة عن مورق العجلي عن أبي الأخوص عن عبد الله بن مسعود نحوه .

حدثنا محمد بن إدريس ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا حسين بن صالح قال : سمعت أن الشيطان قال للمرأة : أنت نصف جندي ، وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطىء ، وأنت موضع سري ، وأنت رسولي في حاجتي . حدثنا عبيد الله بن جرير العتكي ، حدثنا هزيم بن عثمان ، حدثنا سلام بن مسكين عن مالك بن دينار قال : حب الدنيا رأس الخطيئة والنساء حبالة الشيطان .

حدثني عباس بن جعفر ، حدثني منتجع بن مصعب ، حدثني عبيد بن جريج عن عمرو سمعت مالك بن دينار يقول : ليس شيء أوثق في نفس إبليس من الدنيا . حدثني أبو حفص الصفار ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا شعبة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : ما بعث الله تعالى نبياً إلاَّ لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنساء . وقال أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي بكر في كتاب (القلائد) : حدثنا ابن بكير ، حدثنا أبو زيد ، حدثنا سهل بن يوسف عن أبان بن صمعة عن عكرمة عن ابن عباس قال : إن الشيطان من الرجل في ثلاثة منازل في عينيه ، وفي قلبه ، وفي ذكره . وهو من المرأة في ثلاثة منازل في عينيها ، وفي قلبها ، وفي عجزها . وقال عبد الله بن محمد القرشي : حدثنا الحسن بن بحر العبدي ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن قتادة قال : لما هبط إبليس قال : يا رب قد لعنته فما عمله ؟ قال : السحر . قال : فما قراءته ؟ قال : الشعر . قال : فما كتابته ؟ قال : الوشم . قال : فما طعامه ؟ قال : كل ميتة وما لم يذكر اسم الله عليه . قال : فما شرابه ؟ قال : كل مسكر . قال : فأين مسكنه ؟ قال : الحمام . قال : فأين مجلسه ؟ قال : الأسواق . قال : فما مؤذنه ؟ قال : المزمار . قال : فما مصائده ؟ قال : النساء . حدثنا أبو عبد الله محمد بن الحسين بن صبيح المروزي ، حدثنا الحسن بن بشر بن سلم ، حدثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ : « إن للشيطان كحلاً ولعوقاً فإذا كحل الإنسان من كحله ثقلت عيناه وإذا ألعقه من لعوقه ذرب لسانه بالشر » . حدثني

أبي ، أنبأنا أحمد بن إسحاق الحضرمي ، أنبأنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عاصم الأحول عن الحسن قال : إن للشيطان ملعقة ومكحلة ، فملعقته الكذب ، ومكحلته النوم عند الذكر . حدثني أحمد بن الحارث عن شيخ من قريش قال : قال خالد بن صفوان : إن الشيطان باحتياله ونصب أحباله يختل بالشبهة ويكابر بالشهوة فإذا أعيا مخاتلاً كر مكابراً . حدثنا عبد الله بن رومي ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثني عبد الصمد بن معقل قال : سمعت وهب بن منبه قال : كان عابد من السياحين فأراده الشيطان فلم يستطع منه شيئاً . فقال له الشيطان : ألا تسألني عما أضل به بني آدم ؟ قال : بلى . قال : فأخبرني ما أوثق شيء في نفسك أن تضلهم ؟ قال : الشح ، والحدة ، والسكر فإن الرجل إذا كان شحيحاً قللنا ماله في عينيه ورغبناه في أموال الناس . وإذا كان حديداً أدرناه بيننا كما يتداور الصبيان الأكرة فلو كان يحيي الموتى بدعوته لم نيأس منه وإذا هو سكر اقتدناه إلى كل شهوة كما تقاد العنز بأذنها . وقال أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود قال : إن الشيطان أطاف بأهل مجلس ذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم ، فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا .

قال القرشي : حدثنا سعد بن سليمان الواسطي عن سليمان بن المغيرة عن ثابت البناني قال : لما بعث النبي ﷺ جعل إبليس يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فيجيئوا بصحفهم ليس فيها شيء . فقال : ما لكم لا تصيبون منهم شيئاً ؟ فقالوا : ما صحبنا قوماً قط مثل هؤلاء . قال : رويداً بهم عسى أن تفتح لهم الدنيا هناك تصيبون حاجتكم منهم . وحدثنا يعقوب بن إسماعيل ، أنا حسان ، أنا عبد الله يعني ابن المبارك قال : أنا عبيد الله بن موهب قال : سأل بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إبليس وأبداله بأي شيء تغلب ابن آدم ؟ قال : آخذه عند الغضب وعند الهوى . حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن خيثمة قال : كانوا يقولون : إن الشيطان يقول : وكيف يغلبني ابن آدم إذا رضي جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه .

تعليق وبيان :

قلت : يشهد لصحة ذلك ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة (أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أوصني ؟ قال : لا تغضب . فردد مراراً . قال : لا تغضب) .

وفي الصحيح أن رجلين استبا عند النبي ﷺ حتى احمر وجه أحدهما ، فقال ﷺ : « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .
وفي السنن قال : « إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإن غضب أحدكم فليتوضأ » . ذكر المحاملي في الباب استحباب الوضوء عند الغضب : قال بعض الشافعية : لا نعلم أحداً قال به غيره ، وقد قال تعالى : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ، وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم** ﴾ . فالشيطان يحمل الغضبان على أن يقول ما هو كاره لقوله وغير محب لقوله ، لكن يقوله ليستريح بذلك ويبرد غضبه فيدفع عنه حرارة الغضب ، كما يقصد المكره أن يستريح من ألم الإكراه وضرره بفعل ما أكره عليه والله الموفق .

* * *

الباب الثاني والتسعون
في أن الشيطان مع من يخالف الجماعة

روى الإمام أحمد من حديث ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما خطب الناس بالجابية فقال : قام فينا رسول الله ﷺ فقال : « من أراد منكم بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » . ثم رواه الإمام أحمد من حديث جابر بن سمرة قال : خطب عمر رضي الله عنه الناس بالجابية فذكر نحوه . ورواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وقال ابن صاعد : حدثنا إبراهيم بن سعد الجوهري ، حدثنا أبو معاوية عن يزيد بن مردانية عن يزيد بن علاقة عن عرفجة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يد الله مع الجماعة والشيطان مع من يخالف الجماعة » .

وقال الدارقطني : حدثنا أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول حدثني أبي ، حدثنا محمد بن يعلى ، حدثنا سليمان العامري عن الشيباني عن زياد بن علاقة عن أسامة عن شريك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يد الله مع الجماعة فإذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم » . وروى الإمام أحمد من حديث أبي وائل عن عبد الله وهو ابن مسعود قال : خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال : هذا سبيل الله مستقيماً . قال : ثم عن يمينه

وشماله ، ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل إلَّا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل** ﴾ [الأنعام : ١٥٣] . وروى الإمام أحمد أيضاً من حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال : « إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والمسجد » . نسأل الله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والتسعون
في بيان شدة العالم على الشيطان

روى الترمذي من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » . وقال ابن عبيد : حدثني أبو عبد الله أحمد بن بحير ، حدثنا علي بن عاصم عن بعض البصريين قال : كان عالم وعابد متواخيين في الله فقالت الشياطين لإبليس : إنَّا لا نقدر على أن نفرق بينهما . فقال إبليس لعنه الله : أنا لهما . فجلس بطريق العابد إذ أقبل العابد حتى إذا دنا من إبليس قام إليه في مثال شيخ كبير بين عينيه أثر السجود ، فقال للعابد : إنَّه قد حاك في صدري شيء أحببت أن أسألك عنه . فقال له العابد : سل فإن يكن عندي علم أخبرتك عنه . فقال له إبليس : هل يستطيع الله عزَّ وجلَّ أن يجعل السموات والأرض والجبال والشجر والماء في بيضة من غير أن يزيد في البيضة شيئاً ومن غير أن ينقص من هذا شيئاً ؟ فقال له العابد : من غير أن ينقص من هذا شيئاً ومن غير أن يزيد في هذا شيئاً ؟ كالمتعجب فوقف العابد فقال له إبليس : امضه . ثم التفت إلى أصحابه فقال : أما هذا فقد أهلكته جعلته شاكاً في الله تعالى . ثم جلس على طريق العالم فإذا هو مقبل حتى إذا دنا من إبليس قام إليه إبليس فقال : يا هذا إنه قد حاك في صدري شيء أحببت أن أسألك عنه . فقال له العالم : سل فإن يكن عندي علم أخبرتك . فقال له إبليس : هل يستطيع الله عزَّ وجلَّ أن يجعل السموات والأرض والجبال والشجر والماء في بيضة من غير أن يزيد في البيضة شيئاً ومن غير أن ينقص من هذا شيئاً ؟ فقال له العالم : نعم . قال : فرد عليه إبليس كالمنكر : من غير أن يزيد في هذا شيئاً ومن غير أن ينقص من هذا شيئاً ؟ فقال له العالم : نعم . بانتهار ، وقال : ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ . فقال إبليس لأصحابه : من قبل هذا أتيتم . نسأل الله العصمة .

الباب الرابع والتسعون

في بكاء الشيطان على المؤمن لفوات فتنته عند الموت

قال القرشي : حدثنا القاسم بن هاشم ، حدثنا أبو اليمان ، حدثنا صفوان عن بعض الأشياخ قال : الشيطان أشد بكاء على المؤمن إذا مات من بعض أهله لما فاته من افتتانه إياه في الدنيا . وقال صالح بن أحمد بن حنبل : رأيت أبي عند الموت يلهج بقوله : لا بعد لا بعد . فقلت : يا أبت رأيتك تقول : لا بعد لا بعد . فما هذا ؟ قال : الشيطان واقف عند رأسي يقول : فتني يا أحمد وأنا أقول : لا بعد لا بعد . وروى أبو داود أن رسول الله ﷺ كان يقول في دعائه : وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت . نسأل الله التثبيت بمنه وكرمه .

* * *

الباب الخامس والتسعون

في تعجب الملائكة عند خروج روح المؤمن ونجاته من الشيطان

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثني شريح بن النعمان ، حدثني عنبسة بن عبد الواحد عن مالك بن مغول عن عبد العزيز بن رفيع قال : إذا عرج بروح المؤمن إلى السماء قالت الملائكة : سبحان الذي نجى هذا العبد من الشيطان يا ويحه كيف نجا ؟ قال أبو الفرج بن الجوزي : ولكثرة فتن الشيطان وتشبثها بالقلوب عزت السلامة ، فإنه يدعو إلى ما يحث عليه الطبع فهو كمداد لسفينة منحدرة فيا سرعة انحدارها ولما ركب الهوى في هاروت وماروت لم يستمسكا ، فإذا رأت الملائكة مؤمناً قد مات على الإيمان تعجبت من سلامته . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والتسعون

في أفعال لم يسبق إبليس إليها

روى ابن أبي شيبة وأبو عروبة في أوائلهما . قال ابن سيرين : أول من قاس إبليس وإنما عبدت الشمس والقمر بالمقاييس . وقال الحسن البصري : قاس إبليس وهو أول من قاس . رواهما ابن جرير . ومعنى هذا أنه نظر نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم فرأى نفسه أشرف من آدم فامتنع من السجود مع وجود الأمر

له ولسائر الملائكة . والقياس إذا كان مقابلا للنص كان فاسد الاعتبار ثم هو فاسد في نفسه لما قدمناه في الباب السادس والثمانين من خمسة عشر وجهاً . وروى ابن أبي شيبة بسنده قال ميمون بن مهران : سألت ابن عمر من أول من سمى العشاء العتمة ؟ قال : الشيطان . وذكر البغوي أنه أول من ناح . وروى جابر مرفوعاً أنه أول من تغنى . والله أعلم .

* * *

الباب السابع والتسعون

في رنات إبليس لعنه الله

ذكر بقي بن مخلد في تفسيره أن إبليس رن أربع رنات : رنة حين لعن ، ورنة حين أهبط، ورنة حين بعث رسول الله ﷺ ، ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب . قال : والرنين والنخار من عمل الشيطان . وقال ابن دريد : رن وأرن من الرنين وهو شبيه بالحنين قال الشاعر :

أرن على حقب حيال طروقة ... كذود الأجير الأربع الأشرات

وقالوا في بيت رووه :

نبهت ميمون لها فأنا ... وقام يشكو عصبا قدرنا

وقال الأصمعي : إنما هو زن أي تقبض ويبس . وقال ابن أبي الدنيا في كتاب (مكايد الشيطان) : حدثنا إبراهيم بن راشد ، حدثنا داود بن مهران حدثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير قال : لما لعن الله تعالى إبليس تغيرت صورته عن صورة الملائكة فخرج فرن رنة كل رنة إلى يوم القيامة منها . قال سعيد : ولما رأى النبي ﷺ قائماً يصلي بمكة رن رنة أخرى . قال سعيد : ولما افتتح النبي ﷺ مكة رن رنة أخرى اجتمعت إليه ذريته . فقال : ايْئَسُوا أن تردوا أمة محمد إلى الشرك ولكن افتنوهم في دينهم وأفشوا بينهم النوح والشعر . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا علي بن أبي الجعد ، حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار سمعت شيخنا يقول : سمعت ابن عباس يقول : لما خلق الله تعالى إبليس نخر لعنه الله تعالى .

* * *

الباب الثامن والتسعون
في أن عرش إبليس على البحر

روى مسلم من حديث جابر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا . فيقول : ما صنعت شيئاً . ثم يجيء أحدهما فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ويقول : نعم أنت أنت » . ورواه أحمد في مسنده بنحو من عدة طرق ، فقال : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثنا ماعز التميمي عن جابر . ورواه أيضاً عن روح عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر وساقه أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري فقال : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال لابن صائد : « ما ترى ؟ قال : أرى عرشاً على الماء أو قال : على البحر حوله حيات. قال : ذاك عرش إبليس » . وقال سنيد في تفسيره : حدثنا أبو بكر بن عياش وحميد الكندي عن عبادة بن نسي عن أبي ريحانة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن إبليس اتخذ عرشاً على الماء ووكل بكل رجل شيطانين وأجلهما سنة فإن فتناه وإلاَّ قطع أيديهما وأرجلهما وصلبهما ثم بعث له شيطانين آخرين » . قال الحافظ ابن منبه : هذا حديث تفرد به أبو بكر بن عياش . وقال الحافظ الذهبي : هذا حديث غريب منكر لا يعرف إلاَّ بهذا الإسناد .

* * *

الباب التاسع والتسعون
في مكان ركز الشيطان رايته

روى مسلم من حديث سلمان قال ﷺ : « لا تكونن إن استطعت أول داخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها تركز رايته » . ورواه عباس الدوري عن سعيد بن عامر الضبعي عن عوف عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي موقوفاً عليه ولفظه فإنها مبيض الشيطان وبها يقرب لواؤه .

* * *

الباب الموفي مائة

في جعل إبليس كل واحد من ولده عن شيء من أمره

قال عبد الله بن محمد بن عبيد : حدثنا بشر بن الوليد الكندي ، حدثنا محمد بن طلحة عن زيد عن مجاهد قال : لإبليس خمسة من ولده قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره ثم سماهم فذكر : ثبر ، والأعور ، ومسوّط ، وداسم ، وزلنبور . فأما ثبر : فهو صاحب المصيبات الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ، ولطم الخدود ودعوى الجاهلية . وأما الأعور : فهو صاحب الزنا الذي يأمر به ويزينه . وأما مسوّط : فهو صاحب الكذب الذي يسمع فيلقى الرجل فيخبره بالخبر فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم : قد رأيت رجلاً أعرف وجهه ، وما أدري ما اسمه حدثني بكذا وكذا . وأما داسم : فهو الذي يدخل مع الرجل إلى أهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم . وأما زلنبور : فهو صاحب السوق الذي تركز رايته في السوق . والله أعلم .

* * *

الباب الأول بعد المائة

في حضور الشيطان كل شيء من شؤون الإنس

روى مسلم والترمذي من حديث جابر عن رسول الله ﷺ قال : « إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة » .

* * *

الباب الثاني بعد المائة

في حضور الشيطان جماع الرّجل أهله

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال : بسم الله اللهم جنّبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً » . أخرجاه في الصحيحين . قال القاضي عياض : لم يحمله أحد على العموم في جميع الضرر والإغواء

والوسوسة . وقال بعض العلماء « ما » هـا هنا نكـرة لا يجوز أن تكـون بمعنى الذي لأنها لا تكون لمن يعقل إذا كانت بمعنى الذي فيكون معناها شيء . وقال ابن جرير في تهـذيب الآثار : حـدثنـا محمـد بن عمـارة الأسـدي ، حـدثني سهـل بن عـامـر البجلي ، حدثنا يحيى بن يعلى الأسلمي عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال : إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجـامع معـه فذلـك قولـه تعالى : ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ [الرحمن: ٥٦] . وقد قدمنا في الباب الرابـع والثلاثين قول ابن عباس إن الله تعالى ورسوله ﷺ نهيـا أن يأتي الـرجل امـرأته وهي حائض فإذا أتاها سبقه إليها الشيطان فحملت فجاءت بـالمخنث . ذكره الـطرطوشي في كتاب : (تحريم الفواحش) .

* * *

الباب الثالث بعد المائة

حضور الشيطان المولود حين يولد

في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من بني آدم من مولود إلاَّ نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسه إيَّـاه إلاَّ مريم وابنهـا » . وفي رواية عند مسلم إلاَّ نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيـطان . وفيها قال أبو هريرة : اقـرأوا إن شئتم : ﴿ **وإني أعيذهـا بك وذريتهـا** ﴾ الآية . وفي لفظ عند البخاري : كل بني آدم يطعن الشيـطان في عينيه بـأصبعه حين يـولد إلاَّ عيسى ابن مـريم ذهب يـطعن فـطعن في الحجـاب . وعن أبي هـريـرة قـال : قـال رسول الله ﷺ : « صياح المولود حين يقـع نزغـة من الشيطان » أخـرجه أبـو حاتم . قال السهيلي : ولأن عيسى عليه السلام لم يخلق من مني الرجـال فأعيـذ من مغمزه وإنمـا خلق من نفخـة روح القـدس . قـال : ولا يـدل هـذا على فضـل عيسى عليـه السلام على محمـد ﷺ لأن محمداً ﷺ قـد نزع منـه ذلك المغمـز وملىء قلبه حكمة وإيماناً بعد أن غسله روح القـدس بالثلج والبـرد وإنما كـان ذلك المغمـز فيه لموضع الشهوة المحركـة للمني والشهوات يحضـرها الشيـطان ، لا سيما شهـوة من ليس بمؤمن فكان ذلك المغمز فيه راجعـاً إلى الأب لا إلى الابن المطهـر ﷺ ولهذا قال : شق صدره فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فتبين أن الذي التمس فيه هو الذي يغمزه الشيطان من كل مولود والله أعلم .

* * *

الباب الرابع بعد المائة

في أن للشيطان لمة بابن آدم

روى الترمذي من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق . وأما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فيحمد الله تعالى ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان . ثم قرأ : ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء** ﴾ [البقرة : ٢٦٨] » . والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الخامس بعد المائة

في أنه يجري من ابن آدم مجرى الدم

ثبت في الصحيحين من حديث صفية بنت حيي أن رسول الله ﷺ قال : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » . ورواه أبو داود من حديث أنس . ورواه غير واحد من أهل السنن منهم الحافظ أبو جعفر الطحاوي أوردهما بأسانيده من حديث صفية وحديث أنس . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله المديني ، حدثنا حسان بن إبراهيم عن سعيد يعني ابن مرزوق عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال : كيف ننجو من الشيطان وهو يجري منا مجرى الدم ؟ وقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب (الوسوسة) : حدثنا الحسين بن منصور حدثنا يزيد ، أنبأنا سفيان عن المغيرة عن إبراهيم قال : إن الشيطان ليجري في الإحليل ويبيض في الدبر . وقد قدمنا في باب دخول الجن في بدن المصروع وفي باب الوسوسة القول في ذلك وإمكان جريه وتداخل الأجسام فلينظر هناك .

* * *

الباب السادس بعد المائة

في انتشار الشيطان جنح الليل وتعرضه للصبيان

في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان جنح الليل وأمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشيطان ينتشر حينئذٍ إذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله تعالى وخمروا آنيتكم واذكروا اسم

الله عزَّ وجلَّ ولو أن تعرضوا عليها شيئاً وأطفئوا مصابيحكم » . وفي رواية : فإن الشيطان لا يفتح غلقاً .

* * *

الباب السابع بعد المائة

في ما يلهي الشيطان عن الصبيان

قال حرب الكرماني : حدثنا الحسن بن مهدي بن مالك ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، حدثنا أبو عبيدة البلخي عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « اتخذوا الحمامات المقصوصات في البيوت فإنها تلهي الشيطان عن صبيانكم » . وقال حرب : سمعت أحمد يقول : لا بأس أن يتخذ الرجل في منزله الطيور والحمامات المقصوصة يستأنس إليها فإن تلهى بها فإني أكرهه .

* * *

الباب الثامن بعد المائة

في نوم الشيطان على الفراش الذي لا ينام عليه أحد

قال القرشي : حدثنا أبي ، حدثنا هشيم عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : ما من فراش يكون في بيت مفروشاً لا ينام عليه أحد إلاَّ نام عليه الشيطان .

قلت : ليس هذا على إطلاقه بل إذا فرش ولم يسم عليه ، وليس مخصوصاً بالفراش بل كل ما لم يسم عليه من طعام أو شراب أو لباس أو غير ذلك مما ينتفع به فللشيطان فيه تصرف واستعمال إما بإتلاف عينه كالطعام والشراب ، وإما مع بقاء عينه مما ينتفع به مع بقاء العين . وقد قدمنا في الأحاديث ما يدل على ذلك والله أعلم .

* * *

الباب التاسع بعد المائة

في عدم قيلولة الشياطين

قال عبد الله بن أحمد : كان أبي ينام نصف النهار شتاء كان أو صيفاً

ويأخذني بذلك ويقول : قال عمر بن الخطاب رضيَ الله عنه : قيلوا فإن الشياطين لا تقيل . وقال جعفر بن محمد : نومة نصف النهار تزيد في العقل . وذكر قتادة عن أنس بن مالك قال : يلزم من ضبطهن ضبط الصوم من قال وتسحر وأكل قبل أن يشرب .

* * *

الباب العاشر بعد المائة
في عقد الشيطان على رأس النائم

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله عزَّ وجلَّ انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلَّا أصبح خبيث النفس كسلان » . وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود قال : ذكر عند النبي ﷺ رجل فقيل : ما زال نائماً حتى أصبح ما قام إلى الصلاة . فقال : ذاك رجل بال الشيطان في أذنه أو قال : في أذنيه .

قلت : هذا لمن لم يقرأ آية الكرسي أو خواتيم سورة البقرة أو ما يتحرز به من الشياطين من القرآن . وأما من قرأ ذلك فلا سبيل للشيطان عليه بدليل ما قدمناه من الأحاديث الدالة على أن من قرأها لا يقربه شيطان حتى يصبح ـ والقافية : القفا ـ . قاله الجوهري والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الحادي عشر بعد المائة
في أن الحكم المكروه من الشيطان

روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي قتادة سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا حلم أحدكم الحلم يكرهه فليبصق عن يساره وليستعذ بالله منه فلن يضره » . وفي البخاري من حديث أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال : « إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنها من الله عزَّ وجلَّ فليحمد الله عليها وليحدث بها ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ

بالله من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لن تضره » . قال السهيلي : الرؤيا عند أهل العلم ما يراه الإنسان في منامه ، والرؤية ما يراه بعينه في اليقظة . فرؤية النبي ﷺ لم تكن إلاّ لمن رآه في حياته . وأما رؤيا النبي ﷺ في المنام فرؤيا ، ولا تكون رؤيا حق لقوله عليه الصلاة والسلام : « من رآني فقد رأى الحق » . وهو مشترك بين الرؤية والرؤيا وأما قوله عليه الصلاة والسلام : « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة » أول الكلام من الرؤيا وآخره من الرؤية . قال المازري : كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا فقال فيها غير الإسلاميين أقاويل كثيرة منكرة لما حاولوا الوقوف على حقائق لا تعلم بالعقل ولا يقوم عليها برهان وهم لا يصدقون بالسمع فاضطربت لذلك مقالاتهم . فمن ينتمي إلى الطب ينسب جميع الرؤيا إلى الأخلاط ، ويقول : من غلب عليه البلغم رأى السباحة في الماء أو ما شابهه لمناسبة الماء في طبيعته طبيعة البلغم ، ومن غلب عليه الصفراء رأى النيران والصعود في الجو وشبهه لمناسبة النار طبيعة الصفراء ، ولأن خفتها وإنفاذها تخيل إليه الطيران في الجو والصعود في العلو . وهكذا يصنعون في بقية الأخلاط وهذا مذهب وإن جوزه العقل ، وأمكن عندنا أن يجري البادي جلت قدرته العادة بأن يخلق مثل ما قالوا عند غلبة هذه الأخلاط فإنه لم يقم عليه دليل ولا اطردت به عادة . والقطع في موضع التجويز غلط وجهالة هذا لو نسبوا ذلك إلى الأخلاط على جهة الاعتبار ، وأما إن أضافوا الفعل إليها فإنا نقطع بخطئهم ، ولا نجوز ما قالوه إذ لا فاعل إلاّ الله تعالى . ولبعض أئمة الفلاسفة تخليط طويل في هذا وكأنه يرى أن صور ما يجري في العالم العلوي كالمنقوش وكأنه يدور بدوران الأكر ، فما حاذى بعض النفوس منه انتقش فيها وهذا أوضح فساداً من الأول مع كونه تحكماً بما لم يقم عليه برهان . والانتقاش من صفات الأجسام ، وكثيراً ما تجري في العالم والأعراض لا تنتقش ولا ينتقش فيها ، والمذهب الصحيح ما عليه أهل السنة وهو أن الله سبحانه وتعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات ، كما يخلقها في قلب اليقظان وهو تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ولا يمنع من فعله نوم ولا يقظة ، فإذا خلق هذه الاعتقادات فكأنه سبحانه جعلها علماً على أمور أخر يخلقها في ثاني حال أو كان خلقها ، فإذا خلق في قلب النائم اعتقاد الطيران وليس بطائر فقصارى ما فيه أنه اعتقد أمراً على خلاف ما هو عليه . وكم في اليقظة ممن يعتقد أمراً على خلاف ما هو عليه فيكون ذلك الاعتقاد علماً على غيره كما يكون خلق الله تعالى الغيم علماً على المطر والجميع خلق الله ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التي جعلها علماً على ما يسر بحضرة

الملك أو بغير حضرة الشيطان ويخلق ضدها مما هو علم على ما يضر بحضرة الشيطان فينسب إليه مجازاً واتساعاً وهذا المعنى بقوله ﷺ : « الرؤيا من الله عزَّ وجلَّ والحلم من الشيطان » لا على أن الشيطان يفعل شيئاً في غيره وتكون الرؤيا اسماً لما يحب ، والحلم اسماً لما يكره . انتهى قول المازري . وحكى السهيلي في حقيقة الرؤيا قول الأسفرائيني أبي إسحاق فيما بلغه عنه : أن الرؤيا إدراك بجزء من القلب كما أن الرؤية إدراك بجزء من العين ، وإذا غشي القلب كله النوم لم ير شيئاً ، فإذا ذهب عنه النوم أو عن أكثر القلب كانت الرؤيا أصفى وأجلى كرؤيا السحر . قال : وقال القاضي : الرؤيا اعتقادات يعتقدها الرائي في النوم وليست بإدراك كإدراك الحاسة . وقال الأستاذ أبو بكر بن فورك : الرؤيا أوهام يتوهمها المرء في حال النوم . ثم قال : أما قول الأسفرائيني فقد يجوز أن يكون في بعض الأحوال لا في جميع أحوال الرؤيا فإن الرائي قد يرى في المنام ما هو معدوم في تلك الحال والمعدوم لا تتعلق به الإدراكات . وأما قول القاضي : اعتقادات فحق لأنه قد يعتقد الشيء على ما هو عليه ، وقد يعتقده على خلاف ما هو عليه كالذي يرى اللبن في النوم فيعتقده لبناً وهو عبارة عن العلم . وقد يحضر في حال النوم أنه عبارة عن العلم وليس بلبن . وأما قول أبي بكر : هي أوهام فصحيح وليس بمناقض لقول القاضي : لأن النائم يتوهم الشيء في تصوره في خلده ، ثم يعتقد مع ذلك التوهم أن الشيء كما يتوهمه لعزوب عقله في النوم فإذا ثاب إليه عقله في اليقظة انحل عنه الاعتقاد وعلم أن الذي توهمه ليس على الصورة التي توهمها كالذي يتوهم في اليقظة وهو في السفينة ماشية أن النحر يمشي معه وعقله يدفع ما فاجأه به الوهم ، ولولا ذلك لاعتقد صحة ما توهم فإذا عزب العقل تحكم الوهم واعتقدت النفس صحة ما يتوهم فثم إذاً وهم إما صادق وإما كاذب وتم في تلك الحالة اعتقاد تصديق الوهم انتهى ما ذكره في حقيقة الرؤيا . قال المازري : وأما قوله ﷺ : « فإنها لن تضره » . فقيل : معناه أن الروع يذهب بهذا النفث المذكور . وفي الحديث إذا كان فاعله مصدقاً به متكلاً على الله جلت قدرته في دفع المكروه . وقيل : يحتمل أن يريد أن هذا الفعل منه يمنع من نفوذ ما دل عليه المنام من المكروه ويكون ذلك سبباً فيه ، كما تكون الصدقة تدفع البلاء إلى غير ذلك من النظائر المذكورة عند أهل الشريعة والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الثاني عشر بعد المائة

في أن الشيطان لا يتمثل بالنبي عليه السلام

في الصحيحين من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أن أبا هريرة قال : سمعت أن رسول الله ﷺ يقول : « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة أو كما رآني في اليقظة لا يتمثل الشيطان بي » . قال : وقال أبو سلمة : قال أبو قتادة : قال رسول الله ﷺ : « من رآني فقد رأى الحق » . وفي رواية : « من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي » . ذهب القاضي أبو بكر بن الطيب إلى أن المراد بقوله ﷺ : « من رآني في المنام فقد رآني » أنه رأى الحق وأن رؤياه لا تكون أضغاثاً ولا من التشبيهات في الشيطان ويعضد ما قاله بقوله ﷺ في بعض الطرق : « من رآني فقد رأى الحق » إن كان المراد به ما أريد بالحديث الأول من المنام . وقوله ﷺ : « فإن الشيطان لا يتمثل بي » : إشارة إلى أن رؤياه لا تكون أضغاثاً وإنما تكون حقاً . وقد يراه الرائي على غير صفته المنقولة إلينا كما لو رآه شيخاً أبيض اللحية أو على خلاف لونه أو يراه رائيان في زمان واحد أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب ويراه وكل منهما معه في مكانه . وقال السهيلي : رؤيا النبي ﷺ في المنام رؤيا ولا تكون إلاَّ رؤية حق لقوله ﷺ : « من رآني فقد رأى الحق » . وهو مشترك بين الرؤية والرؤيا . وأما قوله : « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة » ، أول الكلام من الرؤيا والثاني من الرؤية . وقال آخرون : بل الحديث محمول على ظاهره ، والمراد أن من رآه فقد أدركه ﷺ ولا مانع يمنع من ذلك ولا عقل يحيله حتى يضطر إلى صرف الكلام عن ظاهره . وأما الاعتلال أنه قد يرى على خلاف صفته المعروفة وفي مكانين مختلفين معاً فإن ذلك غلط في صفاته وتخيلٍ لها على غير ما هي عليه . وقد يظن بعض الخيالات مرئيات لكون ما يتخيل مرتبطاً لما يرى في العادة فتكون ذاته ﷺ مرئية وصفاته متخيلة غير مرئية . والإدراك لا يشترط فيه تحديق الأبصار ، ولا قرب المسافات ، ولا كون المرئي مدفوناً في الأرض ، ولا ظاهراً عليها وإنما يشترط كونه موجوداً ، وقد ثبت وجوده وتكون الصفات المتخيلة ثمرتها اختلاف الدلالات . وقد ذكر الكرماني في باب رؤيا النبي ﷺ قال : وقد جاء في الحديث أنه إذا رئي في المنام شيخاً فهو عام سلم ، وإذا رئي شاباً فهو عام حرب . وكذلك أحد جوابيهم عنه ﷺ : لو رآه امرؤ يأمره بقتل من لا يحل قتله فإن ذلك من الصفات المتخيلة لا المرئية . وجوابهم

الثاني : منع وقوع مثل هذا . قال المازري : لا وجه عندي لمنعهم إياه مع قولهم في تخيل الصفات ، فهذا انفصال هؤلاء عما احتج به القاضي . وأما قوله ﷺ : « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة » ، أو « كأنما رآني في اليقظة » ، فتأويله مأخوذ مما تقدم . قال المازري : إن كان المحفوظ فسيراني في اليقظة فيحتمل أن يريد أهل عصره ممن لم يهاجر إليه ﷺ فإنه إذا رآه في المنام فسيراه في اليقظة ويكون الباري جلت قدرته جعل رؤيا المنام علماً على رؤية اليقظة وأوحي إليه بذلك ﷺ .

وقال السهيلي في ضمن أسئلة في الرؤيا : كيف تكون الرؤيا حقاً وهي كلها قد يرى على صور مختلفة منها ما هي صورة له ومنها ما ليس بصورة له ؟ وأجاب بعد تقرير الكلام في حقيقة الرؤيا وقال : إذا رأى في حال النوم محمداً ﷺ مثلاً على غير صورته التي كان عليها فقد رآه حقاً ولكن من الرؤيا لا من الرؤية فتوهم الصورة أنها صورته وأنها صفة له واعتقد في تلك الحال لعزوب العقل تصديق الوهم ولم يقدح ذلك التوهم في صحة الرؤيا ، كما لم يقدح من اليقظان الراكب البحر توهمه لمشي البحر في صحة رؤية البحر . وكذلك من رأى رجلاً من مكان بعيد جداً فتوهمه صبياً أو طائراً فقد رآه بعينه ولم يقدح في صحة رؤيته توهم الصورة على غير ما هي لكنه في اليقظة يكذب الوهم في ذلك التوهم لحصول العقل ، ولا يكذب العقل الوهم في حال النوم بل يعتقد صدقه لعزوب العقل عن النظر في الدليل فيعتقد الصورة الداخلة في الخيال لا وجود لها من خارج ، فإذا استيقظ انحل الانعقاد بتجديد النظر وبقي النظر في تلك الصورة المتوهمة فإن الله تعالى لم يخلقها داخل الخيال إلاَّ ليتعلق بها تأويل الرؤيا فيختلف التأويل على حسب الصورة المتوهمة التي لا وجود لها من خارج .

تعليق :

فصل : لا شك أنه لم يجز للشيطان أن يتمثل على صورة النبي ﷺ فأحرى أن لا يتمثل بالله عزَّ وجلَّ وأجدر بأن تكون رؤيا الله تعالى في المنام حقاً وأن لا يكون تخليطاً من الشيطان هذا على قول طائفة منهم أبو بكر بن العربي . وأما على قول طائفة أخرى من العلماء : فإنهم ذهبوا إلى أن العصمة من تصور الشيطان وتمثله إنما هي في حق النبي ﷺ لأنه بشر تجوز عليه الصور فصرف الله عزَّ وجلَّ الشيطان أن يتمثل به لئلا تختلط رؤياه بالرؤيا الكاذبة . وهذا الكلام له تتمة ذكرها ابن بطال

في شرح البخاري اختصرتها ومن تأمل الفصل من أوله عرف القول وضده ودله ذلك على معنى ما تركته وبالله التوفيق : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ .

بيان صغر الشيطان يوم عرفة :

فصل : في بيان صغر الشيطان ودحره وحقارته وغيظه يوم عرفة . روى مالك في الموطأ من حديث طلحة بن عبد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال : « لم ير الشيطان يوماً ما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك إلَّا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله تعالى عن الذنوب الكبار إلَّا ما رأى يوم بدر فإنه رأى جبريل يزع الملائكة » .

* * *

الباب الثالث عشر بعد المائة

في بيان طلوع قرن الشيطان من نجد

روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر : « ألا إنَّ الفتنة هنا يشير إلى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان » . وفي رواية قال وهو مستقبل المشرق : « إنَّ الفتنة ههنا ثلاثاً وذكر نحوه » . وفي أخرى أنه سمع رسول الله ﷺ مستقبل المشرق يقول : « ألا إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان » . وزاد البخاري في رواية أن النبي ﷺ قال : « اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا . قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا فأظنه قال في الثالثة : هنالك الزلازل والفتن ومنها يطلع قرن الشيطان » .

فصل : ذكر أهل السير أن قريشاً لما بنت الكعبة اختلفت فيمن يضع الركن وأن رسول الله ﷺ هو الذي وضعه بيده وأن إبليس تمثل في صورة شيخ نجدي حين حكموا رسول الله ﷺ في أمر الركن فصاح إبليس بأعلى صوته : يا معشر قريش أقد رضيتم أن يضع هذا الركن وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوي أسنتكم ، فكاد يثير شراً فيما بينهم ثم سكنوا ذلك . وكذلك لما اجتمعت قريش للتشاور في أمر النبي ﷺ تمثل لهم إبليس أيضاً في صورة شيخ جليل وانتسب إلى نجد . فأما في الكعبة فتمثل نجدياً لأن نجداً يطلع منها قرن الشيطان ، كما تقدم . وأما في وقت التشاور فذكر بعض أهل السير أن قريشاً لما اجتمعت قالت : لا يدخلن معكم في

المشاورة أحد من تهامة لأن هواهم مع محمد ﷺ فانضم انتسابه إلى نجد لينتفي من تهامة إلى كون قرنه يطلع من نجد فتناسب المعنيان . وقد ورد في حديث ابن عمر أن النبي ﷺ حين قال هذا الكلام وقف عند باب عائشة رضي الله عنها ونظر إلى المشرق يحذر من الفتنة . قال السهيلي : وفي وقوفه عند باب عائشة رضي الله عنها ناظراً إلى المشرق يحذر من الفتنة عبرة وفكر في خروجها إلى المشرق عند وقوع الفتنة تفهم الإشارة إن شاء الله تعالى واضمم إلى هذا قوله ﷺ حين ذكر نزول الفتن : « أيقظوا صواحب الحجر » والله أعلم .

* * *

الباب الرابع عشر بعد المائة

في بيان طلوع الشمس بين قرني الشيطان

روى أبو داود والنسائي من حديث عمرو بن عبسة قال : قلت : يا رسول الله أي الليل أسمع ؟ قال : جوف الليل الآخر ، فصل ما شئت فإن الصلاة مشهودة مكتوبة حتى تصلي الصبح ثم أقصر حتى تطلع الشمس فترتفع قيد رمح أو رمحين فإنها تطلع بين قرني شيطان فيصلي لها الكفار ثم صلّ ما شئت فإن الصلاة مشهودة مكتوبة حتى يعدل الرمح ظله ثم أقصر فإن جهنم تسجر وتفتح أبوابها فإذا زاغت الشمس فصلّ ما شئت فإن الصلاة مشهودة مكتوبة حتى تصلي العصر ثم أقصر حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان ويصلي لها الكفار .

وروى مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله الصنابحي أن رسول الله ﷺ قال : « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقها ثم إذا استوت قارنها فإذا دنت للغروب قارنها » . ونهى رسول الله ﷺ عن الصلاة في تلك الأوقات .

قال ابن عبد البر : تابع يحيى على قوله في هذا الحديث عن عبد الله الصنابحي جمهور الرواة منهم العقبي وغيره . وقال مطرف عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي عبداء الصنابحي وتابعه إسحاق بن عيسى الطباع وهو الصواب وهو أبو عبد الله الصنابحي واسمه عبد الرحمن بن غسيلة وهو من كبار التابعين ولا صحبة له . توفي رسول الله ﷺ قبل قدومه المدينة بخمس ليال . وللعلماء في معنى الحديث قولان :

أحدهما : أن ذلك اللفظ على حقيقته وأنها تغرب وتطلع على قرن شيطان وعلى رأس شيطان وبين قرني شيطان على ظاهر الحديث حقيقة لا مجازاً من غير تكييف لأنه لا يكيف ما لا يرى . وحجة من قال هذا القول حديث عكرمة عن ابن عباس أنه قال له : أرأيت ما جاء عن النبي ﷺ في أمية بن أبي الصلت آمن شعره وكفر قلبه ؟ قال : هو حق فما أنكرتم من شعره ؟ قالوا : أنكرنا قوله :

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد
ليست بطالعة لهم في رسلها إلاَّ معذبة وإلاَّ تجلد

فما بال الشمس تجلد ؟ فقال : والذي نفسي بيده ما طلعت الشمس قط حتى ينخسها سبعون ألف ملك ويقولون لها : اطلعي اطلعي ، فتقول : لا أطلع على قوم يعبدونني من دون الله ، فيأتيها ملك عن الله عزَّ وجلَّ يأمرها بالطلوع فيستقبل الضياء بني آدم ، فيأتيها شيطان يريد أن يصدها عن الطلوع فتطلع بين قرنيه فيحرقه الله تعالى تحتها . وما غربت الشمس قط إلاَّ خرت لله تعالى ساجدة ، فيأتيها شيطان يريد أن يصدها عن السجود فتغرب بين قرنيه فيحرقه الله تعالى تحتها فذلك قول رسول الله ﷺ : « ما طلعت إلاَّ بين قرني شيطان ، ولا غربت إلاَّ بين قرني شيطان » .

وقال آخرون : معنى هذا الحديث عندنا على المجاز واتساع الكلام وأنه أريد بقرن الشيطان هنا أمة تعبد الشمس وتسجد لها وتصلي في حين غروبها وطلوعها تقصد بذلك الشمس من دون الله وكان ﷺ يكره التشبه بالكفار ويحب مخالفتهم فنهى عن الصلاة في هذه الأوقات لذلك . وهذا التأويل جائز في لغة العرب معروف في لسانها لأن الأمة تسمى عندهم قرناً والأمم قروناً . وقال عز وجل : ﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن** ﴾ [مريم : ٧٤] ، وقال تعالى : ﴿ **وقروناً بين ذلك كثيراً** ﴾ [الفرقان : ٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ **فما بال القرون الأولى** ﴾ [طه : ٥١]، وقال رسول الله ﷺ : « خير الناس قرني » . وجائز أن يضاف القرن إلى الشيطان لطاعتهم له . وقد سمى الله تعالى الكفار حزب الشيطان . ومن حجة من تأول هذا التأويل من طريق الآثار حديث عمرو بن عبسة السلمي الذي قدمناه ، وحديث أبي أمامة عن رسول الله ﷺ والله أعلم .

* * *

الباب الخامس عشر بعد المائة

في بيان مقعد الشيطان

قال أبو بكر الخلال في كتاب (الأدب) : أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة ، حدثنا أبو القاسم الزهري ، حدثنا عمي ، حدثنا شعبة عن مغيرة العبسي الأعمى عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو قال : قعود الرجل بعضه في الشمس وبعضه في الظل مقعد الشيطان . أخبرنا أحمد ، حدثنا أبو القاسم ، حدثنا عمي ، حدثنا شعبة عن أبيه عن أبي هريرة بمثل ذلك . أخبرنا يحيى بن جعدة ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا قرة بن خالد عن نفيع عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول : مقيل الشيطان بين الظل والشمس . أخبرنا يحيى ، أنبأنا عبد الوهاب ، أنبأنا سعيد عن قتادة كان يقول : مقعد الشيطان بين الظل والشمس ويكره القعود فيه . أخبرني أحمد بن محمد بن حازم أن إسحاق بن منصور حدثهم أنه قال لابن عبد الله : يكره أن يجلس بين الظل والشمس . قال : هذا مكروه أليس قد نهي عن ذلك . قال إسحاق بن منصور : قال إسحاق بن راهويه : قد صح النهي فيه عن النبي ﷺ ولكن لو ابتدأ فجلس فيه كان أهون .

* * *

الباب السادس عشر بعد المائة

في لزوم الشيطان القاضي الجائر

روى الترمذي من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال : قال رسول الله ﷺ : « الله معَ القاضي ما لم يجر فإذا جار تخلى عنه ولزمه الشيطان » .

* * *

الباب السابع عشر بعد المائة

في إدباره إذا نودي للصلاة

في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع المنادين حتى إذا قُضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول : اذكر كذا ، واذكر كذا ما لم يكن يذكر قبل حتى يظل الرجل ما يدري كم صلى » . وفي رواية أن الشيطان إذا سمع النداء

بالصلاة أحال له حتى لا يسمع صوته فإذا انتهى رجع فوسوس . وفي أخرى إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله حصاص . قال الجوهري : ـ الضراط ـ الردام **ضرط** يضرط **ضرطاً** مثل : خبق يخبق خبقاً . ورأيت في الجمهرة ضبط ابن خالويه خبقاً بسكون الباء . والحصاص بالضم شدة العدو وسرعته عن الأصمعي ، وقد حص يحص حصاً . قال حماد بن سلمة : قلت لعاصم بن أبي النجود : ما الحصاص ؟ قال : ما رأيت الحمار إذا صر بأذنيه ومصع بذنبه وعدا فذلك حصاصه . قال أبو عبيد يقال : هو الضراط في قول بعضهم . قال : وقول عاصم أحب إلي وهو قول الأصمعي أو نحوه والله أعلم .

* * *

الباب الثامن عشر بعد المائة

في مشية الشيطان في نعل واحدة

قال حرب : حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الليث بن سعد عن جعفر بن ربيعة عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « لا يمشِ أحدكم في نعل واحدة فإن الشيطان يمشي في نعل واحدة » . قال حرب : وسمعت أحمد يكره أن يمشي الرجل في نعل واحدة كراهية واحدة . قال حرب : حدثنا يحيى بن عبد الحميد ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي رزين عن أبي هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا انقطع شسع أحدكم فلا يمشِ في الآخر حتى يصلحها » .

* * *

الباب التاسع عشر بعد المائة

في اعتزاله ابن آدم إذا تلا السجدة

إذا تلا ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي ويقول : يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار . قال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس ، حدثنا حاتم بن إسماعيل عن محمد بن عجلان عن عبيد الله بن مقسم قال : إذا لعنت الشيطان ، قال : لعنت ملعناً فإذا استعذت منه يقول : قطعت ظهري . وإذا سجدت يقول : يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فأطاع وأمر الشيطان فعصى ، فلابن آدم الجنة وللشيطان النار .

الباب الموفي عشرين بعد المائة

في أن التثاؤب والنعاس والعطاس في الصلاة من الشيطان

في الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم المازني قال : شُكِيَ إلى النبي ﷺ الرجل يخيل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة ، قال : « لا ينصرف أحدكم حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً » . قال أبو بكر بن محمد : حدثنا إسحاق بن إبراهيم عن جرير عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن سكن قال : قال عبد الله : إن الشيطان يطيف بأحدكم في الصلاة فإذا أعياه أن ينصرف نفخ في دبره ليريه أنه قد أحدث فلا ينصرفن حتى يجد ريحاً أو يسمع صوتاً .

وقال إسحاق : حدثنا محمد بن جابر عن حماد عن إبراهيم قال : قال عبد الله : إن الشيطان يجري من ابن آدم في العروق مجرى الدم حتى إنه يأتي أحدكم وهو في الصلاة فينفخ في دبره ويبل إحليله ثم يقول : أحدثت فلا ينصرفن أحدكم حتى يجدن ريحاً أو يسمع صوتاً أو يجد بللاً . وقال الطبراني في (المعجم الكبير) : حدثنا محمد بن النضر ، حدثنا أبو غسان النهدي ، حدثنا قيس بن الربيع عن زر عن عبد الله قال : النعاس عند القتال أمنة من الله تعالى ، والنعاس في الصلاة من الشيطان . ثم ساقه عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق عن الثوري عن أبي زريرة عن عبد الله ، حدثنا محمد بن النضر الأزدي ، حدثنا معاوية بن عمرو ، أنبأنا زائدة عن يزيد بن أبي ظبيان عن عبد الله بن مسعود قال : التثاؤب والعطاس في الصلاة من الشيطان .

* * *

الباب الحادي والعشرون بعد المائة

في أن العجلة من الشيطان

قال ابن السني في كتاب (الإيجاز) : حدثنا أحمد بن داود بن عبد الغفار ، حدثنا أبو مصعب الزهري ، حدثنا عبد المهيمن بن العباس بن سهل عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « الأناة من الله عزَّ وجلَّ والعجلة من الشيطان » .

* * *

الباب الثاني والعشرون بعد المائة

في أن نهيق الحمار عند رؤية الشيطان

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً ، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه يرى شيطاناً » .

* * *

الباب الثالث والعشرون بعد المائة

في تعرض الشيطان لأهل المسجد

قال أحمد في مسنده : حدثنا أبو بكر الحنفي ، حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحدكم إذا كان في المسجد جاء الشيطان فأنس به كما يأنس الرجل بدابته فإذا سكن له رنقه وألجمه » . قال أبو هريرة : وأنتم ترون ذلك . أما المرنق فتراه مائلاً كذا لا يذكر الله . وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله تعالى . وقال أحمد : حدثنا أبان ، حدثنا قتادة عن أنس أن نبي الله ﷺ كان يقول : « راصوا صفوفكم وقاربوا بينها وحاذوا بين الأعناق فوالذي نفس محمد بيده إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنه الحذف » . وروى ابن السني في كتاب (عمل اليوم والليلة) بسنده عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : « إن أحدكم إذا أراد أن يخرج من المسجد تداعت جنود إبليس واجتلبت كما يجتمع النحل على يعسوبها فإذا قام أحدكم على باب المسجد فليقل : اللهم إني أعوذ بك من إبليس وجنوده فإنها لن تضره » ـ اليعسوب ـ ذكر النحل وقيل : أميرها ـ والحذف بالتحريك غنم سود صغار من غنم الحجاز الواحدة حذفة وفي حديث كأنها بنات حذف .

* * *

الباب الرابع والعشرون بعد المائة

في تكبر إبليس عن السجود لآدم ووسوسته له حتى أكل من الشجرة

قال ابن جرير : اختلف السلف من الصحابة والتابعين في السبب الذي

سولت له نفسه من أجله الاستكبار فروي عن ابن عباس في ذلك أقوال :

أحدها : ما رواه الضحاك أن إبليس لما قتل الجن الذين عصوا الله وأفسدوا في الأرض وشردهم أعجبته نفسه ورأى في نفسه أن له من الفضيلة ما ليس لغيره .

والقول الثاني : من الأقوال المروية عن ابن عباس أنه كان ملك السماء وسائسها وسائس ما بينها وبين الأرض وخازن الجنة مع اجتهاده في العبادة فأعجب بنفسه ورأى أن له بذلك فضلاً فاستكبر على ربه . حدثنا موسى بن هارون ، حدثنا عمر بن حماد ، حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمذاني عن ابن مسعود عن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ : لما فرغ الله من خلق ما أحب ، استوى على العرش فجعل إبليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة يقال لها : الجن ، وإنما سموا الجن لأنهم خزان الجنة ، وكان إبليس مع ملكه خازناً فوقع في صدره كبر وقال : ما أعطاني الله تعالى على هذا الأمر إلاّ لمزية . هكذا حدثني موسى بن هارون ، وحدثني به أحمد عن خيثمة عن عمرو بن حماد وقال : لمزية لي على الملائكة ، فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك منه فقال الله للملائكة : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ .

والقول الثالث من الأقوال : عن ابن عباس أنه كان يقول : السبب في ذلك أنه كان من بقايا خلق خلقهم الله فأمرهم الله بأمر فأبوا طاعته . حدثني محمد بن سنان ، حدثنا أبو عاصم عن شريك عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس قال : إنّ الله تعالى خلق خلقاً فقال : ﴿ **اسجدوا لآدم** ﴾ ، فقالوا : لا نفعل ، فبعث الله عليهم ناراً تحرقهم ، ثم خلق خلقاً آخر فقال : ﴿ **إني خالق بشراً من طين** ﴾ فاسجدوا لآدم . قال : « فأبوا » . فبعث الله تعالى عليهم ناراً فأحرقتهم . قال : ثم خلق هؤلاء ، فقال : ﴿ **اسجدوا لآدم** ﴾ ، قالوا : نعم . وكان إبليس من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدم . قال أبو الفداء إسماعيل بن كثير : هذا غريب ولا يكاد يصح إسناده فإن فيه رجلاً متهماً ومثله لا يحتج به والله أعلم .

وقال آخرون : بل السبب أنه كان من بقايا الجن الذين كانوا في الأرض فسفكوا الدماء فيها وأفسدوا وعصوا ربهم فقاتلتهم الملائكة . حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا أبو سعيد اليحمدي إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا سوار بن أبي الجعد عن شهر بن حوشب قوله : كان من الجن . قال : كان إبليس

من الجن الـذين طردتهم الملائكـة فأسـره بعض الملائكـة فذهب بـه إلى السمـاء . حـدثني علي بن الحسين ، حـدثنـا أبـو نصـر أحمـد بن محمـد الخـلال ، حـدثنـا سهيـل بن داود ، حدثنـا هشيم ، أنبأنـا عبد الـرحمن بن يحيى عن مـوسى بن نميـر وعثمان بن سعيد عن سعد بن مسعود قال : كانت الملائكة تقاتل الجن فسبي إبليس وكان صغيراً وكان مع الملائكة فتعبد معها فلما أمروا أن يسجـدوا لآدم سجدوا وأبى إبليس ، فلذلك قال الله تعـالى : ﴿ **إلَّا إبليس كان من الجن** ﴾ . قـال أبو جعفـر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله تعالى : ﴿ **وإذ قلنـا للملائكـة اسجـدوا لآدم فسجدوا إلَّا إبليس كـان من الجن** ﴾ ، ففسق عن أمر ربـه وجائـز أن يكون فسوقه عن أمر ربه كان من أجل أنه كان من الجن ، وجائز أن يكون من أجـل إعجابه بنفسه لشدة اجتهاده في عبادة ربه وكثرة علمه ، وما كان أوتي من ملك سماء الدنيا والأرض وخزن الجنان ، وجائز أن يكون كان ذلك لأمر من الأمور . ولا يدرك علم ذلك إلَّا بخبر تقوم به الحجة ولا خبر بذلك عندنا والاختلاف في أمره على مـا حكيناه ورويناه .

وقـد قيل : إن سبب هـلاكه كـان من أجل أن الأرض كـان فيهـا من قبـل آدم الجن فبعث الله تعـالى إبليس قـاضيـاً يقضي بينهم ، فلم يـزل يقضي بينهم بـالحق ألف سنة حتى سمي حكماً وسماه الله به وأوحى إليه اسمه . فعند ذلك دخله الكبـر فتعظم وتكبر وألقى بين الـذين كان الله بعثـه إليهم حكماً البـأس والعداوة والبغضـاء فـاقتتلوا عند ذلـك في الأرض ألفي سنة فيمـا زعمـوا حتى أن خيـولهم تخـوض في دمائهم . قالوا : فذلك قول الله : ﴿ **أفعيينا بالخلق الأول بـل هم في لبس من خلق جديد** ﴾ ، وقول الملائكة : ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** ﴾ ، فبعث الله تعـالى عند ذلـك ناراً فـأحرقتهم . قـالوا : فلمـا رأى إبليس ما نـزل بقـومـه من العذاب عرج إلى السماء فأقام عند الملائكة يعبـد الله تعالى في السمـاء مجتهداً لم يعبده شيء من خلقه مثل عبادته ، فلم يزل مجتهداً في العبادة حتى خلق الله تعالى آدم فكان من أمره ومعصيته ربه ما كان فلما أراد الله تعالى إطـلاع الملائكـة على ما قـد علم من انطواء إبليس على الكبـر وإظهار أمـره لهم حين دنا أمـره للبوار وملكـه وسلطانه للزوال قال : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ ، فأجابوه : ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** ﴾ .

روي عن ابن عباس أن الملائكة قالت ذلـك لما كـانوا عهـدوا من أمر إبليس

وأمر الجن الذين كانوا فيها فكانوا يسفكون الدماء فيها ويفسدون في الأرض ويعصونك ﴿ **ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك** ﴾ ، فقال : ﴿ **إنّي أعلم ما لا تعلمون** ﴾ ، من انطواء إبليس على التكبر وعزمه على خلاف أمري وتسويل نفسه له الباطل واعتزازه وأنا مبد ذلك لكم لتروا ذلك منه عياناً .

حدثنا موسى بن هارون بسنده عن ابن عباس و ن مسعود وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ : لما قالت الملائكة ما قالت وقال الله تعالى : ﴿ **إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ ، يعني من شأن إبليس فبعث الله جبريل عليه الصلاة والسلام إلى الأرض ليأتيه بطين منها . فقالت الأرض : إنِّي أعوذ بالله منك أن تقبض مني أو تشينني ، فرجع فلم يأخذ منها شيئاً وقال : يا رب إنها عاذت فأعذتها . فبعث الله تعالى ميكائيل فعاذت منه فأعاذها فرجع ، فقال كما قال جبريل عليه الصلاة والسلام . فبعث إليها ملك الموت فعاذت منه ، فقال : وأعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره . فأخذ من وجه الأرض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ولذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به قبل التراب حتى عاد طيناً لازباً واللازب الذي يلتزق بعضه ببعض ثم ترك حتى تغير وأنتن وذلك حين يقول : حمأ مسنون . قال : منتن .

حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب العمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : بعث رب العزة إبليس فأخذ من أديم الأرض من عذبها وملحها فخلق منه آدم ومن ثم سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض ومن ثم قال إبليس : ﴿ **أأسجد لمن خلقت طيناً** ﴾ ؛ أي هذه الطينة أنا جئت بها . حدثنا أبو كريب ، حدثنا عثمان بن سعيد ، حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال : أمر الله تعالى بتربة آدم فرفعت فخلق آدم من طين لازب من حمأ مسنون . قال : وإنما كان مسنوناً بعد التراب . قال : فخلق منه آدم بيده فمكث أربعين ليلة جسداً ملقى فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل أي يصوت . قال : فهو قوله تعالى : ﴿ **من صلصال كالفخار** ﴾ [الرحمن : ١٤] . يقول : كالشيء المنفرج الذي ليس بمصمت . قال : ثم يدخل من فيه ويخرج من دبره ويدخل من دبره ويخرج من فيه . ثم يقول : لست شيئاً للصلصلة ولشيء ما خلقت ولئن سلطت عليك لأهلكنك ولئن سلطت عليّ لأعصينك .

حدثنا موسى بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من أصحاب

رسول الله ﷺ : قال الله تعالى للملائكة : ﴿ **إني خالق بشراً من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ [ص: ٧١ ـ ٧٢] . فخلقه تعالى بيده لكيلا يتكبر إبليس عنه ليقول : أتتكبر عما عملت بيدي ولم أتكبر أنا عنه فخلقته بشراً فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه وكان أشدهم منه فزعاً إبليس ؛ فكان يمر به فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول: ﴿ **من صلصال كالفخار** ﴾ ، ويقول : « **لأمر ما خلقت** » ، ودخل في فيه وخرج من دبره . فقال للملائكة : لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف ولئن سلطت عليه لأهلكنه .

حدثنا موسى بن هارون بسنده قالوا : فلما بلغ آدم الحين الذي يريد الله عزَّ وجلَّ أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة : إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له ، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس ، فقالت الملائكة : قل : الحمد لله . فقال : الحمد لله . فقال الله : يرحمك ربك يا آدم ، فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة . فلما دخل إلى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن يبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة فذلك حين يقول : ﴿ **خلق الإنسان من عجل** ﴾ . ﴿ **فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلاَّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾ . قال الله تعالى : ﴿ **ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك** ﴾ . قال : ﴿ **أنا خير منه** ﴾ . لم أكن لأسجد لبشر خلقته من طين . قال الله عزَّ وجلَّ له : ﴿ **اخرج منها** ﴾ . فما يكون لك أن تتكبر فيها يعني فما ينبغي لك أن تتكبر فيها : ﴿ **فاخرج إنك من الصاغرين** ﴾ .

ولبعض هذا السياق وما قبله من حديث السدي شاهد من الأحاديث وإن كان كثير منه متلقى من الإسرائيليات . وقوله تعالى لإبليس : ﴿ **فاهبط منها** ﴾ ، فما يكون لك أن تتكبر فيها . وقوله : ﴿ **اخرج منها** ﴾ ، دليل على أنه كان في السماء فأمر بالهبوط منها ، والخروج من المنزلة ، والمكانة التي كان نالها بعبادته ، وتشبهه بالملائكة ، ثم سلب ذلك فأُهْبِطَ إلى الأرض مذموماً مدحوراً .

قال ابن جرير : كحدثنا كريب ، حدثنا عثمان بن سعيد ، حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال : فلما نفخ الله تعالى فيه يعني في آدم من روحه أتت النفخة من قبل رأسه فجعل لا يجري شيء منها في جسده إلاَّ صار لحماً فلما انتهت النفخة إلى سرته نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى من حسنه

فذهب لينهض فلم يقدر فهو قول الله تعالى : ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وكان الإنسان عجولاً ﴾ ، قال : ضجراً لا صبر له على سراء ولا ضراء . قال : فلما نمت النفخة في جسده عطس فقال : الحمد لله رب العالمين ، بإلهام الله له . فقال الله تعالى له : يرحمك الله تعالى يا آدم . قال : ثم قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات : ﴿ اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس أبى واستكبر ﴾ ، لما كان حدث به نفسه من كبره واغتراره ، فقال : ﴿ لا أسجد له وأنا خير منه ﴾ ، وأكبر سناً وأقوى خلقاً : ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ ؛ يقول : إنَّ النار أقوى من الطين . قال : فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله أي أيأسه من الخير كله وجعله شيطاناً رجيماً عقوبة لمعصيته . وهذا الذي ذكره ابن جرير فيه انقطاع ، وفي السياق نكارة ، وقد رجحه بعض المتأخرين والجمهور على أن المراد بالملائكة المأمورين بالسجود جميع الملائكة لا الملائكة الذين كانوا في الأرض مع إبليس وهو الذي دل عليه عموم الآيات وهو الذي يظهر من السياقات ويدل عليه الحديث . وقوله وأسجد لك ملائكته وهذا عموم أيضاً .

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال : فيقال والله أعلم : إنه لما انتهى الروح إلى رأسه عطس فقال : الحمد لله . فقال له ربه : يرحمك ربك ووقع الملائكة حين استوى سجوداً له حفظاً لعهد الله الذي عهد إليهم وطاعة لأمره الذي أمرهم به ، وقام عدو الله إبليس فلم يسجد متكبراً متعظماً بغياً وحسداً . فقال له : يا إبليس : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ ، إلى قوله : ﴿ لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ﴾ . قال فلما فرغ الله تعالى من إبليس ومعاتبته وأبى إلَّا المعصية أوقع عليه اللعنة وأخرجه من الجنة قال الله تعالى : ﴿ فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين ﴾ . استحق هذا من الله تعالى لأنه استلزم تنقصه لآدم وازدراءه به وترفعه عليه مخالفة الأمر الإلّهي ومعاندة الحق في النص على آدم على التعيين وشرع في الاعتذار بما لا يجدي عنه شيئاً فكان اعتذاره أشد من ذنبه كما قال تعالى في سورة الإسراء : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وكفى بربك وكيلاً ﴾ [الإسراء : ٦١ ـ ٦٥] . قال ابن جرير : حدثنا موسى بن هارون بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ قال : لما خرج

إبليس من الجنة حين لعن وأسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحشياً ليس له زوج يسكن إليها فنام نومة فاستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله تعالى من ضلعه فسألها : ما أنت ؟ فقالت : امرأة . قال : ولم خلقت ؟ قالت : لتسكن إليّ . قالت له الملائكة ينظرون ما مبلغ علمه : ما اسمها ؟ قال : حواء . قالوا : لم سميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شيءٍ حي . قال الله عز وجلَّ : ﴿ **يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما** ﴾ [البقرة : ٣٥].

وهذا الذي ساقه ابن جرير من حديث موسى بن هارون منتزع من نص التوراة التي بأيدي أهل الكتاب وسياق الآيات وظاهرها يقتضي أن خلق حواء كان قبل دخول آدم عليه السلام إلى الجنة لقوله : ﴿ **يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾ ، وهذا قد صرح به ابن إسحاق . وذكر ابن إسحاق عن ابن عباس أن حواء خلقت من ضلعه الأقصر وهو نائم ولأم مكانه لحم ومصداق هذا في قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها** ﴾ .
قال ابن جرير : لما أسكن الله تعالى آدم وزوجه جنته أطلق الله لهما تبارك اسمه أن يأكلا كل ما شاءا أكله من كل ما فيها من ثمارها غير ثمرة شجرة واحدة ابتلاء منه لهما بذلك وليمضي قضاء الله فيهما وفي ذريتهما كما قال تعالى : ﴿ **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما** ﴾ ، أكل ما نهاهما ربهما عن أكله من ثمر تلك الشجرة وحسن لهما حتى أكلا منها فبدا لهما من سوآتهما ما كان توارى عنهما منها . وكان وصول عدو الله إبليس إلى تزيين ذلك ما ذكر في الخبر حدثني موسى بن هارون ، حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ قال : لما قال الله تعالى لآدم : ﴿ **اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** ﴾ [البقرة : ٣٥] ، أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة فمنعته الخزنة فأتى الحيَة وهي دابة لها أربع قوائم كأنها البعير وهي كأحسن الدواب فكلمها أن تدخله في فمها حتى يدخل إلى آدم فأدخلته في فمها فمرت الحية على الخزنة فدخلت وهم لا يعلمون ما أراد الله تعالى من الأمر فكلمه من

فمها فلم ينل كلامه فخرج إليه فقال : ﴿ **يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى** ﴾ . يقول : هل أدلك على شجرة إذا أكلت منها كنت ملكاً وتكون من الخالدين فلا تموت أبداً وحلف لهما بالله ﴿ **إني لكما من الناصحين** ﴾ ، وإنما أراد بذلك ليبدي لهما ما توارى عنهما من سوآتهما يهتك لباسهما وكان قد علم أن لهما سوآت لما كان قرأ من كتاب الملائكة ولم يكن آدم يعلم ذلك وكان لباسهما الظفر فأبى آدم أن يأكل منها فتقدمت حواء فأكلت منها ثم قالت : يا آدم كل فإني قد أكلت فلم يضرني . فلما أكل آدم بدت لهما سوآتهما فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ـ طفقا : أقبلا ـ أي جعلا يلصقان عليهما من ورق التين . حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن ليث بن أبي سليم عن طاوس اليماني عن ابن عباس قال : إن عدو الله إبليس عرض نفسه على دواب الأرض أيها يحمله حتى يدخل به معه حتى يكلم آدم وزوجته فكل الدواب أبى ذلك عليه حتى كلم الحية فقال لها : أمنعك من بني آدم فأنت في ذمتي إن أنت أدخلتني الجنة ، فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به فكلمهما من فيها وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم فأعراها الله تعالى وجعلها تمشي على بطنها . قال : يقول ابن عباس : اقتلوها حيث وجدتموها اخفروا ذمة عدو الله تعالى فيها . قال ابن جرير : حدثت عن عمار بن الحسن ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال : حدثني محدث أن الشيطان دخل الجنة في صورة دابة ذات قوائم فكان يرى أنه البعير . قال : فلعن فسقطت قوائمه فصار حية . قال الربيع : وحدثني أبو العالية أن من الإبل ما كان ولها من الجن .

حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، حدثنا محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم أن آدم حين دخل الجنة ورأى ما فيها من الكرامة وما أعطاه الله منها قال : لو أن لي خلداً فيها ، فاغتنم منه إبليس لما سمعها منه فأتاه من قبل الخلد . قال ابن إسحاق : حدثت أن أول ما ابتدأهما به من كيده إياهما أنه ناح عليهما نياحة حزنتهما حين سمعاها فقالا له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة فوقع ذلك في أنفسهما ثم أتاهما فوسوس إليهما فقال : ﴿ **يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى** ﴾ [طه : ١٢٠] ﴿ **وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلاَّ أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين** ﴾ [الأعراف : ٢٠ ـ ٢١] ؛ أي تكونا ملكين أو

تخلدان إن لم تكونا ملكين في نعمة الجنة فلا تموتان . قال الله تعالى : ﴿ **فدلاهما بغرور** ﴾ . قال ابن جرير : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب قال : قال أبو زيد : وسوس الشيطان إلى حواء في شجرة حتى أتى بها إليها ثم حسنها في عينها ، ثم حسنها في عين آدم . قال : فدعاها آدم لحاجة . قالت : لا ، إلَّا أن تأتي ههنا، فلما أتى قالت : لا إلَّا أن تأكل من هذه الشجرة فأكل منها فبدت لهما سوآتهما . قال : وذهب آدم هارباً في الجنة فناداه ربه يا آدم مني تفر ؟ قال : لا يا رب ولكن حياء منك . قال : يا آدم أنى أتيت . قال من قبل حواء يا رب . فقال تعالى : « فإن لها علي أن أدميها في كل شهر مرة وأن أجعلها سفيهة فقد كنت خلقتها حليمة وأن أجعلها تحمل كرهاً وتضع كرهاً فقد كنت جعلتها تحمل يسراً وتضع يسراً » . قال أبو زيد : ولولا البلية التي أصابت حواء لكان نساء الدنيا لا يحضن وكن حليمات وكن يحملن يسراً ويضعن يسراً . فلما أكل آدم وحواء من الشجرة أخرجهما الله من الجنة وسلبهما كل ما كانا فيه من النعمة والكرامة وأهبطهما وعدويهما إبليس والحية فقال تعالى : ﴿ **اهبطوا بعضكم لبعض عدو** ﴾ . وهذا قول ابن عباس وابن مسعود في آخرين من الصحابة وغيرهم من التابعين في قوله تعالى : ﴿ **اهبطوا بعضكم لبعض عدو** ﴾ ، لآدم وحواء وإبليس والحية . قال ابن مسعود وابن عباس وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ : فلعن الحية وقطع قوائمها وتركها تمشي على بطنها وجعل رزقها في التراب .

الاختلاف على جنة آدم :

فصل : اختلف المفسرون في الجنة التي أدخلها آدم هل هي في السماء أو في الأرض ؟ وإذا كانت في السماء هل هي جنة الخلد أو جنة أخرى ؟ فالجمهور على أنها هي التي في السماء وهي جنة المأوى لظاهر الآيات والأحاديث ، كقوله تعالى : ﴿ **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾ [البقرة: ٣٥] . والألف واللام ليست للعموم ولا لمعهود لفظي وإنما تعود على معهود ذهني وهو المستقر شرعاً من جنة المأوى ، كقول موسى لآدم عليهما الصلاة والسلام : أخرجتنا ونفسك من الجنة . وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشجعي واسمه سعد بن طارق عن أبي حازم سلمة بن دينار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **يجمع** الله الناس فيقوم المؤمنون حين تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة . فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلَّا خطيئة أبيكم » . ورواه

مسلم أيضاً من حديث أبي مالك عن ربعي عن حذيفة وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة في الدلالة على أنها جنة المأوى . وقال آخرون : بل الجنة التي أسكنها آدم لم تكن جنة الخلد لأنه كلف فيها أن لا يأكل من تلك الشجرة ، ولأنه نام فيها ، وأخرج منها ، ودخل عليه إبليس فيها . وهذا مما ينافي أن تكون جنة المأوى . وهذا القول محكي عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس ووهب بن منبه وسفيان بن عيينة واختاره ابن قتيبة في المعارف والقاضي منذر بن سعيد البلوطي في تفسيره ، وحكاه عن أبي حنيفة الإمام وأصحابه ونقله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي عن أبي القاسم وأبي مسلم الأصبهاني ، ونقله القرطبي في تفسيره عن المعتزلة والقدرية . وحكى الخلاف في هذه المسألة أبو محمد بن حزم في الملل والنحل ، وأبو محمد بن عطية في تفسيره ، وأبو عيسى الرماني في تفسيره . وحكى عن الجمهور الأول ، وأبو القاسم الراغب ، والقاضي الماوردي في تفسيره فقال : واختلف في الجنة التي أسكنها يعني آدم وحواء على قولين : أحدهما : أنها جنة الخلد . والثاني : أنها جنة أعدها الله تعالى لهما وجعلها دار ابتلاء وليست جنة الخلد التي جعلها دار جزاء . ومن قال بهذا القول اختلفوا على قولين : أحدهما : أنها في السماء لأنه أهبطهما منها وهذا قول الحسن . والثاني : أنها في الأرض لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار وهذا قول ابن يحيى وكان ذلك بعد أمر إبليس بالسجود لآدم والله أعلم بصواب ذلك هذا كلامه . فقد تضمن كلامه حكاية ثلاثة أقوال وكلامه مشعر بالوقوف ولهذا حكى الرازي في تفسيره أربعة أقوال وجعل الموقف هو الرابع . وحكى القول : بأنها في السماء وليست جنة المأوى عن أبي علي الجبائي . وقد أورد أصحاب القول الثاني سؤالاً يحتاج مثله إلى جواب فقالوا : لا شك أن الله تعالى طرد إبليس حين امتنع من السجود عن الحضرة الإلٓهية وأمره بالخروج عنها والهبوط منها . وهذا الأمر ليس من الأوامر الشرعية بحيث يمكنه مخالفته وإنما هو أمر قدري لا يخالف ولا يمانع ولهذا قال : ﴿ **اخرج منها فإنك رجيم** ﴾ . والضمير عائد إلى الجنة أو السماء أو المنزلة وأياً مّا كان فمعلوم أنه ليس له الكون قدراً في المكان الذي طرد عنه وأبعد منه لا على سبيل الاستقرار ولا على المرور والاجتياز . قالوا : ومعلوم من سياقات القرآن أنه وسوس لآدم وخاطبه بقوله : ﴿ **هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى** ﴾ ، وبقوله : ﴿ **ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة** ﴾ إلى قوله : ﴿ **بغرور** ﴾ ، وهذا ظاهر في اجتماعه معهما في جنتهما . وأجيبوا عن هذا بأنه لا يمتنع أن يجتمع بهما

في الجنة على سبيل المرور لا على سبيل الاستقرار بها أو أنه وسوس لهما وهو على باب الجنة أو من تحت السماء . وفي الثالثة نظر والله أعلم . ومما احتج به أصحاب هذه المقالة ما رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في الزيادات عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن البصري عن يحيى بن ضمرة عن أبي بن كعب قال : إن آدم لما احتضر اشتهى قطفاً من عنب الجنة فانطلق بنوه ليطلبوه فلقيتهم الملائكة فقالوا : أين تريدون يا بني آدم ؟ فقالوا : إن أبانا اشتهى قطفاً من عنب الجنة . فقالوا لهم : ارجعوا فقد كفيتموه . فانتهوا إليه فقبضوا روحه ، وغسلوه ، وحنطوه ، وكفنوه ، وصلى عليه جبريل عليه الصلاة والسلام والملائكة وبنوه خلف الملائكة ودفنوه وقالوا : هذه سنتكم في موتاكم . قالوا : فلولا أن الوصول إلى الجنة التي كان فيها آدم التي اشتهى منها القطف ممكناً لما ذهبوا يتطلبون ذلك ، فدل على أنها في الأرض لا في السماء والله أعلم . قالوا : والاحتجاج بأن الألف واللام في قوله : ﴿ **اسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾ ، لم يتقدم معهود يعود عليه فهو المعهود الذهني مسلم ولكن هو ما دل عليه سياق الكلام ، فإن آدم عليه الصلاة والسلام خلق من الأرض ولم ينقل أنه رفع إلى السماء وخلق ليكون في الأرض وبهذا أعلم الرب سبحانه الملائكة حيث قال تعالى : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ ، قالوا : وهذا كقوله تعالى : ﴿ **إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة** ﴾ . فالألف واللام ليست للعموم ولم يتقدم معهود لفظي وإنما هو المعهود الذهني الذي دل عليه السياق وهو البستان . قالوا : وذكر الهبوط لا يدل على النزول من السماء قال الله تعالى : ﴿ **قيل يا نوح اهبط بسلام منا** ﴾ إنما كان في السفينة حتى استقرت على الجودي ونضب الماء عن وجه الأرض . أمر أن اهبط إليها هو ومن كان مباركاً عليه ، وقال : ﴿ **اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وإن منها لما يهبط من خشية الله** ﴾ . وهذا كثير في الأحاديث واللغة . قالوا : ولا مانع بل هو الواقع أن الجنة التي أسكنها الله آدم كانت مرتفعة على سائر بقاع الأرض ذات أشجار ، وثمار ، وظلال ونعيم ، ونضرة وسرور كما قال تعالى : ﴿ **إن لك ألاّ تجوع فيها ولا تعرى** ﴾ ؛ أي لا يذل باطنك بالجوع ولا ظاهرك بالعري : ﴿ **وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى** ﴾ . أي لا يمس باطنك حر الظمأ ولا ظاهرك حر الشمس . ولهذا قرن بين هذا وهذا لما بينهما من المقابلة ، فلما كان منه ما كان من أكله من الشجرة التي نهي عنها أهبط إلى أرض الشقاء والتعب والسعي والنصب والكد والنكد والابتلاء والاختبار والامتحان

واختلاف السكان ديناً وأخلاقاً وأعمالاً وتعوداً وإرادات كما قال تعالى : ﴿ **ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾ ولا يلزم من هذا أنهم كانوا في السماء كما قال تعالى : ﴿ **وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً** ﴾ ، ومعلوم أنهم كانوا في الأرض لم يكونوا في السماء .

الاختلاف على شجرة آدم :

فصل : واختلف المفسرون في الشجرة التي نهي آدم وحواء عنها ، فقيل : هي الكرم . روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبي وجعدة بن هبيرة ومحمد بن قيس والسدي ، ورواه عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الأصحاب . كذا قال السدي . وتزعم يهود أنها الحنطة وهذا مروي عن ابن عباس والحسن البصري ووهب بن منبه وعطية الصوفي وأبي مالك ومحارب بن دثار وعبد الرحمن بن أبي ليلى . قال وهب : الحبة منها في الجنة ككلي البقر ، والخبز منه ألين من الزبد وأحلى من العسل . وقال الثوري عن حصين عن أبي مالك : هي النخلة . وقال ابن جريج عن مجعد : هي التينة وبه قال قتادة وابن جريج . وقال أبو العالية : كانت شجرة من أكل منها أحدث ، ولا ينبغي في الجنة حدث . وقال أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن أبي الضحاك عن أبي هريرة سمعته يقول : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها شجرة الخلد » . وكذا رواه أيضاً عن غندر وحجاج عن شعبة رواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن شعبة أيضاً به قال غندر : قلت لشعبة : هي شجرة الخلد . قال : ليس فيها شك . تفرد به أحمد . وهذا الخلاف قريب . وقد أبهم الله تعالى ذكرها وتعيينها ولو كان في ذكرها مصلحة تعود إلينا لعينها لنا كما في غيرها .

تعليق :

فصل : بقي مما ينبه عليه في هذه القصة على سبيل الطرد وإن يكن من شرط كتابنا قوله تعالى : ﴿ **وعلّم آدم الأسماء كلها** ﴾ . قال ابن عباس : هي هذه الأسماء التي يتعارف الناس بها إنسان ودابة وأرض وسهل وجبل وبحر وجمل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها . وقال مجاهد : علمه اسم الصحفة والقدر حتى الفسوة والفسية . وقال مجاهد : علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء . وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وغير واحد . وقال الربيع : علمه أسماء الملائكة . وقال

عبد الرحمن بن زيد : علمه أسماء ذريته . والصحيح أنه علمه أسماء الدواب وأفعالها مكبرها ومصغرها ، كما أشار إليه ابن عباس رضي الله عنهما . وذكر البخاري ههنا ما رواه هو ومسلم من طريق سعيد وهشام عن قتادة عن أنس عن رسول الله ﷺ قال : « يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا . فيأتون آدم فيقولون : أنت أب البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته علمك أسماء كل شيء . فتعليمه أسماء كل شيء أحد التشريفات الأربع والثاني : خلقه له بيده الكريمة ، والثالث : نفخه فيه من روحه ، والرابع : أمر ملائكته له بالسجود . وكذا قال له موسى لما تناظرا . وكذا يقول له أهل المحشر والله أعلم .

* * *

الباب الخامس والعشرون بعد المائة
في بيان تعرض الشيطان لحواء

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عمر بن إبراهيم ، حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ قال : « لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال : سميه عبد الحارث فإنه يعيش ، فسمته عبد الحارث فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره » . فهكذا رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم وأخرجه الحاكم في مستدركه كلهم من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث به . قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلاَّ من حديث عمر بن إبراهيم . ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يعرفه فهذه علة قادحة في الحديث أنه روي موقوفاً على الصحابي وهذا أشبه . والظاهر أن هذا من الإسرائيليات . وهكذا روي موقوفاً على ابن عباس والظاهر أنه متلقى عن كعب وذويه . وقد فسّر الحسن قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء** ﴾ [النساء : ١] ، بخلاف هذا فلو كان عقده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه إلى غيره والله أعلم . وأيضاً فالله تعالى إنما خلق آدم وحواء ليكونا أصل البشر وليبث منهما رجالاً كثيراً ونساء فكيف كانت حواء لا يعيش لها ولد كما ذكر في هذا الحديث إن كان مظنوناً والمظنون بل المقطوع به رفعه إلى النبي ﷺ خطأ والصواب وقفه والله أعلم . وقد ذكر الإمام أبو جعفر محمد بن جرير في تاريخه أن حواء ولدت لآدم أربعين ولداً في عشرين بطناً قاله ابن إسحاق والله أعلم . وقيل : مائة

وعشرين بطناً في كل بطن ذكر وأنثى أولهم قابيل وأخته قليما ، وآخرهم عبد المغيث وأخته أم المغيث ، ثم انتشر الناس بعد ذلك وكثروا وامتدوا في الأرض ونموا . وذكر أهل التاريخ أن آدم لم يمت حتى رأى من ذريته أولاده وأولاد أولاده أربعين ألف نسمة والله أعلم . وقال تعالى : ﴿ **هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فتعالى الله عما يشركون** ﴾ [الأعراف : ١٨٩ ، ١٩٠] ، فهذا تنبيه بذكر آدم أولاً ، ثم استطراد إلى الجنس وليس المراد بهذا ذكر آدم وحواء بل لما جرىٰ ذكر الشخص استطرد إلى الجنس كما في قوله تعالى : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين** ﴾ [المؤمنون : ١٢ ، ١٣] . وقال تعالى : ﴿ **ولقد زيّنا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين** ﴾ [الملك : ٥] . ومعلوم أن رجوم الشياطين ليست هي أعيان مصابيح السماء وإنما استطراد من شخصها إلى جنسها والله أعلم .

الباب السادس والعشرون بعد المائة

في تعرضه لنوح عليه السلام في السفينة

قال أبو بكر بن عبيد : حدثنا أبو عبد الله محمد بن موسى ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير ، حدثنا سالم بن عبد الله عن أبيه قال : لما ركب نوح السفينة رأى فيها شيخاً لم يعرفه قال له نوح : ما أدخلك ؟ قال : دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك . قال نوح : اخرج يا عدو الله . فقال : خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين . فأوحي إلى نوح لا حاجة بك إلى الثلاث مره يحدثك بالثنتين فإن بهما أهلك الناس وقال هما الحسد وبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً ، والحرص أباح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه بالحرص . قال : ولقي إبليس موسى فقال : يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليماً وأنا من خلق الله أذنبت . فأنا أريد أن أتوب فاشفع لي عند ربك عزَّ وجلَّ أن يتوب علي . فدعا موسى ربه . فقيل : يا موسى قد قضيت حاجتك فلقي موسى إبليس فقال : قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك فاستكبر وغضب وقال : لم أسجد له حياً أأسجد له ميتاً . ثم قال إبليس : يا موسى إن لك حقاً بما شفعت لي ربك فاذكرني عند ثلاث ولأهلك إلاَّ فيهن : اذكرني حين تغضب فإن وحيي في قلبك ، وعيني

في عينيك ، وأجري منك مجرى الدم . اذكرني حين تلقى الزحف فإنِّي آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولي ، وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولُك إليها . وقال ابن عبيد : حدثني إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا جرير عن الأعمش عن زياد بن الحصين عن أبي العالية قال : لما رست السفينة سفينة نوح إذا هو بإبليس على كوثل السفينة فقال له نوح : ويلك قد غرق أهل الأرض من أجلك قد أهلكتهم ؟ قال له إبليس : فما أصنع ؟ قال له : تتوب . قال : فسل ربك عزَّ وجلَّ : هل لي من توبة ؟ فدعا نوح ربه فأوحى الله إليه أن توبته أن يسجد لقبر آدم . فقال له نوح : قد جعلت لك توبة . قال : وما هي ؟ قال : أن تسجد لقبر آدم . قال : تركته حياً وأسجد له ميتاً .

وحدثنا القاسم بن هاشم ، حدثنا أحمد بن يونس البزاز الحمصي ، حدثنا عبد الله بن وهب عن الليث قال : بلغني أن إبليس لقي نوحاً عليه السلام . فقال له إبليس : يا نوح اتَّقِ الحسد والشح فإنِّي حسدت فخرجت من الجنة وشح آدم على شجرة واحدة منعها حتى خرج من الجنة . وذكر بعضهم ويروى عن ابن عباس أن أول ما دخل السفينة من الطيور الدرة ، وآخر ما دخل من الحيوانات الحمار ودخل إبليس متعلقاً بذنب الحمار والله تعالى أعلم .

* * *

الباب السابع والعشرون بعد المائة
في تعرضه لإبراهيم عليه السلام لما أراد ذبح ولده . . وفيه تعين الذبيح

قال عبد الرزاق: أخبرني معمر عن الزهري في قوله تعالى : ﴿ **إنِّي أرى في المنام أني أذبحك** ﴾ . قال : أخبرني القاسم بن محمد أنه اجتمع أبو هريرة وكعب فجعل أبو هريرة يحدث كعباً عن النبي ﷺ وجعل كعب يحدث أبا هريرة عن الكتب فقال أبو هريرة : قال النبي ﷺ : « إن لكل نبي دعوة مستجابة وإنِّي خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » . فقال كعب : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم . قال : فقال كعب : فداء له أبي وأمي أفلا أخبرك عن إبراهيم ﷺ لما رأى ذبح ولده إسحاق ﷺ ؟ قال الشيطان : إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهم

أبداً . قال : فخرج إبراهيم بابنه ليذبحه فذهب الشيطان فدخل على سارة فقال : أين يذهب إبراهيم بابنك ؟ قالت : ذهب به لحاجته . قال : فإنّه لم يَغْدُ بِهِ لحاجة إنما ذهب به ليذبحه . قالت : ولِمَ يذبحه ؟ قال : يزعم أن ربه أمره بذلك . قالت : قد أحسن إن أطاع ربه . فخرج الشيطان فقال لإسحاق : أين يذهب بك أبوك ؟ قال : لبعض حاجته . قال : إنّه لم يذهب بك لحاجته ولكنه يذهب بك ليذبحك . قال : ولِمَ يذبحني ؟ قال : يزعم أن الله أمره بذلك . قال : فوالله إن كان الله أمره بذلك ليفعلن . فتركه وذهب إلى إبراهيم ﷺ فقال : أين غدوت بابنك ؟ قال : إلى حاجة . قال : فإنَّك لم تغد به لحاجة إنما غدوت به لتذبحه . قال : ولِمَ أذبحه ؟ قال : تزعم أن الله أمرك بذلك . قال : فوالله لئن أمرني بذلك لأفعلن . فتركه ويئس أن يطاع . فلما أسلما قال قتادة سلما الأمر لله وتله للجبين . قال قتادة : أضجعه للجبين ﴿ **وناديناه أن يا إبراهيم ، قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم** ﴾ .

قال الزهري : فأوحى الله إلى إسحاق أن ادع فلك دعوة مستجابة قال معمر : قال الزهري في غير حديث كعب : قال رب أدعوك أن تستجيب لي أيما عبد من الأولين والآخرين لقيك لا يشرك بك شيئاً أن تدخله الجنة » .

تعليق وبيان :

فصل : قول كعب : لما رأى إبراهيم ذبح ولده إسحاق وقوله : ذهب إلى سارة فقال : أين يذهب إبراهيم بابنك ؟ يدل على أن الذبيح هو إسحاق وهو المروي عن عمر بن الخطاب والعباس بن عبد المطلب وعبد الله بن مسعود وأنس بن مالك وأبي هريرة . واختلفت الرواية فيه عن علي بن أبي طالب وقال به من التابعين غير كعب سعيد بن جبير ومجاهد والقاسم بن بره ومسروق وقتادة وعكرمة ووهب بن منبه وعبيد بن عمير وعبد الرحمن بن زيد وأبو الهذيل والزهري والسدي وهو اختيار أحمد بن حنبل . وقال السهيلي : لا شك هو إسحاق . وقالت طائفة أخرى : هو إسماعيل وهو المروي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس والحسن بن أبي الحسن وسعيد بن المسيب والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وروي أيضاً عن عمر بن عبد العزيز وأبي عمرو بن العلاء . وقد بسطت الأدلة من الجانبين والأجوبة في كتابي الموسوم بقلادة النحر ضمنته تفسير سورة الكوثر .

* * *

الباب الثامن والعشرون بعد المائة
في تعرضه لموسى عليه السلام

قال عبد الله بن محمد : حدثنا محمد بن عبد الأعلى الشيباني ، حدثنا فرج ابن فضالة عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال : بينما موسى جالس في بعض مجالسه إذ أقبل إبليس وعليه برنس له يتلون فيه ألواناً فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال له : السلام عليك يا موسى . قال له موسى : من أنت ؟ قال : إبليس . قال : فلا حيَّاك الله ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانتك منه . قال : ماذا الذي رأيت عليك ؟ قال : به أختطف قلوب بني آدم . قال : فماذا إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه ؟ قال : إذا أعجبته نفسه واستكبر عمله ونسي ذنوبه . وأحذرك ثلاثاً : لا تخل بامرأة لا تحل لك فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلَّا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها ، ولا تعاهد الله عهداً إلَّا وفيت به فإنه ما عاهد الله أحد عهداً إلَّا وكنت صاحبه حتى أحول بينه وبين الوفاء به ، ولا تخرجن صدقة إلَّا أمضيتها فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلَّا كنت دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بها . ثم ولى وهو يقول : يا ويله ثلاثاً علم موسى ما يحذر به بني آدم .

حدثني القاسم بن هاشم عن إبراهيم بن الأشعث عن فضيل بن عياض قال : حدثني بعض أشياخنا أن إبليس جاء إلى موسى وهو يناجي ربه عزَّ وجلَّ فقال له الملك : ويلك ما ترجو منه وهو على ذلك الحال يناجي ربه ؟ قال : أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو في الجنة . وقد قدمنا في تعرض الشيطان لنوح عليه السلام قصة لإبليس مع موسى عليه السلام وأنه سأله الدعاء له بالتوبة وأن موسى دعا ربه فقيل : يا موسى قد قضيت حاجتك وأن إبليس حذر موسى ثلاثاً كماحذره هنا ثلاثاً .

* * *

الباب التاسع والعشرون بعد المائة
في تعرضه لذي الكفل عليه السلام

قال ابن أبي الدنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث في ذي الكفل

قال : قال نبي من الأنبياء لمن معه : هل منكم من يكفل لي لا يغضب ويكون معي في درجتي ويكون بعدي في قومي ؟ فقال شاب من القوم : أنا ، ثم أعاد عليه فقال الشاب : أنا . فلما مات قام الشاب بعده في مقامه فأتاه إبليس ليغضبه فقال الرجل : اذهب معه فجاء فأخبره أنه لم ير شيئاً ، ثم أتاه فأرسل معه آخر فجاء فقال : لم أر شيئاً . ثم أتاه فأخذ بيده فانفلت منه . فسمي ذا الكفل لأنه كفل أن لا يغضب .

* * *

الباب الموفي ثلاثين بعد المائة
في تعرضه لأيوب عليه السلام

قال ابن أبي حاتم في تفسيره : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد ، أنبأنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن الشيطان قال: يارب سلطني على أيوب . قال الله تعالى : قد سلطتك على ماله وولده ولم أسلطك على جسده ، فنزل وجمع جنوده فقال لهم : قد سلطت على أيوب فأروني سلطانكم فصاروا نيراناً ، ثم صاروا ماء فبينما هم بالمشرق إذا هم بالمغرب ، وبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق فأرسل طائفة منهم إلى زرعه، وطائفة إلى إبله، وطائفه إلى بقره، وطائفة إلى غنمه وقال : إنه لا يعتصم منكم إلاَّ بالصبر فأتوه بالمصائب بعضها على بعض فجاء صاحب الزرع فقال : يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل على زرعك ناراً فأحرقته . ثم جاء صاحب الإبل فقال له : يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل إلى إبلك عدواً فذهب بها. ثم جاء صاحب الغنم فقال له : يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل على غنمك عدواً فذهب بها . وتفرد هو لبنيه فجمعهم في بيت أكبرهم فبينما هم يأكلون ويشربون إذ هبت الريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم فجاء الشيطان إلى أيوب بصورة غلام في أذنيه قرطان . قال : يا أيوب ألم تر إلى ربك جمع بنيك في بيت أكبرهم فبينما هم يأكلون ويشربون إذ هبت ريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم بطعامهم وشرابهم ؟ فقال أيوب له : فأين كنت أنت ؟ قال : كنت معهم . قال : وكيف انفلت ؟ قال : انفلت . قال أيوب : أنت الشيطان . ثم قال أيوب : أنا اليوم كهيئتي يوم ولدتني أمي فقام فحلق رأسه ثم قام يصلي فرن إبليس رنة سمعها أهل السماء وأهل الأرض ثم قرح إلى السماء فقال :

أي رب إنه قد اعتصم فسلطني عليه فإنِّي لا أستطيعه إلاَّ بسلطانك . قال : قد سلطتك على جسده ولم أسلطك على قلبه . قال : فنزل فنفخ تحت قدميه نفخة فرج ما بين قدميه إلى قرنه فصار قرحة واحدة وألقي على الرماد حتى بدا بطنه فكانت امرأته تسعى عليه حتى قالت له : أما ترى يا أيوب قد والله نزل بي من الجهد والفاقة ما إن بعت قروني برغيف فأطعمك أدع الله أن يشفيك . قال : ويحك كنا في النعماء سبعين عاماً فاصبري حتى نكون في الضراء سبعين عاماً فكان في البلاء سبع سنين . وقال أبو بكر بن محمد : حدثنا سوار بن عبد الله العنبري ، حدثنا معتمر بن سليمان عن ليث عن طلحة بن مصيرف قال : قال إبليس : ما أصبت من أيوب شيئاً أفرح به إلاَّ أني كنت إذا سمعت أنينه علمت أني قد أوجعته . حدثنا فضيل بن عبد الوهاب ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن ابن وهب بن منبه عن أبيه قال : قال إبليس لامرأة أيوب ﷺ : بم أصابكم ما أصابكم ؟ قالت : بقدر الله تعالى . قال : فاتبعيني فاتبعته فأراها جميع ما ذهب منهم في واد . فقال : اسجدي لي وأرده عليكم . فقالت : إن لي زوجاً أستأمره فأخبرت أيوب فقال : أما آن لك أن تعلمي ذاك الشيطان لئن برئت لأضربنك مائة جلدة .

* * *

الباب الحادي والثلاثون بعد المائة
في تعرضه ليحيى بن زكريا عليهما السلام

قال عبد الله بن محمد بن عبيد : أخبرنا أحمد بن إبراهيم العنبري ، حدثنا محمد بن يزيد بن حنيش عن وهب بن الورد قال : بلغنا أن الخبيث إبليس تبدى ليحيى بن زكريا فقال : إني أريد أن أنصحك ؟ قال : كذبت أنت لا تنصحني ولكن أخبرني عن بني آدم . قال : هم عندنا على ثلاثة أصناف : أما صنف منهم فهم أشد الأصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونستكن منه ثم يتفرغ للاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ثم نعود له فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن من ذلك في عناء ، وأما الصنف الآخر : فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم ، وأما الصنف الآخر : فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء . قال يحيى على ذلك : هل قدرت مني على شيء ؟ قال : لا إلاَّ مرة واحدة فإنك قدمت طعاماً تأكل فلم أزل أشهيه إليك حتى أكلت منه أكثر مما تريد فنمت تلك الليلة فلم تقم إلى الصلاة كما

كنت تقوم إليها . فقال له يحيى : لا جرم لا شبعت من طعام أبداً . قال له الخبيث : لا جرم لا نصحت نبيّاً بعدك . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثني علي بن مسلم ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر ، حدثنا ثابت البناني قال : بلغنا أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال يحيى : يا إبليس ما هذه المعاليق التي أرى عليك ؟ قال : هذه الشهوات التي أصبت بهن ابن آدم . قال : فهل لي فيها من شيء ؟ قال : ربما شبعت فنقلناك عن الصلاة ، ونقلناك عن الذكر . قال : فهل غير ذلك ؟ قال : لا . وقال : لله عليَّ أن لا أملأ بطني من طعام أبداً . قال إبليس : ولله علي أن لا أنصح مسلماً أبداً. لعنة الله عليه . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن يحيى المروزي ، حدثنا عبد الله بن خبيق قال : لقي يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام إبليس في صورته فقال له : يا إبليس أخبرني ما أحب الناس إليك وأبغض الناس إليك ؟ قال : أحب الناس إليّ المؤمن البخيل وأبغضهم إلي الفاسق السخي . قال يحيى : وكيف ذلك ؟ قال : لأن البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخاه فيقبله . ثم ولى وهو يقول : لولا أنك يحيى لم أخبرك والله أعلم .

* * *

الباب الثاني والثلاثون بعد المائة

في لقيه عيسى ابن مريم عليهما السلام

قال أبو بكر محمد : حدثنا الفضل بن موسى البصري ، حدثنا إبراهيم بن بشار قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : لقي عيسى ابن مريم إبليس فقال له إبليس : أنتَ الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تكلمت في المهد صبياً ولم يتكلم فيه أحد قبلك ؟ قال : بل الربوبية والعظمة للإلّه الذي أنطقني ثم يميتني ثم يحييني . قال : فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تحيي الموتى ؟ قال : بل الربوبية لله الذي يميتني ويميت من أحييت ثم يحييني . قال : والله إنك لإلّه في السماء وإلّه في الأرض قال : فصكه جبريل عليه الصلاة والسلام بجناحه صكة فما تناهى دون قرن الشمس ثم صكه أخرى فما تناهى دون العين الحامية ، ثم صكه صكة فأدخله بحار السابعة فساحه فيها حتى وجد طعم الحمأة فخرج منها وهو يقول : ما لقي أحد من أحد ما لقيت منك يا ابن مريم .

حدثنا إسحاق بن إسماعيل وعمرو بن محمد قالا : حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طاوس قال : لقي الشيطان عيسى ابن مريم فقال : يا ابن مريم إن كنت صادقاً فارق علي هذه الشاهقة فألق نفسك منها ؟ فقال : ويلك ألم يقل الله يا ابن آدم لا تختبرني بهلاكك فإني أفعل ما أشاء .

حدثني شريح بن يونس ، حدثنا علي بن ثابت عن خطاب بن القاسم عن أبي عثمان قال : كان عيسى عليه الصلاة والسلام يصلي على رأس جبل فأتاه إبليس فقال : أنت الذي تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر ؟ قال : نعم . قال : ألق نفسك من الجبل وقل : قدر علي . قال : يا لعين الله يختبر العباد ليس للعباد أن يختبروا الله عزَّ وجلَّ . حدثني الحسن بن عبد العزيز الجروي ، حدثنا ابن مسهر ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام نظر إلى إبليس فقال : هذا ركون الدنيا إليها خرج وإياها سأل لا أشركه في شيء منها ولا حجر أضعه تحت رأسي ولا أكون فيها ضاحكاً حتى أخرج منها . حدثنا الحسن ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن أبي سلمة عن سعيد بن عبد العزيز عن ابن حليس قال : قال عيسى عليه الصلاة والسلام : إنَّ الشيطان مع الدنيا ومكره مع المال وتزيينه عند الهوى واستمكانه عند الشهوات . ورواه أيضاً عن محمد بن إدريس عن حيوة بن شريح عن بقية بن الوليد عن سعيد بن عبد العزيز عن ابن حليس من قوله : وتزيينه عند اللهو .

❋ ❋ ❋

الباب الثالث والثلاثون بعد المائة
في تعرضه للنبي ﷺ

ثبت في صحيح مسلم عن أبي الدرداء قال : قام رسول الله ﷺ يصلي فسمعناه يقول: أعوذ بالله منك ، ثم قال : ألعنك بلعنة الله . وبسط يده ثلاثاً كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك ؟ قال : إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت : أعوذ بالله ثلاث مرات . ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات . ثم أردت أن آخذه ووالله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً فلعب به ولدان أهل المدينة . وفي الصحيحين عن أبي هريرة

عن النبي ﷺ قال : « إن الشيطان عرض لي فشد علي ليقطع الصلاة علي فأمكنني الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه فذكرت قول سليمان : ﴿ **رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي** ﴾ ، فرده الله خاسئاً » . وقد روى النسائي على شرط البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ كان يصلي فأتاه الشيطان فأخذه فصبرعه فخنقه . قال رسول الله ﷺ : « حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمان لأصبح موثقاً حتى يراه الناس » . ورواه أحمد وأبو داود من حديث أبي سعيد وفيه : فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى برد لعابه أصبعي هاتين الإبهام والتي تليها .

قال الحسن بن شاذان : أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق ، حدثنا يحيى بن جعفر ، أنبأنا ثابت ، حدثنا إسحاق بن منصور ، أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « مر بي الشيطان فأخذته فخنقته حتى أني لأجد برد لسانه على يدي . فقال : أوجعتني أوجعتني فتركته » . وقال أحمد بن الحسن بن الجعد : حدثنا محمد بن بكار ، حدثنا خديج ، حدثنا أبو إسحاق عن أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « لقد مر علي الخبيث فأخذته فخنقته خنقاً شديداً حتى قال أوجعتني » . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا بشر بن الوليد ، حدثنا عثمان بن مطر عن ثابت عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ ساجداً بمكة فجاء إبليس فأراد أن يطأ عنقه فلفحه جبريل عليه الصلاة والسلام بجناحه لفحة فما استقرت قدماه حتى بلغ الأردن .

وروى مالك في الموطأ من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « رأيت ليلة أسري بي عفريتاً من الجن يطلبني بشعلة نار كلما التفت رأيته . فقال جبريل : ألا أعلمك كلمات تقولهن فتنطفىء شعلته ويخر لفيه . قال رسول الله ﷺ : بلى . فقال جبريل : قل : أعوذ بوجه الله الكريم ، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارق يطرق بخبر يا رحمن » . بيّن في الحديث الأول الاستعاذة من الشيطان ولعنه بلعنة الله ولم يستأخر بذلك فمد يده إليه . وبيّن في الحديث الثاني أن مد اليد كان لخنقه لقوله عليه الصلاة والسلام : دفعته وهذا دفع لعداوته بالفعل وفيه الخنق وبه اندفعت عداوته فرده الله خاسئاً . وأما الزيادة وهو ربطه إلى السارية وهو من باب

التصرف الملكي الذي تركه لسليمان ، فإن نبيّنا ﷺ كان يتصرف في الجن كتصرفه في الإنس ، التصرف عبد رسول الله يأمرهم بعبادة الله تعالى وطاعته ، لا يتصرف لأمر يرجع إليه وهو التصرف الملكي ، فإنه كان عبداً رسولاً ، وسليمان نبي ملك ، والعبد الرسول أفضل من النبي الملك كما أن السابقين المقربين أفضل من عموم الأبرار أصحاب اليمين والدليل على أن العبد الرسول أفضل من النبي الملك أن النبي ﷺ عرض عليه أن يكون نبياً ملكاً أو عبداً رسولاً فاختار أن يكون عبداً رسولاً ولا يختار لنفسه إلاَّ ما هو الأفضل في نفس الأمر . وقوله : فما زلت أخنقه حتى برد لعابه ، وقوله : حتى وجدت برد لسانه على يدي : فهذا فعله في الصلاة ، وهو مما احتج به العلماء على جواز مثل هذا في الصلاة وهو كدفع المار وقتل الأسودين والصلاة حالة المسابقة . وقد تنازع العلماء في شيطان الجن إذا مر بين يدي المصلي هل يقطع الصلاة على قولين هما قولان في مذهب أحمد . وقد تقدم هذا في الباب الذي عقدناه لهذه المسألة وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع والثلاثون بعد المائة
في فرار الشيطان من عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصرعه إياه

روى البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص قال : استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه . وفي رواية يسألنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما نزل على رسول الله آية الحجاب أذن رسول الله ﷺ لعمر فدخل عمر مستأذناً والنبي يضحك فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يضحكك ؟ قال : عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب . قال عمر : فأنت يا رسول الله أحق أن يهبن . ثم قال عمر: أي عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟ قلن : نعم . أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : إيه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلاَّ سلك فجاً غير فجك .

وروى الترمذي والنسائي من حديث بريدة قال : خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية جويرية سوداء فقالت : إني كنت نذرت إن

ردك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى . فقال لها : إن كنت نذرت فاضربي وإلَّا فلا . فقالت : نذرت . فجلست تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ، ثم دخل علي وهي تضرب ، ثم دخل عثمان وهي تضرب ! ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استها وقعدت عليه . فقال رسول الله ﷺ : إن الشيطان ليخاف منك يا عمر إني كنت جالساً وهي تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ، ثم دخل علي وهي تضرب ، ثم دخل عثمان وهي تضرب ،فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف وجلست عليه . وروى الترمذي والنسائي أيضا من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ جالساً فسمعنا لغطاً وصوت صبيان فقام رسول الله ﷺ فإذا حبشية تدفن والصبيان حولها فقال : يا عائشة تعالي فانظرى فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله ﷺ فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه فقال لي : أما شبعت ؟ قالت فجعلت أقول : لا لأنظر منزلتي عنده إذ طلع عمر . قالت : فانفض الناس عنها . فقال رسول الله ﷺ : إنِّي لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر . قالت : فرجعت . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا علي بن الجعد قال : أخبرني عكرمة بن عمار عن عاصم قال : حدثني زر قال : سمعت عبد الله يقول : خرج رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فلقي الشيطان فاشتجرا فاصطرعا فصرعه الذي من أصحاب محمد ﷺ . فقال الشيطان : أرسلني أحدثك حديثاً عجيباً يعجبك ؟ قال : فأرسله . قال : فحدثني . قال : لا . قال : فاتخذا الثانية فاصطرعا فصرعه الذي من أصحاب محمد ﷺ . قال : أرسلني فلأحدثنك حديثاً يعجبك فأرسله . فقال : حدثني ؟ فقال : لا . قال : فاتخذا الثالثة فصرعه الذي من أصحاب محمد ﷺ ثم جلس على صدره وأخذ بإبهامه يلوكها فقال : أرسلني ؟ قال : لا أرسلك حتى تحدثني . قال : سورة البقرة فإنه ليس منها آية تقرأ في وسط شياطين إلَّا تفرقوا ، ولا تقرأ في بيت فيدخل ذلك البيت شيطان . قالوا : يا أبا عبد الرحمن فمن ذلك الرجل ؟ قال : فمن ترونه إلَّا عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ورواه أبو نعيم فقال : حدثنا جعفر الصائغ ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بنحوه والله أعلم .

* * *

الباب الخامس والثلاثون بعد المائة

في بيان لقي الشيطان حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة

قال ابن عبيد : حدثني محمد بن الحسين ، حدثني قدامة بن محمد

الخشرمي ، حدثني محمد بن حفص وكان من خيار أهل المدينة عن صفوان بن سليم قال : يتحدث أهل المدينة أن عبد الله بن حنظلة ابن الغسيل لقيه الشيطان وهو خارج من المسجد فقال : تعرفني يا ابن حنظلة ؟ فقال : نعم . فقال : من أنا ؟ قال : أنت الشيطان. قال : فكيف علمت ذلك ؟ قال : خرجت وأنا أذكر الله فلما بدأت أنظر إليك فشغلني النظر إليك عن ذكر الله فعلمت أنك الشيطان . قال : صدقت يا ابن حنظلة فاحفظ عني شيئاً أعلمكه . قال : لا حاجة لي به . قال : تنظر فإن كان خيراً قبلت وإن كان شراً رددت . يا ابن حنظلة لا تسأل أحداً غير الله سؤال رغبة ، وانظر كيف تكون إذا غضبت . قلت : غسيل الملائكة هو حنظلة بن أبي عامر واسم أبي عامر عمرو . وقيل : عبد عمرو بن صيفي استشهد يوم أُحد فروي عن النبي ﷺ أنه قال : رأيت الملائكة تغسله في صحاف الفضة بماء المزن بين السماء والأرض . قال ابن إسحاق : فسألت امرأته ؟ فقالت : كان جنباً فسمع الهاتف فخرج . وامرأته هي جميلة بنت أبي بن سلول أخت عبد الله وكان ابتنى بها في تلك الليلة وكانت عروساً عنده فرأت في النوم تلك الليلة أن باباً في السماء قد فتح له فدخله ثم أغلق دونه . قالت : فعلمت أنه ميت من هذه فدعت رجالاً حين أصبحت من قومها فأشهدتهم على الدخول بها خشية أن يكون في ذلك نزاع . ذكره الواقدي وذكره غيره أنه التمس في القتلى فوجدوه يقطر رأسه ماء وليس بقربه ماء تصديقاً لما قاله الرسول ﷺ . وفي هذا دليل لما ذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إليه أن الشهيد إذا كان جنباً يغسل .

* * *

الباب السادس والثلاثون بعد المائة
في بيان إغواء الشيطان قارون

قال أبو بكر القرشي : حدثنا محمد بن إدريس ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان وغيره قال : تبدى إبليس لقارون . قال : وقد كان قارون أقام في جبل أربعين سنة يتعبد فيه قد فاق بني إسرائيل في العبادة . قال : فبعث إليه بشياطين له فلم يقدروا عليه فتبدى له فجعل يتعبد وجعل قارون يفطر وهو لا يفطر ، وجعل هو يظهر من العبادة ما لا يقوى عليها قارون . قال : فتواضع له قارون . قال له إبليس : قد رضيت بهذا يا قارون لا تشهد لبني إسرائيل

جنازة ولا جماعة . قال : فأحذره من الجبل حتى أدخله البيعة . قال : فجعلوا يحملون إليهما الطعام . قال: فقال له : قد رضينا بهذا صرنا كلًّا على بني إسرائيل . قال : فأي شيء الرأي ؟ قال : نكسب يوماً ونتعبد بقية الجمعة . قال : نعم . ثم قال له بعد : قد رضينا بدّاً أن لا نتصدق ولا نفعل . قال : فأي شيء الرأي ؟ قال : نكسب يوماً ونتعبد يوماً فلما فعل ذلك حبس عنه وتركه وفتحت على قارون الدنيا . نعوذ بالله من الشيطان وشره .

* * *

الباب السابع والثلاثون بعد المائة

في بيان حضور الشيطان مجمع قريش بدار الندوة للتشاور في أمر النبي ﷺ وتقبيحه آراءهم وتصويبه رأي أبي جهل

قال ابن إسحاق : لما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا سعة فحذروا خروج رسول الله ﷺ وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلَّا فيها يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه فحدثني من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج وغيره ممن لا أتهم عن ابن عباس قال : لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ غدوا في اليوم الذي اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الرحمة فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل عليه بت له فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا : من الشيخ ؟ فقال : شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصحاً . قالوا : أجل فادخل فدخل . وقد اجتمع فيها أشراف قريش من بني عبد شمس عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب ومن بني نوفل بن عبد مناف طعيمة بن عدي وجبير بن مطعم والحارث بن عمرو بن نوفل ، ومن بني عبد الدار بن قصي النضر بن الحارث بن كلدة ومن بني أسد بن عبد العزيز أبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام ، ومن بني

مخزوم أبو جهل بن هشام ، ومن بني سهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج ، ومن بني جمح أمية بن خلف ، ومن كان منهم ومن غيرهم ممن لا يعد من قريش . فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم وإنا والله لا نأمن من الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا به رأياً . قال : فتشاوروا ثم قال قائل منهم : احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهير والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم . فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأي والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فلا يوشك أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره . فتشاوروا ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين ظهرنا فننفيه من بلادنا فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه أصلحنا أمرنا وآلهتنا كما كانت . فقال الشيخ النجدي : والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله وحديثه حتى يبايعوه عليه ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فيخرج أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد فأروا فيه رأياً غير هذا . قال : فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي لرأياً ما أراكم وقفتم عليه بعد . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جلداً نسيباً وسطاً ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم . قال : يقول الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل هذا الرأي لا أرى غيره . فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له . فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال : لا تبيت الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه . قال : فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : نم على فراشي وتوشح ببردي هذا الأخضر فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم ، وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام . فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب قال : لما أجمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام فقال وهم على بابه : إن محمداً يزعم أنكم إن بايعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم إن بعثتم من بعد

موتكم جعلت لكم جنان كجنان الأردن وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم ناراً تحرقون فيها . قال : وخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال : نعم أنا أقول ذلك أنت أحدهم . وأخذ الله أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات : ﴿ **يس** ﴾ إلى : ﴿ **فهم لا يبصرون** ﴾ ، ولم يبق رجل إلَّا وقد وضع على رأسه تراباً وانصرف إلى حيث أراد أن يذهب فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال : وما تنتظرون ههنا؟ قالوا : محمداً ﷺ . قال : قد خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد ﷺ وما ترك أحداً منكم إلَّا وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم ؟ قال : فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متشحاً ببرد النبي ﷺ فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائماً عليه برده فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي عن الفراش فقالوا : والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا فكان مما أنزل الله تعالى من القرآن في ذلك : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ ، وقول الله تعالى : ﴿ **أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ، قل تربصوا فإنّي معكم من المتربصين** ﴾ .

تعليق وبيان :

فصل : قد قدمنا في بيان طلوع قرن الشيطان من نجد المعنى الذي تمثل من أجله الشيطان في صورة شيخ نجدي وهو أن قريشاً قالوا : لا يدخل معهم في المشاورة أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد ﷺ ولم يسم ابن إسحاق من المشيرين الذين أشاروا غير أبي جهل . فقال ابن سلام : الذي أشار بحبسه هو أبو البختري بن هشام ، والذي أشار بإخراجه ونفيه هو أبو الأسود ربيعة بن عمير أحد بني عامر بن لؤي . وأما وقوفهم على بابه يتطلعون فيرون علياً وعليه برد رسول الله ﷺ فيظنونه إياه فلم يزالوا كذلك قياماً حتى أصبحوا . فذكر بعض أهل السير السبب المانع لهم من التقحم عليه في الدار مع قصر الجدار وأنهم إنما جاءوا لقتله فذكر في الخبر أنهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار ، فقال بعضهم لبعض : والله إنها لسبة في العرب أن يتحدث عنا أنَّا تسورنا الحيطان على بنات العم ، وهتكنا ستر حرمنا . فهذا الذي أقامهم في الباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه ثم طمست أبصارهم عنه حين خرج . وفي قراءة الآيات من سورة **يس** من

الفقه التذكرة بقراءة الخائفين لها اقتداء به ﷺ . وقد روى الحارث بن أسامة في مسنده عن النبي ﷺ أنه ذكر في فضل يس أنها إن قرأها خائف أمن ، أو جائع شبع ، أو عار كسي ، أو عاطش سقي ، أو سقيم شفي حتى ذكر خلالاً كثيرة والله أعلم .

* * *

الباب الثامن والثلاثون بعد المائة

في بيان صراخ الشيطان من رأس العقبة وقت البيعة بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق بن عاصم : حدثنا عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري أخو بني سالم بن عوف : يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم . قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فإن كنتم ترون إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً كذا استلمتموه فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهب الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة . قالوا : ابسط يدك فبسط يده فبايعوه . قال ابن إسحاق : فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده وبنو عبد الأشهل تقول : بل الهيثم بن النبهان . قال ابن إسحاق : وحدثني معبد بن كعب في حديثه عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن كعب بن مالك قال : كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور .

تعليق وبيان :

قلت : وقد ذكرت ذلك في كتابي الموسوم بمحاسن الوسائل إلى معرفة الأوائل . قال كعب : فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت ما سمعته قط : يا أهل الجباجب هل لكم في مذمم والصبا معه قد اجتمعوا على حربكم . قال : فقال رسول الله ﷺ : هذا أزب العقبة هذا ابن أزنب . قال ابن هشام : ويقال : ابن أزيب أتسمع أي عدو الله لأفرغن لك . قال : ثم قال

رسول الله ﷺ : ارفضوا إلى رحالكم . قال : فقال له العباس بن عبادة بن نضلة : والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا . فقال رسول الله ﷺ : لم تؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم فإن رجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا ، فلما أصبحنا غدت عليه جلة من قريش حتى جاءونا في منازلنا فقالوا : يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم . قال : فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه . قال : وصدقوا لم يعلموا . قال وبعضنا ينظر إلى بعض قال : ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان له جديدان قال : فقلت له كلمة كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا : يا أبا جابر أما نستطيع أن نتخذ وأنت سيد من ساداتنا ثم نعلي هذا الفتى من قريش ؟ قال : فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إلي وقال : والله لينتعلهما . قال : يقول جابر مه أحفظت والله الفتى فاردد إليه نعليه . قال : قلت : والله لا أردهما فأل والله صالح والله لئن صدق الفأل لأسلبنه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول فقالوا له مثل ما ذكر كعب من القول ، فقال لهم : والله إن هذا الأمر جسيم ما كان قومي ليفتاتوا علي بمثل هذا وما علمته كان فانصرفوا عنه . قال : وتفرق الناس مني فتنصت القوم الخبر فوجدوه قد كان وخرجوا في طلب القوم فأدركوا سعد بن عبادة بإذاخر والمنذر بن عمرو وأخا بني ساعدة وكلاهما قد كانا تغيبا . فأما المنذر فأعجز القوم وأما سعد فأخذوه وربطوا يديه إلى عنقه بشسع رحله ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجمته ولم يزل يعذب في الله حتى نما الخبر على يدي أبي البختري بن هشام إلى جبير بن مطعم والحارث بن حرب بن أمية وكان بينه وبينهما جوار وكان يجير لهما تجارتهما ويمنعهما أن يظلما ببلده . قال : فجاءا فخلصا سعداً من أيديهم فانطلق . وروى أبو الأشهب عن الحسن قال : لما بويع رسول الله ﷺ بمنى صرخ الشيطان فقال رسول الله ﷺ : هذا أبو لبينى قد أنذر بكم فتفرقوا :

تعليق وبيان :

فصل : قوله :ـ بأنفذ صوت ـ هذا هو الصحيح وقيده أبو بحر عن أبي

الوليد ـ بأبعد صوت ـ والجباجب يعني منازل منى. قال السهيلي : وأصله أن الأوعية من الأدم كالزنبيل ونحوه يسمى جبجبة فجعل الخيام والمنازل لأهلها كالأوعية وأزب العقبة كذا تقيد في هذا الموضع . وقال ابن ماكولا : أم كرز بنت الأزب بن عمرو بن بكيل من همدان جدة أم العباس أمه عقيلة . وقال : لا يعرف الأزب في الأسماء إلاَّ هذا وإزب العقبة وهو اسم شيطان . قال السهيلي : ووقع في غزوة أحد إزب العقبة بكسر الهمزة وسكون الزاي . وفي حديث ابن الزبير ما يشهد له حين رأى رجلاً على برذعة رحله طوله شبر فقال : ما أنت ؟ قال : إزب . قال : وما إزب ؟ قال : رجل فضربه على رأسه بعود السوط حتى باض أي هرب . وقال يعقوب في الألفاظ : الإزْب القصير . وحديث ابن الزبير ذكره القتبي في الغريب فالله أعلم أي الضبطين أصح . وقال السهيلي في يوم أحد الله أعلم هل الأزب أو الإزب شيطان واحد أو اثنان . وابن أزيب في رواية ابن هشام يجوز أن يكون فعيلاً من الإزب والأزيب والبخيل وأزيب اسم ريح من الرياح الأربع والأزيب الفزع أيضاً والأزيب الرجل المتقارب المشي وهو على وزن أفعل قاله صاحب العين ويحتمل أن يكون ابن أزيب من هذا أيضاً . وأما البخيل فأزيب على وزن فعيل لأن يعقوب حكى في الألفاظ أمراً أزيبة ولو كان على وزن أفعل في المذكر لكان في المؤنث على وزن زيباء إلاَّ أن فعيلاً في أبنية الأسماء عزيز . وقد قالوا في ضهياء وهي التي لا تحيض من النساء فعلى وجعلوا الهمزة زائدة .

قال السهيلي : وهو عندي فعيل لأن الهمزة في قراءة عاصم لام الفعل في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **يضاهون** ﴾ ـ والضهيا ـ من هذا لأنها تضاهي الرجل أي تشبهه . ويقال فيه : ضهياء بالمد فلا إشكال أنها للتأنيث على لغة من قال : ضاهيت بالياء . وقد يجوز أن تكون أزيب وأزيبة مثل أرمل وأرملة فلا يكون فعيلاً وقوله : ـ وكان عليهِ نعلان جديدان ـ النعل مؤنثة ولا يقال : جديدة في الفصيح من الكلام ؛ وإنما يقال : ملحفة جديد لأنها في معنى مجدودة أي مقطوعة فهي من باب كف خضيب وامرأة قتيل . قال سيبويه : ومن قال : جديدة فإنما أراد معنى حديثة أي بمعنى حادثة وكل فعيل بمعنى فاعل تدخله التاء في المؤنث والله أعلم .

* * *

الباب التاسع والثلاثون بعد المائة

في بيان حضور الشيطان وقعة بدر

قال الله تعالى : ﴿ **وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب** ﴾ [الأنفال:٤٨] . قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس كل قد حدثني بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قال : لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها فانتدب المسلمون خف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار ويسأل من يلقى من الركبان حتى قيل له : إن محمداً ﷺ قد استنفر أصحابه لك وأميرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً ويستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً ﷺ قد عرض لها في أصحابه . فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة فصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه يقول : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد ﷺ في أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث . فتجهز الناس سراعاً فكانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلاً وأوعيت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد إلاَّ أبو لهب بن عبد المطلب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكان قد لاط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه أفلس بها فاستأجره على أن يجري عنه بعثه وتخلف أبو لهب . قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح بن أمية بن خلف وقد أجمع على القعود وكان شيخاً جليلاً ثقيلاً فأتاه عقبة بن أبي معيط وهو جالس في المسجد في قومه بمجمرة يحملها فيها نار وهجم حتى وضعها بين يديه ثم قال له : يا أبا علي استجمر فإنما أنت من النساء فقال : قبّحك الله وقبح ما جئت به . قال ابن إسحاق : ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا السير ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة بن الحارث فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن

مالك بن جشم الكناني المدلجي وكان من أشراف بني كنانة فقال . أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجوا سراعاً . وذكر ابن عقبة ، وابن عائذ في هذا الخبر : وأقبل المشركون ومعهم إبليس في صورة سراقة فحدثهم أن بني كنانة وراءهم قد أقبلوا لنصرهم وأنه لا غالب لكم اليوم من الناس وأني جار لكم . قال ابن إسحاق وعمير بن وهب والحارث بن هشام هو الذي رأى إبليس حين نكص على عقبيه عند نزول الملائكة ، وقال : ﴿ **إني أرى ما لا ترون** ﴾ . فلم يزل حتى أوردهم ثم أسلمهم ففي ذلك يقول حسان :

سرنا وساروا إلى بدر لحينهم   لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهما بغرور ثم أسلمهم   إن الخبيث لمن والاه غرار

وذكر غير ابن إسحاق أن الحارث بن هشام تشبث بإبليس وهو يرى أنه سراقة بن مالك فقال : إلى أين يا سراق أين تفر ؟ فلكمه لكمة طرحه على قفاه ثم قال : ﴿ **إني أخاف الله رب العالمين** ﴾ . قال السهيلي : ويروى أنهم رأوا سراقة بمكة بعد ذلك فقالوا له : يا سراقة أخرمت الصف وأوقعت فينا الهزيمة ؟ فقال : والله ما علمت بشيء من أمركم حتى كانت هزيمتكم ، وما شهدت وما علمت فما صدقوه حتى أسلموا وسمعوا ما أنزل الله فيه فعلموا أنه كان إبليس تمثّل لهم . وقول اللعين : « إني أخاف الله » . لأن الكافر لا يخاف الله إلاَّ أنَّه لما رأى جنود الله تنزل من السماء فخاف أن يكون اليوم الموعد الذي قال الله سبحانه فيه : ﴿ **يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذٍ للمجرمين** ﴾ . وقيل أيضاً : إنما خاف أن تدركه الملائكة لما رأى من فعلها بحزبه الكافرين . وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل أن قريشاً حين توجهت إلى بدر مر هاتف، من الجن على مكة في اليوم الذي أوقع بهم المسلمون وهو ينشد بأنفذ صوت ولا يرى شخصه :

أزار الحنيفيون بدراً وقيعة   سينقض منها ركن كسرى وقيصرا
أبادت رجالاً من لؤي وأبرزت   خرائد يضربن الترائب حسرا
فيا ويح من أمسى عدو محمد   لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا

فقال قائلهم : من الحنيفيون ؟ فقالوا : هو محمد ﷺ وأصحابه يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف . ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبر اليقين . وقد بوبنا على هذه الأبيات فيما تقدم لمناسبة ذلك الموضع بالأخبار وأعدناها في هذا الباب لتعلقها بقصة بدر وليس الغرض هنا إلاَّ ذكر إبليس وتبديه لقريش دون سياق الغزوة

بكمالها إذ ليس موضوع هذا الكتاب إلّا ذكر الجن والشياطين . بقي مما يتعرض إلى ذكره قوله تعالى : ﴿ **وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان** ﴾ .

قال السهيلي : كان العدو قد أحرزوا الماء دون المسلمين وحفروا القلب لأنفسهم وكان المسلمون قد أحدثوا وأجنب بعضهم وهم لا يصلون إلى الماء فوسوس الشيطان لهم أو لبعضهم وقال : تزعمون أنكم على الحق وقد سبقكم أعداؤكم إلى الماء وأنتم عطاش وتصلون بلا وضوء وما ينتظر أعداؤكم إلّا أن يقطع العطش رقابكم وتذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاءوا . فأرسل الله السماء فحلت عزاليها فتطهروا ورووا وتلبدت الأرض لأقدامهم وكانت رمالاً وسبخات فتثبتت فيها أقدامهم وذهب عنهم رجز الشيطان ثم نهضوا إلى أعدائهم وحازوا القلب التي كانت للعدو فعطش الكفار وجاء النصر من عند الله وقبض رسول الله ﷺ قبضة من البطحاء ورماهم بها فملأ عيون جميع العسكر فذلك قوله تعالى : ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾ والله الهادي للحق .

* * *

الباب الموفي أربعين بعد المائة
في بيان صراخ الشيطان يوم أحد

قال محمد بن سعد : لما رجع من حضر بدراً من المشركين إلى مكة وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب موقوفة في دار الندوة فمشت أشراف قريش إلى أبي سفيان وقالوا : نحن طيبو الأنفس أن تجهزوا بربح هذه العير جيشاً إلى محمد ﷺ فقال أبو سفيان : فأنا أول من أجاب إلى ذلك ، وبنو عبد مناف فباعوها فصارت ذهباً وكانت ألف بعير وخمسين ألف دينار فسلم إلى أهل العير رؤوس أموالهم وأخرجوا أرباحهم وكانوا يربحون في تجارتهم لكل دينار ديناراً . قال ابن إسحاق : ففيهم كما ذكر لي أنزل الله تعالى : ﴿ **إنَّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله** ﴾ إلى قوله : ﴿ **يحشرون** ﴾ . فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة . قال ابن سعد : وكتب العباس إلى رسول الله ﷺ بخبرهم كله فأخبر رسول الله ﷺ سعد بن الربيع بكتاب العباس . قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه حتى

إذا كانوا بالسوط بين المدينة وأحد انخذل عنه عبد الله بن أبي بثلث الناس وتعبى رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمائة رجل ، وتعبأت قريش وهي في ثلاثة آلاف رجل ومعهم مائتا فرس . قال ابن عقبة : وليس في المسلمين فرس واحد . وقال الواقدي : لم يكن مع المسلمين يوم أحد من الخيل إلاَّ فرس لرسول الله ﷺ وفرس لأبي بردة . قال ابن إسحاق : وقال رسول الله ﷺ : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم ثم قام أبو دجانة سماك بن حرب فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به حتى ينحني . قال : أنا آخذه بحقه. فأعطاه إياه . وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت وحين رآه رسول الله ﷺ يتبختر قال : إنها لمشية يبغضها الله إلاَّ في مثل هذا اليوم . وقال ابن هشام : حدثني غير واحد أن الزبير بن العوام قال : وجدت في نفسي حين سألت السيف فمنعته وأعطاه أبا دجانة فقلت : والله لأنظرن ما يصنع فاتبعته فأخذ عصابة له حمراء فعصب رأسه . فقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة عصابة الموت . وهكذا كان يقول : إذا عصب بها فجعل لا يلقى أحداً إلاَّ قتله . قال ابن إسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل وكان الذي قتله ابن قميئة الليثي وهو يظنه رسول الله ﷺ فرجع إلى قريش فقال : قتلت محمداً ﷺ فلما قتل مصعب أعطى رسول الله ﷺ الراية علياً . وقال ابن سعد : قتل مصعب ، فأخذ اللواء ملك في صورة مصعب وحضرت الملائكة الهزيمة لا شك فيها . قال : وصرخ صارخ يعني لما قتل مصعب بن عمير ألا إن محمداً ﷺ قد قتل . قال الراوي : فانكفأنا وانكفأ القوم علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم . قال ابن سعد : فلما قتل أصحاب اللواء انكشف المشركون منهزمين لا يلوون ونساؤهم يدعون بالويل وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث ساروا وثبت أمير الرماة عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة مكانه وانطلق باقي الرماة يتبعون العسكر وحمل خالد بن الوليد وتبعه عكرمة بن أبي جهل وحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير وانتفضت صفوف المسلمين ونادى إبليس أن محمداً ﷺ قد قتل ، واختلط المسلمون فصاروا يقتلون على غير شعار ، وثبت رسول الله ﷺ يرمي عن قوسه حتى صار شظايا ويرمي بالحجر وثبت معه عصابة من أصحابه أربعة عشر رجلاً سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر الصدّيق وسبعة من الأنصار حتى تحاجزوا . وروى البخاري لم يبق مع النبي ﷺ إلاَّ اثني عشر رجلاً ـ قال أبو طلحة : وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة

من المسلمين حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ . قال ابن إسحاق : فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : كسرت رباعية النبي ﷺ يوم أحد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه فجعل يمسح الدم ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾ . وذكر ابن إسحاق قول النبي ﷺ حين سمع الصارخ يصرخ بقتله وهو إزب العقبة . هكذا قيد في هذا الموضوع بكسر الهمزة وإسكان الزاي وقد تقدم الكلام عليه .

قال السهيلي : ويقال للموضع الذي صرخ منه الشيطان : جبل عينين ولذلك قيل لعثمان : أفررت يوم عينين . وعينان أيضاً بلد عند الجيزة وبه عرف خليد بن عينين الشاعر . قال ابن هشام ووقع رسول الله ﷺ لما أصيب في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ومص مالك بن سنان الخدري والد أبي سعيد الدم من وجهه ثم ازدرد دمه ﷺ . وعن عيسى بن طلحة عن عائشة رضي الله عنها عن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه أن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ فسقطت ثنيته ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى فكان ساقط الثنيتين . قال ابن اسحاق : وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة . وقول الناس : قتل رسول الله ﷺ . كما ذكر ابن شهاب الزهري كعب بن مالك قال : عرفت عينيه يزهران من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ فأشار إليه ﷺ أن اسكت ، فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب ومعه أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحارث بن الصمة ، فلما انتهوا إلى فم الشعب خرج عليٍ حتى ملأ درقته من المهراس فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه فوجد له ريحاً فعافه ولم يشرب منه وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من أدمى على وجه نبيه . وذكر عمر مولى غفرة أن النبي ﷺ صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً ، ولما انصرف أبو سفيان وأصحابه نادى : إن موعدكم بدر للعام القابل فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : نعم هو بيننا وبينكم موعد .

تعليق وبيان :

قلت : غزوة أحد في شوال في السنة الثالثة من الهجرة النبوية . وأما غزوة بدر الموعد ففي ذي القعدة في السنة الرابعة وهي الغزوة الصغرى من غزوات بدر وهي ثلاث :

الأولى : في ربيع الأول في السنة الثانية وتعرف بغزوة طلب كرز بن جابر وكان أغار على سرح النبي ﷺ .

والثانية : وهي العظمى في شهر رمضان في السنة الثانية أيضاً .

والثالثة : هي الصغرى المذكورة .

نقل ذلك شيخنا العلّامة أبو الحسن المارديني الحنفي في مختصر السيرة رضي الله عنه .

* * *

خاتمة
في التحذير من فتن الشيطان ومكائده

قال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله : اعلم أن الآدمي لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه ووضع فيه الغضب لتدفع به ما يؤذيه وأعطي العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب ، وخلق الشيطان محرضاً له على الإسراف في اجتلابه واجتنابه . فالواجب عل العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم وقد بذل نفسه وعمره في إفساد أحوال بني آدم . وقد أمر الله بالحذر منه فقال تعالى : ﴿ **ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء** ﴾ . الآية . وقال تعالى : ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر** ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ **ويريد الشيطان أن يضلهم** ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إنه عدو مضل مبين** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً** ﴾ . وروى الإمام أحمد من حديث عياض بن حماد أن النبي ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته : إن ربي عزَّ وجلَّ أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا كل مال نحلته عبادي حلال وأني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً . ثم إن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلّا بقايا من أهل الكتاب . وقال عبد الله بن أحمد : حدثني علي بن مسلم ، حدثنا سيارة ، حدثنا حيان الجريري ، حدثنا سويد القتادي عن قتادة قال : إن لإبليس شيطاناً يقال له : قبقب يحمه أربعين سنة فإذا دخل الغلام في هذا الطريق قال له : دونك إنما كنت أحمك لمثل هذا أجلب عليه وافتنه . وقال أبو بكر بن محمد : سمعت سعيد بن سليمان يحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : كانت

شجرة تعبد من دون الله فجاء إنسان إليها فقال : لأقطعن هذه الشجرة فجاء ليقطعها غضباً لله فلقيه الشيطان في صورة إنسان فقال : ما تريد ؟ قال : أريد أن أقطع هـذه التي تعبد من دون الله . قال : إذا أنت لم تعبـدها فمـا يضرك من عبـدها ؟ قـال : لأقطعنها . فقال له الشيطان : هل لك فيما هو خير لك لا تقطعهـا ولك دينـاران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك قال : فمن لي بذلك ؟ قال : أنا لك . فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسـادته ثم أصبـح فلم يجد شيئـاً فقام غضبـاً ليقطعهـا فتمثل لـه الشيطان في صورته فقال : ما تريد ؟ قال : أريـد قطع هـذه الشجرة التي تعبـد من دون الله . قال : كذبت ما لك إلى ذلـك سبيل فـذهب ليقطعهـا فضرب بـه الأرض وخنقه حتى كاد يقتله قال : أتدري من أنا ؟ أنا الشيطان جئت أول مرة غضباً لله فلم يكن لي سبيل فخدعتـك بالـدينارين فتـركتها ، فلمـا جئت غضبا للدينـارين سلطت عليك .



خاتمة صالحة
وهي خاتمة الكتاب

وإذ انتهى الكلام بنا إلى هنا فلنعوذ أنفسنا بما كان النبي ﷺ يعوذ به الحسن والحسين . وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين فيقول . «أعيذكما بكلمة الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» . ثم يقول : هكذا كان إبراهيم يعوذ إسماعيل وإسحاق . قال أبو بكر الأنباري : ـ الهامة ـ واحد الهوام ويقال : هي كل نسمة تهتم لسوء ـ واللامة ـ الملمة ، وإنما قال : لامة ليوافق لفظ هامة فتكون بذلك أخف على اللسان فنعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً: وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

كلمة الناسخ

تم الكتاب :

بعون الله عزَّ وجلَّ وتوفيقه في سلخ شهر شوال المبارك سنة إحدى وستين وثمانمائة . . أحسن الله عاقبتها . . كتبه الفقير إلى الله : علي بن محمد بن عبد الله الشافعي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والحمد لله رب العالمين .

الفهرس